

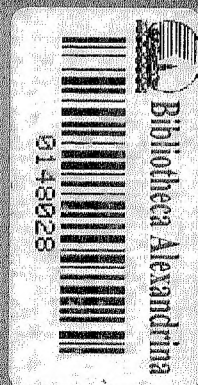
ادونيس

الأمم المتحدة



مفرد بمصنفه الجرم

وقصائد أخرى



الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التسجيل	٢٧٨٤١
رقم الترخيص	

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie



General Organization of the Alexandria Library
Bibliothèque d'Alexandrie

للمشاعر

(١) شعر

- قصائد أولى ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- أوراق في الريح ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛
ط ٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- أغاني مهيار الدمشقي ، ط ١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،
ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٥ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- المسرح والمرآيا ، ط ١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

وقت بين الرماد والورد ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في خرائط المادة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبجدية ثانية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقى ، بيروت ، ١٩٩٥ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛
ط ٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

(٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :
الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيدة ومنقحة ، في أربعة أجزاء) :

١- الأصول ،

٢- تأصيل الأصول ،

٣- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني ،

٤- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري ،

(دار الساقي ، ١٩٩٤) .

فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .

الصوفية والسوريالية ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٢ .

النص القرآني وآفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

(سيرة شعرية ثقافية) .

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان الشعر العربي :

الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
(الكتب الستة الأخيرة ، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة

- حكاية فاسكو ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
السيد بوبل ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
مهاجر بريسبان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
البنفسج ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
السفر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .
سهرة الأمثال ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس ،

- منارات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
منفى ، وقصائد أخرى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨ .

مسرح راسين

- فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩ .

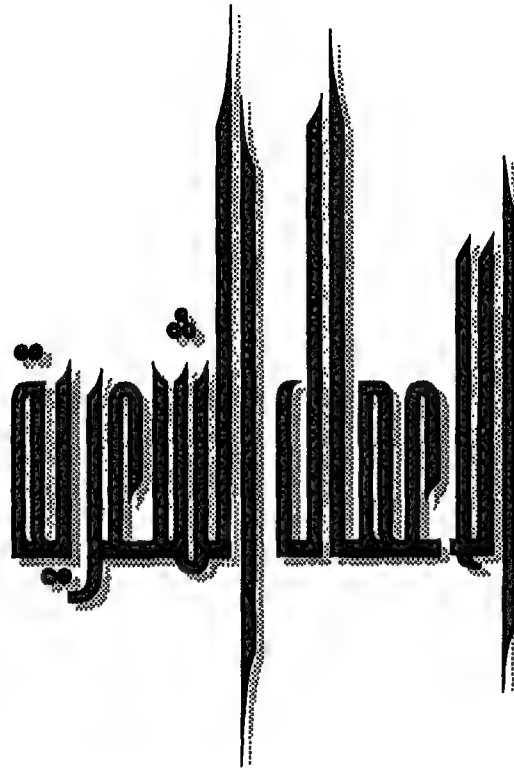
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ .



مفرد بصيغة الجمع

وقصائد أخرى

أدونيس



مفرد بصيغة الجمع

وقصائد أخرى

منشورات



Author: ADONIS

Title : The Poetical Works, III

Al Mada : Publishing Company

First Published in 1996

Copyright © Al mada

اسم المؤلف : أدونيس

عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية / مفرد

بصيغة الجمع وقصائد أخرى

الناشر : دار المدى للثقافة والنشر

تاريخ الطبع : ١٩٩٦

الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون : ٧٧٢٠١٩ - ٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٣٩٩٢

بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.

Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025

Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992

P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

All rights reserved. No Parts of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or other wise, without prior permission in writing of the publisher.

إشارة

أثرتُ أن أنشر أعمالِي الشعرية بترتيبٍ آخر : القصائد القصيرة في مجلد ، والقصائد الطويلة في مجلد ، والنصوص غير الموزونة في مجلد . يتخلّى هذا الترتيب عن التتابع الزمني ، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع . إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي - الفني الذي يتأسس فيه النص ، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره . هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال ، إضافة إلى أنها تنسخها . وهي ، إذن ، المعتمدة ، وحدها .

باريس ، نيسان ١٩٩٦
أدونيس

أرواد، يا أميرة الوهم

(مقاطع)

1

الشعر يحرق أوراقه القديمة ، والقصيدة الآتية بلادٌ من الرفُض ، - آه ،
يا كلمات الموتى ، آه يا بكَارَةَ الكلمة . وتلبس القصيدة أهداب الطقولة ،
وتخشع لكوكب الثدي .

2

للساعات هاربةٌ كمخمل الثلج ، للعمر مجنَّحاً بالقشّ ، تتمزّق الحياة ،
وتصير حروفاً أخرى .

هوذا الحبيبُ يفرق في خليجِ النّهدين . هوذا يعرف المرأةَ والجزيرةَ
المسمّاة امرأةً ، وعلى شواطئِ العشبِ العشرينيْ يشعل الموجَ والزبدَ ويقطع
خيوطَ الفجر . هوذا يسبحُ تحت المِشدّ ، لاصيقاً بالقعر ، في مغارةٍ من الحرير
والحمى .

لينطفئُ هذا الجمرُ ، ليشتعلُ . لئُمجّدُ هذه الأطرافُ مصلوبةً بالحبّ .
تحت شمسها تنمو عرائش العمر ، وجسدُ الحبيبةِ الورقُ ، وجسدُ الحبيبةِ
إنجيلٌ من الحبر .

والحبيب ، في فراش الساعات النائمة ، يستفيق من دُوار الغبطة ،
مرسوماً بالعرق ، مزيناً بجسد امرأة .

3

... وتأتين يا طفولة يا تميمة العمر ، والموت يرسم صلباننا ، ويقصمُ
أطرافنا الحالمة ، وليس عندنا لأرواد غير الشعر وغير أطيافٍ من البحر
والكنائس . وتركيننا ، يا حضورنا ، لأيماننا الميتة وحُفرٍ صغيرةٍ كأجسامنا
مسقوفةٍ بالصلاة والرمل .
املائي ، يا وَهَمَ الطفولة – حيث العمرُ حَرَبُ الموت . أمامك أنحنى ،
أصير قوساً من الشعر ، وأستنقِذُ انحنائي .

4

التاريخ يُقبل في جريدةٍ ، في لفافةٍ من التَّبغ ، وأنا بأسوار الإبر أطوق
ذاكرتي ، وأصغي إلى الطفولة :
«شجرة تُفْرِغُ تحت قدميَّ . شجرةٌ أجهل اسمها . في الشجرة أصواتٌ ،
وبحيرات . وأهدابي سياجٌ يشرد وراءها .
صورة امرأةٍ هذه الشجرة . غيمة تحضن سريري .
أفسحوا لوجهي أن يصارع اليأس . شقوق في نوافذ بيتنا تعذب الضوء ،
والفرح مريضٌ يرقد بلا وسادة . أفسحوا – النهار يرسم المدينة بأصابعي ،
وأنا أسمىها امرأةً وحباً ، وأرفع باسمها راية الطفولة .
صورة مدينةٍ هذه الشجرة ، ووراء غصونها يختنق الموت .

وأنتِ يا أهْدَابِيّ ، دوري مع كوكبٍ يطلع تحت قدميّ ، وانقلبي ضوءه
إلى جنين الأيام الآتية . في جفوني قرية من العصافير تعبر وتعلو . أغفو ،
وعلى سريري يجلس كوكب السُّهر .

5

السَّماء ، هذه اللَّيلة ، امرأة تفرش سريري
السَّماء فراشة تسكن المكتبة ، -

وأنا كلماتي بلا وقع . أتوّج بريشة قلبي ، وأتزوِّج الرِّيح ، وليس في
طريقي غير الخرائط الممزّقة وغير الرّعد . لا النّهار يعرفني ولا البيت ، وفوق
ترابٍ يلون النّسيان ، أترك خطواتي تنمو .

6

أرواد ، يا أميرة الوهم ، أرواد يا أميرة الحضور ، أيها الظلّ الآتي من
جذورنا - أمك وأنا رياحٌ تهاجر ، وأنتِ الأرض . ولا طريقٌ تلحقُ بكِ .
وجهك فضاءٌ ، وعيناك ثقبان الدّنيا . وما أنت تعلّمينا قصائد العشب -
حيث نسكن في مدنيّة من الجوع والقَتْل ، وحيث تتعلّم الحكمة على
طرف خيطٍ من الرّصاص .

أرواد ، يا أميرة الوهم ، أميرة الحُضور ، لكِ أحك عيني بجلد النّهار ،
وفي عروقي أترك سفينة العذاب تترجرج وتُبحر .

إنها ساعة الصّمت ، ساعة أن أصيرَ شجرةً أو نبعاً . إنها ساعة الغبطة ، ساعة أن أصيرَ عاشقاً أو قصيدة .

لأروادَ ، أزرع الهاوية وأفرح . وفي بلادي أنشر حياتي ريفاً كوكبياً ، وتللاً من القمح والشقائق .

إنها ساعة الولادة ؛ أسعفيني يا سلالة الكلمات ، واخلفني لشعري أبعاداً أخرى من السرّ والإشارة . ويا طفولة ، يا شعري الخفيّ المقبل ، أضيئي وجهي ، وكوني ملجأ الفاجعة . باسمك نهمس تحت الجليد ، والنّهار يقتل النّهار . ونصرخ : «الموت يقترب ، والمقابر العاشقة تجدد ثوبها كل يوم» ، وتردّين يا طفولة : «أنا الخليقة الطّالعة ضدّ الموت» . وتجرّح شفاهنا أغان من اليأس : «الأرض هيكلٌ يهترئ ، والدّموع تأسنُ في تجاويها» ، لكنّ أغانيك تأتي إلينا : «أنا الحبّ والشعر - طليعين ضدّ الموت» .

وأنتَ ، أيها الحبّ أيها الشعر - لكما نرفع أجسادنا ، لكما نبدع إرثنا من الموت والطفولة .

(بيروت ، تشرين الأول 1958)

مرثية الأيام الحاضرة

1

عرباتُ النفي
تجتازُ الأسوار
بين غناء النفي
وزفير النار .

الريح ثقيلةٌ علينا ورمادُ أيامنا يلبسُ الأرض . نلمح روحنا في هريق
شفرةٍ أو على خوذة ، وفوق جراحنا يتناثر خريف الممالح .
بعيداً تجرّ المأساة وجهَ تاريخنا ، وتاريخنا ذاكرةٌ يثقبها الرعب ، وسهولٌ
من الشوك الوحشي .

وعبثاً يتزحزح الباب الموصد . ونصرخ ونحلم بالبكاء ولا دمع في العيون .
وبلادي امرأةٌ من الحمى ، جسرٌ للملذات يعبره القراصنة وتصفق لهم
حشود الرمل . ومن شرفاتها البعيدة تلمح عيوننا أشياء الناس - أصحابي
لقبور الأطفال ، مجامرٌ للأولياء ، شواهدٌ من الحجر الأسود ؛ والحقولُ مليئة
بالعظام والرَّخَم ، وتماثيلُ البطولة جيفٌ ناعمة .

ونمضي ، صدورنا إلى البحر ، وفي كلماتنا يرقد نحيبٌ عصرٍ آخر ،
وكلماتنا لا وريث لها .

نعانق جُزر الوحدة ، نشمّ الغرابة البكر في قعر الهاوية ، ونسمع مراكبنا
ترسل خوارها اليائس ، واليأس هلال طالع والشرّ في طفولته .
ونمضي ، في الرّعب يحصد الرّكب ، في منحدرات من الوحل
والنجيب ، والأرض تنزف دماً في خواصرنا والبحر سدّ أخضر .

2

في أيّ ربّ جديد
تنهض أجسادنا
ضاق علينا الحديد
وضاق جلادنا
باسم خراب سعيد
يئاس ميلادنا -

ضيقة جباه أيماننا والسّنون عجفاء راكدة .
ألحياة هزيلة في هذه الدقائق من العمر . النهار لا حوажب له ، وليس
للشمس أهداب طويلة . ولا همس في برّدى والفراة ؛ لا لقاح ، لا تململ .
السلالة عاقرة في بلادي وخرساء ، والتاريخ يحمل بقاياها إلى أرض أخرى .
أيتها الأرض المفروشة بالوَر ، أيتها الخريطة الجامحة من القمح
والنفط والمرافق ، يا أرضاً بلون الهجرة وبلون الرّيح ،
هل ستنهض ريح جديدة ضد الرّمْل؟
وأنت أيها المطر ، أيها المطر الذي يغسل الأنقاض والخرائب ، أيها

المطر الذي يغسل الجيف ، ترفق أيضاً واغسل هذا التاريخ .
يجهل أن الصخرة الجارحة
قصيدة مخنوقة في الشفاء
ويفهم الجاموسة النابحه
حَمَامَةٌ أو زهرة أو إله .
وذاث يوم تُبعث الحشراتُ
في وطن الضفادع الجائعة
وتنقل الخبزَ لنا والصلاة
جرادة أو نملة ضائعه .

هوذا اعتراف الرمح التائه ،
هوذا أنا
اقتلني أيها الصّدق .

3

... تَصْغَرِي يا فتوة بأوراقٍ أكثر اخضراراً . لا يزال الشعر معنا ، لا
يزال الحلمُ :
لسيحون هذه الأفراس المحممة ؛ لخراسان هذه الرماح . بيتنا ذهبٌ
على سفوح هماليا ، وسمرقند راية . بأهدابنا مسحنا جسد الأرض ، بعروقنا
ربطنا الأزهار الهاربة . كنا نغسل النهار ، والحجر حريقاً تحت أقدامنا ،

والأفق صهوة جيادنا ، ونعالها الرياح الأربع .
تلك هي دروبنا – نتزوج الصاعقة ، ونملأ الأرض بصراخ الأشياء
الجديدة .
تلك هي تخومنا – نحن أكثر اخضراراً من البحر ، نحن أكثر فتوةً من
النهار ، والشمس بين أصابعنا نردُّ أخضر .
تلك هي عتبة المستقبل :
أسمرُ طالعٍ من البحر ، مليءٌ بغبطة الفهد ، يعلمُ الرقص ؛ يمنحُ أسماءَ
جديدة وتحت جفونه يتحفُّزُ نسر المستقبل .
أسمرُ طالعٍ من البحر لا تُغويه أعياد الجثث ، مليءٌ بالعالم مليءٌ برياحٍ
تكنس الوباء ، والنسمة الخالقة في رياحه تقسر الحجر على الحب ، على
الرقص والحب .

آلهة الرمل تنطرح على جباهها والنيحُ يدفق تحت العوسجة ؛ ولا موت
في البحر .
... ونأتي إلى بلادنا الأسيرة حيث المصباح كنيسة والنحلة راهبة .

4

– من أي بلادٍ أتيت ، من أيّ حظيرة لا اسم لها؟
– لم يكتمل وطني بعد . روحي بعيدةً ولا ملكَ لي .

حيث يبدأ القراصنة ، تنتهي الكلمة . أحمل كتبتي وأمضي - أسكن
 في فيء قلبي وأنسج بحرير القصائد سماءً جديدة .
 أيها البحر يا صديق الجرح أيها الجرح يا صديق الملح ،
 أيها البحر الأبيض
 أيها الفرات يا أياماً بلا رقم
 أيها العاصي يا سريراً بلا طفل
 وأنت يا بردى -
 لقد شربتك جميعاً وما ارتويت ، لكنني تعلّمت الحب ، ووحده اليأسُ
 جديرٌ بالحب .

يائسٌ وليس من موت ، تائهٌ وأكره الهداية ،
 أترك ورائيَ أصدقائي - قضبانَ الحديد والسجون ، وأترك بلادِي لأولئك
 الرواقين المجانين .
 وأمضي وليس لي غير أحزاني ومسافاتي ، وفي موكبي حبيبتي
 وشعري ، وفي عينيَّ يرقد شعبي الضائع .
 وأمضي وأنا أحلم - بالقلوب المعلقة في الدوالي والرؤوس المزروعة في
 الحقول ، وأتذكر أن هذه ليست إلا بقايا أحبابي .
 وحين تدخل في عروقي رائحة البحر ، وتملأ شَعر حبيبتي قُبْلُ الرِّيح
 وتموت الشواطئ وتُبْعث ، لن أتذكر غير أمي وسأنسج لها في ذاكرتي
 حصيراً لينةً تجلس عليها وتبكي .
 وداعاً يا عصر الذُّباب في بلادِي .

... ورقٌ ولا حبر ، ولا قلبَ ينفضه الحبر ، واليأس نجمةٌ في الجبين
والشرُّ في طفولته والصمتُ رملٌ كاسح ولا ورق .
— من أي بلادٍ أتيت ، من أيّ حظيرة لا اسمَ لها؟
— لم يكتمل وطني بعد ، روحي بعيدةٌ ولا ملكَ لي .

(بيروت ، 1958)

مرثية القرن الأول

أغنية

مات عيد المطر
في وجوه الشعراء
فَبَدَلْنَاهُ بعيد الحجرِ
أنا والرفقُص ووجه الكلمة
وتركنا
للتواقيس على أهدابنا
لسماء العروة المنقصمه
وتركنا
للرياحين لأجران البكاء ،
هذه المراثية المنهزمه .

1

ذاهلٌ تحت شاشة النبوءة ، مأخوذٌ بالرمل - يا رجل! قل لنا آيةً
تأتي ...
التاريخ يهبط المنحدر في حوار مع النمل ، راحلاً على غباره ، مليئاً

بالمخاط الحلزونيّ ، مليئاً بالأصداف .

كان للقمر عينٌ في عُرقته . كان للسماء جبين الأفعى : لا طريقَ لا كلمة ، لكنّ البرصُ الباحث عن وجهه ، لكنّ التجاوبُ والشقوق .
افتحْ جوفكْ يا خليج الطحالب : جمجمة حمامةٍ على العتبة ، والحمى تثقب خوذة الفارس .

— ماذا ، ما تريد أيها الرومي؟

— تمرأ يا سيّدي ، ثريداً . الطريق رَسَنٌ تائهٌ والجوع فرسٌ تصهل بين أسناني .

— (هاتوا ماءً لملاقاة العطشان ، وافوا الهارب بخبزها) .

تحت راية الغبار انهزمتنا . ملأنا وجوهنا بالمقابر وكتبنا وصيّة الجوع .
لم تكن أمامنا نجمةٌ تتألأ ، لم تكن غير أشباح الرمل وغير مناجم الرّيح والدّمع .

— «نطلب يا إلهنا بطن الأرض» ، هكذا صليّنا .

— «خذني يا نهر ولا يغتصبني العدو» هكذا غنّت عذارانا .

البحر لَوَحٌ لنا ، البحر بكى لأجلنا . من يسبح هناك؟ قل لنا فالكْ يا زَيْد ؛ الموت يبقّع أطرافنا وفي عيوننا رماد الكواكب الأخيرة .

2

جبلٌ يلفظ اسمه أمامي . ورق اعتمادٍ بين يديّ .

من يشتري هذه الجموع منا — يأخذها بعيداً بعيداً؟

من يقبل هديةً هذه الحشود؟ وليأخذ معها السيوف والخناجر ، وليأخذ

معها الخلاخيل وليأخذ الوشم والودع .

في أسواق الماس والأكاجو دللنا . لفيل أعمى كتبنا رسالة البيع .
رجلٌ يتبركٌ بخفّ الوالي ، رجلٌ يسقط شقينّ مقطوعاً بالصراط ، رجل
يمشي بساقين خيطين ، رجل مهروسٌ بالنذير ، رجلٌ يتكلم ولا رأس له ،
رجلٌ لا اسم له ، رجلٌ يرسم وجهه بحليب ناقتة ، رجلٌ يعرف أمه في
ولائم الملك ، رجلٌ يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير في حرير التسري
والرعب ، رجلٌ يُحشى جلده بالقشّ ويُعرض في الشوارع ، رجلٌ ميت يجلد
ثمانين سوطاً ، امرأةٌ بنهدٍ واحدٍ تُجرّ على الأرضفة ، طفلٌ يلبس رداء
المشنقة ،

أحمد أبو الفوارس ، كافور أبو المسك ، تيمورلنك - هؤلاء أسياد
أرضنا . هم أمراؤنا وهم تيجاننا الفاتحة ، هؤلاء حياتنا على الأرض .
والنجوم جيشٌ يصبقُ علينا باسم سيد الأعلى .
اعبري يا سنواتنا مكسورة الجناح . التصقي بجباهنا يا خشبة . السقوط
بلادنا ، و(لتنصر اللهم السلطان ابن السلطان مالك البرّين والبحرين) .
وأنتم أيها الشيوخ ابحثوا لنا عن رجالٍ وراء نخومنا ، رجالٍ يسكن فيهم
البرق . باسمهم نضرب نقودنا ، باسمهم ترقد نساؤنا فوق وسائد الزئبق .

3

هوذا شعبٌ يفرض وجهه للسناجب ، هي ذي بلادٌ أجبن من ريشةٍ وأذلّ
من عتبة .
من يُرينا عصفوراً ما ، شجرةً ما؟ من يعلمنا أبجدية الهواء؟ وحدنا في

المفارق ننتظر؛ الرملُ يمحو مناراتنا ، والشمس تهترئ في تجاعيد أيدينا .
 أه يا بلادي يا جلد الحرباء ، عطرك مطاط يحترق ، فجرك وطواط
 ييكبي . غير الفاجعة لا تلدين ، غير الحلزون لا ترضعين .
 هوذا سيّدك يا خادمة . هاتي له قهوة عدن ، هيّئي سريره . وأنا سيد
 الرفض – بعيداً عن النافذة أرتجف ، وبالفُتات أكتب هذه القصيدة .
 في أهدايبي دمع الرتيلاء ، في حنجرتي مزار الموت .
 سلاماً أيتها الجثة العائمة يا حياتي . واحترق يا جسدي أيها الرؤيا
 الكئيبة ، يا حمامة الوداع!

4

كلماتٌ بلا قمر تعبر نحونا . غيمةٌ عابسة تحمل ثلج الميلاد – ابتعدُ أيها
 المجوسيّ الضيف . قبل الأوان تدخل تخومنا ؛ وجهُنا أمير على الفراغ
 وتاريخنا زيد .
 ابتعدُ ابتعدُ .
 الوحل يطرح شبابه علينا .
 الوحل يلفُّنا بنسيجه .
 الوحل بين الجفون حريرٌ وعند الرقبة
 ولا غيم
 وأين أنتَ يا رعد يا رسول الطوفان؟ اقتحم اقتحم حرّماننا . نساؤنا
 ينتظرنك خلف سياج الحلم . في الغرف ينتظرنك وفوق العشب . الجنس
 يلفح جلودهنّ ولا حبيب غيرك .

أيها الوطن يا كتل الملح ، أيها الهزيل كالهواء ، الصابغ جلده برماد
 الكتب ، أيها الجندي الشيخ يا وطني ،
 أمْنَحْكَ في أحشائي أن تمشي ، أمْنَحْكَ الأنين مع خطواتي . تنهّد
 يا وحيداً مثلي ، تنهّد مكسور الخاصرة ؛ يائساً يائساً تنهّد .
 لن أموّه جذور الطاعون – تحت شجرة يأسّي أتفياً ؛ أجلس على أهدابي
 وأنتظر نسر الموت .
 على كتفي غمامة هاجر الأمل . كسر مزاميره في صدري . أسمع طريقاً
 تنزف شقائق وأكفاناً ، أسمع نحيباً في الشوك .
 أسميك أيها اليأس لكنك لا تُسمّى . بعد الآن لن نفترق ولن نمشي
 معاً بعد الآن .

5

تحت بيارق الرفض أسرج كلماتي – في غضون وجهي عرسٌ آخر
 والأرض بين يديّ امرأة .
 أحارب لحمي الممزق ، أنحني لصدّاقة البرق ، وبالرعد أمسح
 جراحي .
 قاتلُ القمر أنا ، قاتلُ العنقاء المشعوذة . أركب صهوة السمندل وأتنشّق
 الجمر .
 العقرب يرتسم وطناً . الضفدع يلبس قناع التاريخ . المجد يكتبه سطّيح
 والرّخ – لكن صراخي سيبقى : أه يا قفا العالم ، أه يا عذوبة الأشياء
 المنكرة .

فوق طفولة الأرض أكتبُ تاريخنا . لأبجدية المطر أزوج الحبر ،
ولتخشدن وجهي أظفار الشمس ، وليفرح قايين بحفيده .

6

حجرٌ تحت أقدامنا يعلو ، يعلو . جرسٌ أخضر في خطوات النهار . نجمةٌ
جلست عند البحر ، تركت لنا جلدها وغابت .
ثمة حردونٌ يغازل السماء . ثمة جبلٌ ينبع دخاناً وثلجاً . ثمة ساعة لا
تأتي .

من كهوف الحجر أيها الشاعر اخرج . مع الفأر والسمندل والحباحب
اخرج . واشهد لشعراء يسكنون وطناً لا اسم له ، وطناً منفوخاً بالعجث ،
لشعراء يقرأون قصائدهم للعشب ،
اخرج واشهد للشعر –
بعد القناديل هاوية الأجنحة ، بعد البحر موت الفجاءة .

7

ذاهلٌ تحت شاشة الرؤيا مأخوذٌ بالرفض – يا رجل! قل لنا أية تأتي ...

أغنية

النواقيس على أهدابنا
واحتضار الكلمات
وأنا بين حقول الكلمات

فارسٌ فوق جوادٍ من ترابٍ
رثتي شعري وعيناي كتابي .
وأنا تحت قشور الكلمات
في ضفاف الزبد المؤتلقه
شاعرٌ غنى فماتُ
تاركاً تحت وجوه الشعراء
للعصافير لأطراف السماء
هذه المرثية المحترقه .

تحولات العاشق

... من لباس لكم وأنتم لباس لهن .
قرآن كريم

الجسد قُبَّةُ الروح .
القديس غريغوار بالاماس

1

كان اسمُها يسير صامتاً في غابات الحروف ،
والحروف أقواسٌ وحيواناتٌ كالمحمل
جيشٌ يقاتل بالدموع والأجنحة ،
وكان الهواء راكعاً والسماء ممدودةً كالأيدي .
فجأةً

أورق نباتٌ غريبٌ واقترب الغدير الواقف وراء الغابات
رأيتُ ثماراً تتخاصر كحلقات السلسلة
وبدا الزهر يرقص
ناسياً قدميه وأليافه
متحصناً بالكفن .

كانت المرافق العضلاتُ الوجوهُ بقايا وليمةٍ لنهارٍ مرض ومات
ومدعوين لم تولد أسماؤهم بعد ...
(ورأيت موكباً من الأفراس البيض تمتطي السماء ، فهرولت صائحاً : ثعبانٌ
يركض خلفي . وكررتُ صائحاً : «ثعبان طويل كالنخلة ...»

لكن موكب الأفراس أسرع ولم يسمعني . وقلت
أخذ فرساً وأنجو
توسلتُ وتحققتُ : لا صوت لي .
ربطتُ خاصرتي بريح الجزع ، وتطايرت .

هوذا شيخٌ برائحة طيبة ، في طريقي
— «هل تقدر أن تجبرني من هذا الشعبان؟»
— «أنا ضعيف وهو أقوى مني . في الطريق من يجيرك ، أسرع» .
أسرعتُ حتى انتهيتُ إلى الهواء
كانت السماء ترنو إليّ أظهر وأغيبُ في الظلمة
والرياح تتلفظ بي وترددني ،
سمعت صوت الشيخ من بعيد :
«أمامك جبلٌ ملآن
بودائع الحياة . لك فيه وديعة تنصرك وتجيرك» .
وسمعت صوتاً آتياً من الجبل :
«ارفعوا الستائر وأطلّوا» .
التفتُ فإذا الجبل نوافذُ
والتوافذ أطفالٌ وأمّهات . ونظرت مصعوقاً : طفلةٌ تبكي ، تقول هذا أبي ثم
أشارت إلى الشعبان فولى هارباً .
وامتدّت نحو يديّ

جذبته وأدخلتني مكاناً لم أعرف عمره .
كان هناك سريرٌ ينتظرني . يجلس عند رأسه طيفٌ ينهض كالشدي ويلبس
عجيزةً وصدرأً وما تبقى ،

واستيقظ جسدي ، وهوى أسير المسامُ وخواتم العين والسرة والطبيعة الثانية
التي تتناسل فيها أنواعٌ ثانية من الخشخاش واللُّقاح وسواهما من نباتات
الذكورة والأنوثة ،
وأخذ جلدي يتهياً لسقوط كوكبٍ آخر في تجاعيده .

2

تكبرين في الجهات كلها
تكبرين في اتجاه الأعماق
تفتحين لي كالنبع
وتستسلمين كالشجرة .
وأنا
كنتُ عالقاً بأبراج الحلم
أرسم حولها أشكالها
أبتكر أسراراً أملأُ بها ثقب الأيام ؛
نقشتُ على أعضائك جمرَ أعضائي
كتبتك على شفتي وأصابني

حفرتك على جبينني ونوعتُ الحرف والتَّهجِية وأكثرُ القراءات
كان تنهّدي سحاباً يسندُ الأفق
رداءً أنسجه وتلبسينه مصبوغاً بالشمس
وكان الليلُ ضوءاً يقودني إليك .
في طياتِ ثوبك اختبأت
رافقتك إلى المدرسة
سرقْتُ خطواتنا أجراسَ العتبة
وانسللنا
جلستُ إلى يسارك في الصفّ
نمتُ بين أهدابك
وما رأيتهُ

في سفرٍ لم يصل إلينا كنتِ
ثيابك الأقاليمُ والفصولُ دربكِ إليّ .

على جذوع الشجر قرأنا اسمنا
مع الحجر تدرجنا
الشجرُ أصواتٌ مثلنا والترابُ تحت وهجنا ثمرة
نرافق غيمةً
نتحدث مع البيوت
والنهار يسير خلفنا مكسوراً بالعشب

ثم تصعدين بخوراً صوب قاسيون
وفي دخانك أترنح
طبعاً ، أليفاً ، ولي طعمك الخجول .

3

ليبير ، ليبيرا ، فالوس ...
خيطة من الفجر حامض على العين يوقظنا
أحكمي عقدة الجفون .
في جسدينا يرفع الضوء تلاله وراياته
واللهب يمتد وسائد وسائد
أحكمي عقدة الجفون .
النهار يعلن الليل - استيقظي .

أخترق سفينة جسدي إليك
أستطلع الأرض الغامضة في خريطة الجنس
أتقدم
أكسو ممراتي بالطلاسم والإشارات
أبخرها بهذياني الأدغالي ، بالنار والوشم ،
أحسب نفسي موجة وأظنك الشاطئ :
ظهرك نصف قارة ، وتحت ثدييك جهاتي الأربع .
أتشجر حولك

وأهوي ، بينك وبينني ، نسراً بالآف الأجنحة .
أسمع أطرافك الهاذية
أسمع شهقة الناصرة وسلام الأوراك
يقلبني الحال
أدخل صحراء الجزع هاتفاً باسمك
نازلاً إلى الأطباق السفلى
في حضرة العالم الأضيـق –
أشاهدُ النَّارَ والدمع في صحنٍ واحد
أشاهدُ مدينةَ العجب
وتسكر أحوالي
هكذا يقول السيد الجسد .

أيتها المرأة المكتوبة بقلم العاشق
سيرى حيث تشائين بين أطرافني
قفي وتكلمي :
ينشق جسدي وتخرج كنوزي
زحزحي نجومَي الثابتة
وأستلقي تحت سحابي وفوقه
في أغوار الينابيع وذرى الجبال .
تجتمع حوالي أيام السنة

أجعلها بيوتاً وأسرّة وأدخل كل سريرٍ وبيت
أجمع بين القمر والشمس
وتقوم ساعة الحب
أنغمسُ في نهرٍ يخرج منك إلى أرضٍ ثانية
أسمع كلاماً
يصير جنائنَ وأحجاراً أمواجاً أمواجاً
وزهراً سماويّ الشوك
هكذا يقول السيد الجسد .

عاليةً عاليةً عاليةً
صيري وجهي الطالع من كل وجه
شمساً لا تطلع من الشرق لا تغيب في الغرب
ولا تستيقظي ولا تنامي ...
أصعد إليك هابطاً إليك
أجمع أقاصي همومي وأطرافها
وأهجم عليك بقلبي
وأقول للوسوسة أن تطوف بي على كل خليةٍ فيك .

تنصيبين سريرك
أو تفرشين الأرض
نزرع أشجار الجسد

تَتَغَطَّى بِأَصْوَاتِنَا

إِلَى أَنْ يَحِينُ مِيقَاتُ الظُّهُورِ .

اغْتَرَبَ الْجَسَدُ

مَسَّهُ التَّحَوُّلُ

وَجَّعَ الْمَفَاصِلُ نَبْضُ الْأَطْرَافِ هَنْدَسَةُ الْعِضْلِ وَأُبْهَةُ الْفَعْلِ

الانْقِبَاضُ التَّقْلُصُ الْإِنْفَسَاحُ

مَهَابِطُ الْجَسَدِ مِصَاعِدُهُ سَهْوُهُ مِدَارُجُهُ التَّوَاءِمُ

أَرْضُ الْخَاصِرَةِ الْمَلِيشَةُ بِالنَّجُومِ وَأَنْصَافُهَا بِبِرَاكِينِ الْجَمْرِ الْأَبْيَضِ

بِشَلَالَاتِ الْجَمُوحِ وَالشَّهْوَةِ

بَعْدَ هَذَا نَتَقَيَّا سِرَادِقَ الْحَوْضِ

حَيْثُ يَسْتَدِيرُ كَوْكَبُ الْجِنْسِ

يَكْتَمِلُ التَّحَوُّلُ

يَصِيرُ ثَدْيَاكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

هَكَذَا يَقُولُ السَّيِّدُ الْجَسَدِ .

4

لِيَبِيرَ ، لِيَبِيرَا ، فَالْوَسْ . . .

(«الْحُبُّ عَلَى الْبَحْرِ ، الْبَحْرُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ ، وَالْدُّنْيَا كُلُّهَا حَرْفٌ فِي كِتَابِ

الْجَسَدِ .

— مَاذَا رَأَيْتِ؟

— فارساً يقول : « لا تريدن شيئاً إلا كان » .
أخذتُ قمحاً بذرتَه وقلتُ له اطلع ، فطلع . قلتُ انحصد ،
فأنحصد . قلتُ
انفركُ ، فأنفركُ . قلتُ انطحن ، فانطحن . قلتُ انخبز ،
فانخبز
فلما رأيتُ أنني لا أريد شيئاً إلا كان ، خفتُ واستيقظتُ وكنتُ
على وسادتي .
وأنت ماذا رأيتُ؟
— ريحاً فيها شهب من النار وراءها أطفالٌ يقودونها
— ماذا أيضاً؟
— هضبةٌ تتحركُ وتنشقُّ عن غزاةٍ جبلى
— ماذا أيضاً؟
— كنا معاً في مركبٍ وكنتُ حاملاً . وبينما نحن في عناقِنا الأليف انكسر
المركبُ ، فنجونا على خشبةٍ من أخشابهِ ، وضعتُ عليها طفلك .
وصححتُ : عطشانة ، فقلتُ : من أين ونحن في هذه الحالة؟ ثم رفعتُ
بصري إلى السماء وإذا بشبحٍ في الهواء يمدُّ لي
إبريقاً أخذته وسقيتكِ وشربتُ
ماءً أشهى من العسل وأطيب
ورأيتَه يغيبُ وهو يقول «تركتُ هوايَ لهواه
فأسكنني في الهواء .»

طامحٌ جسدي كالأفق وأعضائي نخيل
تُثمرين في
أُقطف تحت صدرك ، أَيْبَسُ وأنتِ ريحاني والماء
كل ثمرةٍ جرحٌ ، وطريقٌ إليكِ
أعبركِ وأنتِ سُكنائي أسكنكِ وأنتِ أمواجي
جسدكِ بحرٌ وكلٌ موجةٍ شراعٌ
جسدكِ ربيعٌ وكلٌ ثنيةٍ حمامةٌ تهدل باسمي
تحشرين إليه أعضائي
أُتجه في تيهٍ وسكرات

أرتعبُ أُنْجاسرُ
أُستعجدُ بالغابات والبراري
بالطينة الأولى

أتمزقُ أنفطر نازلاً إلى أغواره
مليئاً بخلائقٍ تشتعل تنطفئُ تشهق وتزفرُ ،
تخطفني هاويةً منه

أصعد
ألملمُ قلبي المتناثرَ في نهاياتي
أرفع بصري إليكِ تنادينني :

أبطأت يا حبيبي أبطأت
جسدي خيمة أنت حبالها وأوتادها ،
أبطأت يا حبيبي ...
طفلٌ تحت ثيابي يصرخُ الحبُّ الحبُّ
الشجرُ مصابيحهُ والهواءُ برجه وأجراسه
راكضٌ حبُّه في قِوادم الرِّيح
طائرٌ حيث لا حدَّ
في اتِّجاهِ السَّماءِ السَّماءِ السَّماءِ ..

تذكرين
بيتنا واقفٌ على حِدَةٍ في نسيجِ الزيتون والتَّين والنَّبع يرقد حوله
صغيراً كالْبُوْبُو
تذكرين
الخشبُ يرفرف كالفراشات
والليل أول الأرض ...

الليل ...
عمَّقي فُوهة الصَّدْرِ صِيري متاهةً واحضنيني
يكون لي تاريخٌ من الرُّعد
سهولٌ يحرثها الرِّحيل
جزيرةٌ من محابر الجسد

أَصِلْ أطرافها بموتي وأسكن في أوائل الحروف
الليل ...

بين الزَّغَب أنصب خيامي
أختلج

أُهيئُ عِدَّةَ السفر

كلَّ خلجة بلادٍ والطرق مضيفةً كأحشائي

ننحني نتوتّر نتقابلُ نتقاطعُ نتحاذى

(أنا لباسٌ لكِ وأنتِ لباسٌ لي)

تتخمرُ العضلة

وتأخذ البشرة لونَ البنفسج وطعمَ البحر

حيثُ تُومئُ اللجةُ وتُبحر أطرافنا

نسمع أنينَ السرائر

نلمعُ عروقنا تنزيًا بالموت

نتقوَسُ ونكبو

أه الماءُ المخلّصُ الحبُّ

لماذا التعبُ الراحةُ يا نسيجاً أكثرَ تلاصقاً من الماء يا حبُّ؟

أعراسُ أعراس

سِحْرٌ آخرُ يُضيئنا لا الشمس

أعراسُ أعراس

تفتح وجهنا على مدائن السحر

تفتح نخومنا على الجنس
والحلم أرضٌ تدور تحت أهدابنا
يا للحبِّ الآخر في الحبِّ
أيها البعدُ الذي يبدأ بعد الأبعاد .

كما خلقتكِ اشتهيتني
كما شئتكِ انسكبتِ في
تدخلين في إيقاعي
تدهنين ثدييكِ بكلماتي وتغرقين في قِراءة الحب
حيث أرفع مدينتي وأحيا
نحيا ، ومن أعماق الأشياء الحاقدة نعلن الحب

نحلم أن أهدابنا محابر والنهار كتابٌ مفتوح
أبعدَ من الحلم سرنا
أبعدَ من القلب أحببنا
قلنا لا تُسمِّنا لمن يُسمِّي واستيقظنا
أنتِ بحيرةٌ
وأنا جذع لفاح وملأنا بالأرض
أرسو في شواطئك وخصركِ مراساتي

أيُّ مدٍّ ينتظرنا؟

مغلّقٌ نَفْسِي كالمحار وأنتِ لؤلؤي وصبيّادي
وجهك حاملٌ شِراعي وبين حُبنا والسَّمَاءُ فضاءٌ لا يكفي
أكشفُ الوجهَ الثاني من النهار
المحُ الجَهةَ الثانيةَ من الليل
أصرخ بالبحر: أيها الجامعُ انكسرْ كالقَصَبَةِ
وبالرعد: اسمعْ!
أَسألُ:

هل الحبُّ وحده مكانٌ لا يأتيه الموتُ؟
هل يقدرُ الفاني أن يتعلم الحبُّ؟
وماذا أَسْمِيكَ يا موتُ؟
بيني وبين نفسي مسافة
يرصدُّني فيها الحبُّ يرصدُّني الموتُ
والجسدُ عمادتي

من أعماق الأشياءِ الفانية أعلنُ الحب
ليبير ليبيرا فالّوس ...
- «كيف تزوّجتني؟»
- «كنتُ أسير وحشيّاً ليس عندي ما أسكن إليه وأرتاح
فنمت نومةً واستيقظت
وإذا على وسادتي امرأة
تذكرت حواء والضلعَ الأدميَّ وعرفت أنّك زوجتي .

يومها حلمت أن سحابات رُفعت لي
وناداني صوت : اختر ما شئت
فاخترت سحابة سوداء منها وسقيتك
وقلتُ

أيها الجسد انقبض وانبسط واطهر واختر
فانقبض وانبسط وظهر واختر
ورأيت ثوبي يميل عني
والظلام يغشاني

وطلع مني العالم صارخاً كالحرية :
«اهبط عميقاً عميقاً في الظلمة»
وقعتُ في الظلمة

رأيتُ الحجر ضوئاً والرمل مياهاً تجري
والتقيتُ بك ورأيتُ نفسي
قلتُ :

سأبقى في الظلمة ولن أخرج
لكن

جاءت الشمس وهربتني
ورأيت كل شيء يدخل في الشمس ...
وكيف تزوجتني؟

« كان جسدي هبواً إليك
يتلون بالأرض هبواً إليك » .

أمس ،

أغلقت بابَ غرفتي مع النجمة الأولى
أسدلتُ الستارة الوحيدة ونمتُ مع رسائلها
وها وسادتي مبلّلة والكلمات حُبالي

أحلم -

أغسل الأرض حتى تصير مرآةً
أضرب عليها سوراً من الغيم سياجاً من النار
وأبني قبةً من الدمع أجبلها بيدي

« ماذا أعددتَ هديةً أخيرة؟ »

« قميصي الذي لفنا يوم تزوجنا .

وسأُنزل معكِ

إلى القبر لأهونَ

عليكِ موتِ الحبِّ ،

أمزجكِ بمائي وأسقيكِ للموتِ

أعطيكِ ملكي : القبر ومجانبة الموت . »

مرةً رأيتها بحراً يعلو

عشقتُ الزبدَ

وأقسمتُ أن تكون الأمواج جارتي

أنزّه في ملحها همومي
وتقرأ عليّ أصداءها

(ترى ما تحت الجلد . هل تريد ، إذن ، أن تكشف قارة الأعماق؟ اترك
لغيرك أن يكتشف قارة الأعالي .)
الأعماق ...

(كنا حشداً كبيراً ، نساءً ورجالاً ، نسيرُ في طريق النساء .
فجأة خرج علينا فهدّ قطع الطريق . قلت لرجلٍ بجانبِي :
- أليس هنا فارسٌ يرد عنا هذا الفهد؟
- لا أعرف لكن أعرف امرأةً تردّه .
- أين هي؟
سار وسرت معه إلى هودج قريب فنأدى :
- نادا ، انزلي وردّي عنا هذا الفهد .

قالت :

- أيطيب قلبك أن ينظر إليّ وهو ذكر وأنا أنثى؟
قل له : نادا تحبيك وتأمرك أن تفتح الطريق ،
فحنى الفهد رأسه وغاب .)

الأعماق

لماذا تستعجلن موتي أيتها الصديقات؟

اتركنني

أسمع في ذاكرتي أجراساً

أسمع في الأجراس أرضاً ثانية

تنقصني أرضٌ ثانية لأضيف إلى لغتي كلماتٍ جديدة

ينقصني

الموت

اتركنني

دعنتني صدفةٌ قرأت شعرها عليّ،

قرأت أيضاً صفحاتٍ من كتابٍ سمّته «غرفة الصدفة»،

كانت وهي تقرأ تكشف أسرارها :

رأيت فيلاً يخرج من قرن الحلزون

رأيتُ جمالاً وأحصنةً في محاراتٍ بحجم الفراشة

وُلد أمام عينيّ كائنٌ نصفه حجرٌ ونصفه الآخر

حيوانٌ أشارت إليه هامسةٌ : هذا هو المرأة

ثم وشوشتني :

«ضع أذنك بين أوراقِي» -

سمعت إيقاعات الفصول

سمعتُ موسيقى بيتٍ يتهدّم، يكبر وهو يتهدّم وحين أذنت

برحيلي سمعتُ أصواتاً تردّد :

«سلامٌ للأصداف ، للمداخل اللؤلؤية

سلامٌ لملكِ الجبال النائمِ هناك
سلامٌ لخطاطيفه المغنّنة ...»

أغلقي
جسدي غرفةً مغلقةً
جسدي غابةً وسدودَ وأقنيةً مغلقةً
أغلقي
جسدانا زوايا وأغطيةً ضيقةً
جسدانا رتاجَ وسقّاطةً والممرُ إلينا
ولّه في النباتِ المعرّشِ في الفُسحةِ الضيقةِ
بين أفخاذنا والعيون
ولّه يفرز الجنونُ
أغلقي
كلّ أصدافنا تظلّ ، وإن كُسّرت ، مغلقةً
أغلقي
أحكمي عقدة الجفون
لون أهدابنا ، حين نعرى
ونلبس أحلامنا ، ونؤسّسُ ،
خارطةً مغلقةً ...

6

شَمْسُ العاشق تتدلَّى ويحنيها النوم
يلزم أن يأخذَ الغيب عطلة الحصاد
أنَّ يسبح وجهي في روح الدنيا
هل أمزق سفر الخروج
أنحني فوق صورتني وأقرأ رملها المزرد كالدرع؟
هل أهمس لثيابي :
تنقلني على عَكَازٍ كمن يحلم واقفاً
تعلقني إشارات وبيارق
في أحراش الأصابع والرَّقبة حيثُ أسكر وأدوخ كدوّار الشمس؟
هل أقول لهذا الكرسي :
اتَّبعني ، وابقَ وفياً للتعَب الذي تشرَّبته خلجةً خلجة؟
هل أذكر الموتَ بأوراقه التي نسيها عندي في زيارته الأخيرة؟
بين أصدافي وبينني قوس ألوانٍ ومسافات
تستطيع المدن أن تعبر تحته وتستريح
لأصدافي أيضاً شوارعها وأشجارها ، ولها عُرف نومٍ وأعياد
لو يتكلم السرطان لسألته أين يبيت الليلة
لو ينام البحر لفرشت له سريراً عندي ...

1 - صوت :

«ترك رأسينا خارج العهد

نمنح لكليهما عقايره وأشباحه
رأسكِ وسادةً ، رأسي بركان يشتعل

ثم نكتب الوثيقة :
«المرأة بيت موقت للرجل البيت الموقت
«الرجل غد الرجل ، المرأة مستقبل المرأة»
مع ذلك نبدأ الصفحة التالية
نتحاور بالأرجل
بحبر المسام وكلماتها
ونلهو في ممراتها المقنعة

فجأة

تجيء المحمم تومع الصاعقة
نستيقظ ويجري كلانا وراء رأسه
في حنين السكن والإقامة وأمواج الركض
وراء الوطن الآخر
الضائع الدائم . . .»

2 - حوار :

- بيني وبينك حجاب ولن تريني

أُنِّي لكَ المِفَاتِحَةَ والكُشْفَ؟
وَقَعَ فِي قَلْبِكَ المَوْتُ فَاسْتَنِيرِي بِالمَوْتِ
وَمَنْ أَيْنَ تَحْرِقِينَ العَادَةَ؟
تَحْبِطِينَ ، تَحْلُطِينَ ...
أَحْوَالِي لَمْ تَسْتَحْكَمْ فِيكَ ...
— أَنَا قَرَارُكَ
طَبِخْتُكَ شَمْسِي
لِبَسْتِكَ خَاتِماً خَتَمْتُ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ .

3 — أَغْنِيَةِ :
جَسَدُ الشَّاعِرِ
جَسَدُ الطِّفْلِ والغُرَابِ
جَسَدُ فِي الكِتَابِ
فِي هَشِيمِ السَّائِرِ فِي البَابِ فِي الحَجَرِ السَّاهِرِ
بَيْنَ عَيْنِي وَالْكِتَابِ
جَسَدُ فِي الزَّوَايَا
فِي السَّرَابِ الَّذِي يَتَنَاسَلُ تَحْتَ المَرَايَا
جَسَدُ يَتَنَاءَى
حَجَرًا طَائِرًا يَتَلَقَّفُ أَوْ يَضْرِبُ السَّمَاءَ
جَسَدُ يَتَفَتَحُ فِي الحَلَمِ ، يُغْلَقُ فِي اللَّيْلِ ، يَمْتَدُّ بَيْنَ الحُرُوفِ

جَسَدٌ يَتَقَهَّرُ فِي أَوَّلِ الصَّفَوفِ
جَسَدٌ يَتَرَاءَى
كَالطَّرِيقِ الْمَعْلُوقِ ، يَفْتَحُ أَوْرَاقَهُ وَيَسْتَنْطِقُ الْفَضَاءَ
حَيْثُ لَا يَعْرِفُ الصَّدَى أَدْوَارَهُ
حَيْثُ لَا شَيْءَ فَوْقَ مَسْرَحِي الْمَقْبَلِ غَيْرُ الصَّدَى وَغَيْرُ
السَّتَارِهِ . . .

4 - أُغْنِيَةِ :
أَدْعُوكِ يَا نِهَآيَةَ اللَّيْلِ أَنْتَشِي وَطُولِي
صَبِيرِي عَلَى فَرَاشِي
سَاحِرَةً ،
أَدْعُوكِ أَنْ تَقُولِي
مَاذَا يَقُولُ الْحَبُّ لِلْعَاشِقِ ،
فِي نِهَآيَةِ الْفَصُولِ ؟

5 - أُغْنِيَةِ :
لَمْ يَزَلْ شَهْرِيَّازُ
فِي السَّرِيرِ الْمَسَالِمِ ، فِي الْغُرْفَةِ الْوُدِيعَةِ
فِي مَرَايَا النِّهَازِ

سَاهِرًا يَحْرُسُ الْفَجِيعَةَ
سَرَقَتْ وَجْهَهُ الْكَلِمَاتُ الْخَفِيفَةُ
عَلَّمَتْهُ السَّبَاتُ
فِي سَوَادِ الْبَحِيرَةِ فِي زُرْقَةِ الْحَصَاةِ
بَيْنَ أَنْقَاضِهِ الْأَلِيفَةِ .

لَمْ يَزَلْ شَهْرِيَّازُ
حَامِلًا سَيْفَهُ لِلْحَصَادِ
حَاضِنًا جِرَّةَ الرِّيَّاحِ وَقَارُورَةَ الرَّمَادِ
نَسِيتُ شَهْرَزَادَ
أَنْ تُضِيَّءَ الدَّرُوبَ الْخَفِيَّةَ
فِي مَدَارِ الْعُرُوقِ
نَسِيتُ أَنْ تُضِيَّءَ الشَّقُوقِ
بَيْنَ وَجْهِ الضَّحِيَّةِ
وَحُطًى شَهْرِيَّازُ .

(بيروت ، 1962)

أقاليم النهار والليل

تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً .

قرآن كريم

أه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

الإمام علي

وكنت لا أرى في النوم شيئاً إلا رأيت في اليقظة .

أبو القاسم الجنيد

١- فصل الحجر

1

— «سلامٌ . ألكَ رفيقٌ يُونسك؟

— «نعم .

— «أين هو؟

— «أمامي وخلفي ، عن يميني وشمالي .

— «ومن أين تأكل؟

— «حينَ أحتاج إلى الطَّعام ، أسمع فوق رأسي صليصلةً . أنظر فأرى كأساً

تتلى

وشخصاً في الهواء يناولني رغيفاً .

— «ومن يزورك ويخدمك؟

— «الدنيا . تجيء إليّ في شكل امرأةٍ ضيّقةٍ الخاصرة .

— «هل ترافقني؟

— «إذا رأيّنتي مرّةً ثانيةً ، لا تكلمني .»

تعبّرُ نارُ زرقاء في الجمجمة
تعبّر في أوائل الهدب
حيث تنهض أرضي وتومئ وتنحني -
أرضي!
صوتُ طالعٍ من هنالك
عطرٌ يأتي
جبلاً تَسْتَيْقِظُ كأعناق الأطفال
سُعالاً يتهدّج في حناجر الماء ،
وفي طبقات الورد والزُرقةِ
أشخاصٌ يأتون يروحون يكتسون بالبراعم
ويمسحون دموعهم بالأوراق .

أرضي ...
امرأةٌ بخضرة اللّهب
يَتَصَاعَدُ حنينُها وسائد وسائد
تتعرّى المسافة
ويمتلئ وجه الليل بشامات الرّوح .
هكذا أزهى صائحاً : مَنْ يعرف مثلي الأسرار وقد نَفَخْتُ بين
شفتي الأرض؟
أترَبّع في الهواء

أَتَدَثِّرُ بِالدُّنْيَا
أَتَعْبُ ، أَضْرِبُ خِيَمَتِي بَيْنَ عَيْنِي ،
وَحِينَ أَعُوذُ
أَغْلِقُ بَيْتَ نَفْسِي وَأَسْتَغْلُ بِحَالِي .
أَرْضِي !
عَالِمَةٌ كَالْجَسَدِ ، مَلِئَةٌ كَالْجَسَدِ
كُلُّ عَضَلَةٍ فَاتِحَةٌ ،
كُلُّ فَاتِحَةٍ عَتَبَةٍ :
اقْرَعِ أَيُّهَا الزَّمَنُ اقْرَعِ

ثَمَّةٌ سِلَاسِلُ
مَسَامِيرُ
قُضْبَانُ
بَشَرٌ بِأَقْدَامِ أَرْبَعٍ تَصْهَلُ وَعَلَى اللَّجَامِ أَحْلَامٌ وَعُطُورُ
التَّقْدِيسُ التَّصْدِيقُ الْعَجْزُ
السَّكُوتُ الْإِمْسَاكُ الْكَفُّ التَّسْلِيمُ التَّسْلِيمُ
ثَمَّةُ أَصْوَاتٍ تَتَعَالَى
الْبِدْعَةُ ، الْبِدْعَةُ الْمَحْدَثُ ، الْمَحْدَثُ !
تُبْطِلُ سَنَةً قَدِيمَةً
نَرْدُ لِلْإِنْسَانِ اسْمَهُ
وَنَبْدَأُ

أقرعُ أيَّها الزَّمنُ أقرعُ
يلزم صبرُ الحجرِ
تلزم شجاعةُ القبرِ .

أنهضُ نحوكِ يا أبعادي
أرضاً

تتطايرُ في هواءِ التاريخِ
تتقصَّفُ غصناً غصناً .

انطفأتُ نيرانِ خيامها ومعسكراتها
انطفأتُ شهواتها

أسمع فوق رأسها ناقوساً من العناكب
ألمح على قبرها غطاءً من الكلماتِ الشائبة ، -
نجمةٌ تتقمصُ نعجةً لتعرفَ السماءَ وتشهد ،
غيمةٌ تلدوب ،

تنفياً ظلَّ صخرةٍ وتنتظرُ الترابَ عشيقها الشيخ ،
ريحاً مسحورةً بخرومِ الإبر ...
أرضاً

تتقصَّفُ غصناً غصناً ، -

ثديُّ النملةِ يفرزُ حليبهُ ويغسلُ الاسكندر
الفرسُ جهاتِ أربعٍ ورغيفٌ واحد
والطريقُ كالبيضة لا بداية له .

أنهض نحوكِ يا أبعادي
أرضاً -
جسراً كالطفل يرضع أعمدته

ورقاً تكلس فوقه الكلام
اللسان ينبت في الأقدام طويلاً حتى السرة
واللغة رماً يتكوم قرب العجيزة ؛
أرضاً
تتقصّف غصناً غصناً -
الجدار يصير دمعاً والدمع ضحكاً
النهار يكتهل حنيناً إلى الموت
كل شيء يسافر تحت راية البراعم
براعم النشور والقبر
القشّ والمطر
الزّرع والحصاد
كل شيء زهر أسود ،
الحوانيت غيوم حُبلى بالبرق
الشوارع قامات يكسوها الحلم
الحلم طائر مليء المخالب يُعشش في سقف الأيام
رمح يخرق الفارس والدرع
يجلس فوق الغنيمة ويشرب النّجيع كالخمر

نجيع اللؤلؤ والكتاتيب ،
الحروف المقدسة وأسرار الموائد والكراسي ...

أرضاً ، أرضاً ، أرضاً
ثمّة رأسٌ كالصندوق يلبس حذاء النبوة
سُرّة ترتسم على جبين المقاهي
عرسٌ يدور تحت سراويل الموت
حَجَرٌ يتشاءب ،
ثمّة وارثونٌ خِفَافٌ كالرّيش يحملون الطّميّ والترسّبات
ثمّة نارٌ أجبنُ من الماء .
أنهضُ نحوكِ يا أبعادي
أرضاً
تتطاول خيمةٌ خيمةٌ :
ينتظرني خوانُ الفتوى -
باقاتُ الكتب
فناجين الكلام
عطرٌ يتسلسلُ
من أردان امرأةٍ بيسست في الدّنيا ونورٌ نهداها في حدائق الآخرة ،
ينتظرُ مقعدٌ بحجم القفص -
أشهد مسرح النهايات ،
نهاية الشمس والهواء

الوثب والعلو برحمة الشهيق والزفير
نهاية الثقب التي تربط النفس بخيط الأشياء الحُبلى بالأشياء
ونهاية الجنين .
وتحت الخوان يجثم النهم
ويتكوّم الفضاء جُنة تسكر حولها مناقيرُ الجوع
والعودة إلى أول

الدائرة ،
وراء الاجترار وخطوطه عرضاً وطولاً وإلى أسفل سافلين ...

أنهض نحوك يا أبعادي
أرضاً
موجاً قائماً في الهواء
فرساً من المسك تنبتُ حوله أشجار الدفلى
أنهضُ نحوك -
الجبالُ عروقي وبين لحمي وجلدي دبيبُ النمل : أرتعش ،
يسقط من كل رعدة كتاب .

(هنا ،
طلع أمامي ثورٌ بثلاثين قرناً وعشرين قائمة ، وبين أذنيه ياقوتة خضراء .
ورأيتُ دابةً غريبةً تمشي . تناولتُ حجراً ، فأسرعتْ هاربةً إلى النهر ،

وسبحتُ على ضفدعةٍ إلى الجانب الآخر . تبعتها . نزلتُ عن ظهر
الضفدعة وسارت . رأت رجلاً نائماً بهمُ ثعبانٌ كبيرٌ يلدغه . عضته الذأبة .
قتلته وغابت . فازدتُ تعجباً ، ثم أيقظتُ الرجل فقام ، ولما رأى الثعبان بدأ
يهربُ . فقلتُ :
لا تخف ، وقصصتُ عليه القصة) .

أنهضُ نحوكِ يا أبعادي
أترؤدُ بعصايَ —
أشتهي الفاكهة
أغرسُ أشجاراً تورق وتثمر للحال ،
أظمأ ، تصيرُ إبريقاً
أدخلُ مغارة الليل
يصير طرفها الأسفل ناراً والأعلى قمراً ،
وقبيلَ النوم ، تطيِّبني وتحادثني ،
وحين تعرف أنني غاضبٌ تُصبحُ شيئاً آخر .
وتحرقُ ما تراه ...

أنهضُ نحوكِ يا أبعادي
أصعدُ في الحجر والدمع
أصرخُ الهواءَ الهواءَ ، وأشفقُ على غيري من صراخي ،
أصعد ، أتعبُ ، أسقطُ في خدرٍ بلا لونٍ في عالمٍ لا يليقُ بي .

أرى رجلاً صالحاً يركب على جرادةٍ ويلبس خُفّاً أحمر
ويقول : الدنيا سِحْرٌ سِحْرٌ ...

– («أين أصادفُ صديقنا الخضر؟»)
– («عند الصخرة في كُوةٍ على البحر ، وترى أثر جناحيه في الطين»).

ورأيتُ الخضر يُدخل جناحيه تحت المدينة ويقتلعها ...
المدينة!

(السراطينُ تخرج إليها كالليل ، تدخل البيوتَ بَغْنةً وتقفز بين الشِّفاه)

أصعد نحوكِ يا أبعادي وأدعو ما حولي ليشاركني الولادة :
أصيرُ شيئاً من المكان – جدولاً ، أو سمندلاً ، أو خزامى ، أو غير هذا من
خلائق الربِّ سبحانه
تُولد أنذاك الشِّفافية
أدخلُ أنذاك في النسيج الكوني ،
أصعدُ أصعدُ أصعدُ
تهتُ

وقعتُ في بَرِّيَّةٍ :
(هذه عجوزٌ جميلة تركب على أسدٍ حوله سباع كثيرة . طاش عقلي .
قدّمت لي كوزاً أحمر ما رأيتُ أشهى من مائه .

— «مَنْ أَنْتِ وَمِنْ أَيْنِ؟»
— «قِيلَ لِي أَنْ أَسْقِيكَ وَأَدْلِكَ عَلَى الطَّرِيقِ.»
— «مَنْ قَالَ لَكَ؟»

ولم تجبني العجوز الجميلة وغابت عن عيني .
وصاح طائرٌ فسمعت صوتها يسألني :
— «أتعرف ما يقول؟»
— «...»

— «يقولُ : النَّهَارُ فِي ضَيْقٍ وَبَيْنَ جَنَاحَيْي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقِيمَ وَيَتَبَحَّثَ» .
وحين ناداني نَسَرْتُ سَمْعَهَا تَضَحِكُ وَهِيَ تَوْشُوشُنِي :
«يقول : فِي الْبَعْدِ عَنِ النَّاسِ أَنْسَ» .
وصاحت الشمس وهي تطلع فقالت :
— «أتعرف ما تقول؟»
— «...»
— «تقول : أَنَا قَصْدِيرُ الْأَرْضِ ، يُجْلَى بِي صَدَأُ الْعَالَمِ ، وَبِي تُلْحَمُ أَجْزَاؤُهُ.»

أصعدُ أصعدُ أصعدُ نحوكَ يَا أبعادِي
وحين تَظْهَرُ غَيْمَةٌ أَقُولُ جَاءَتْ مَرَسَاتِي .

يلزمني الخروجُ من أسمائي -
أسمائي غرفة مغلقة

جُبُّ غائب
علي أسبر علي أحمد سعيد علي سعيد علي أحمد أسبر علي أحمد
سعيد أسبر
يصارع يتكسر كالبلور
وأدونيس يموت
والهواء شقائق وأعراس في جنازته

أورفيوس!
الرعاة يبحثون عن ذبيحة . قل لرأسك أن يطفو مركب أغنيات على النهر ،
وامنحهم نعمة أن يروك . الوباء جالسٌ مقيم لا يطرده إلا صوتك - إلا
دمك ، أورفيوس! أورفيوس ...

- اهدأ أيها البقر الوحشي اهدأ
لم يعد وراء جلده غير الإبر
والحب هذه الليلة شيخٌ في العشرين ...
اهدأ أيها البقر المسكون بالزلازل
الجلدران تتلوى كالخيزران

والرياح تتوافد أبراجاً أبراجاً ...
اهدأ يا بقرأ محشواً بالليل
الضوء يفتح الشبايك جارياً كالمهر
والشارع مياه وأطفال ...

يلزمني الخروج من أسمائي ، -
- هل يخرج من جلده ويمضي؟
يشجعني ويهتفُ بي هاتفٌ :
حرك شفتيك بكلام لا يفهمه غيرك فيصغي
إليك الورق وجحيم الأغصان
تسمع من يجيبُ موشوشاً : تلزمك صحبةٌ مع غير العالم -
تطالع بجوارحك الغيب ، وتحيا مطبوعاً على البدعة ،
وسوف أعتصمُ بجوعي ،
لن أشبع
لن أكل إلا موتي .
لماذا لا يأنس إليّ غير الهواء والحجر؟
لماذا لا تُسرّ بي غير الأشياء؟
هل أنا وحش الحقيقة في هذه الخرائب حولي؟
ومتى ستُفتح عليّ تهاويلُ الدنيا؟

شَبَّحُ يَتَغَلَّغُلُ بَيْنَ سَلَالِمِ الْوَقْتِ
 شَبَّحُ يَسِيرُ فِي تَجَاوِيفِ لَيْئَةٍ
 يَحْمَلُ أَفْكَاراً تَفْرَحُ فِي رُؤُوسِ النَّخِيلِ وَرَمْلِ الشَّوَارِعِ
 يَحْمَلُ قُلُوباً أَحْنُ مِنْ الْعَصَافِيرِ ؛
 لِيَدْخُلَ هَذَا الضَّجِيجُ الطَّوِيلُ الْقَدَمِينَ الْآتِي بِاسْمِ آتٍ لَا أَنْتَظِرُهُ ،
 لَوْ اسْتَيْقِظَ مِثْلِي الطَّرِيقُ الَّذِي سَيَعْبُرُهُ لَتَنَازَرُ أَثِيراً مِنْ نَوْعٍ آخَرَ ،
 وَالتَّفُّ وَتَقْلَصُ وَارْتَدَّتْ نَهَايَاتُهُ ارْتِدَادَ الْمَوْجَةِ ، وَهَدَأَتْ
 عِنْدَ قَدَمِي ،
 لِيَدْخُلَ ،

لَوْ كُنْتُ شَجَرَةً لَرَأَيْتُ أَهْدَابِي مَوْصُولَةً بِالْأَفْقِ
 وَالْأَفْقَ مَوْصُولاً بِغَيْرِهِ
 وَغَيْرَهُ مَوْصُولاً بِالنَّقْطَةِ الَّتِي تَجْذِبُنِي وَحَوْلَهَا أَتَرَنُحُ وَأَدُورُ ،
 لَوْ كُنْتُ ثَمَرَةً لَرَأَيْتُنِي
 أَسَافِرُ بِالْوَرَقِ وَغَيْرِ الْوَرَقِ
 بِالْبِرَاعِمِ وَالْغُصُونِ
 بِالْهَوَاءِ وَشِعَاعِ الشَّمْسِ
 ثُمَّ أَتَرَا جَعِ
 أَتَلَمَلُمُ
 أَتَجَمَعُ
 وَأَسْقُطُ فِي نَفْسِي نَاضِجاً وَعَمُودِيّاً ؛

لو بقيتُ حلماً
لو أبقى
لو البقاء حلمٌ
والحلمُ الأرض .

ليدخلُ ، -
كيف أَمْزَجُ كالهواء وأعجنُ غير عجني الأول؟

ليدخلُ ، -
مَنْ لي بما يذكرُ ويشهي :
ذهب الاستطرافُ
ماتت الشهوة

وشَيْخَ كُلِّ شَيْء .

ليدخلُ ، -
أعنده الريحُ التي تكبُّ الأفق؟
ليدخلُ ،

أفتحُ وأطلّ
أسمعُ أن حولي أناساً يتناسلون ، يموتون
يحاربون ، يحلمون

ولا أراهم ،

مع ذلك ،
أعرف البشر كلهم
أذكر
قابلتهم في واحة بين أذني - قرب سريري ،
لكن لا تراوّر بيننا ،
الأشياء وحدها أراها وتراني .
أسمع أصواتاً -
صوتاً يقولُ لي :
«تُفارق نفسك وتمضي
سَفينةً نفسك في نفسك
بيتاً كالسحاب
ولا دعامة ...»

حجراً يصيحُ بي :
«أنتَ غريبٌ أنا سريرك .»

أجنحةٌ عابرةٌ تناديني :
«النجومُ فوقك زبدٌ ثابت
والغيومُ قبورٌ تتحرك ...»

٢- فصل المواقف

1

«... وأوقفني في الرحمانية فقال : لا يستحق الرضا غيري ، فلا ترض أنت فإن رضيت محقتك» .

النُّفْري

(موقف العظمة)

2

«وقال لي : النعيم كله لا يعرفني والعذاب كله لا يعرفني ، وقال لي : معنك أقوى من السماء والأرض» .

النُّفْري

(موقف المحضر والحرف)

1

– الزَّمنُ فَنَخَّارٌ والسَّماءُ طَحْلَبٌ . ماذا تفعل؟
– أَصْبِرُ الرَّعْدَ والماءَ والشَّيْءَ الحَيَّ .
– وحينَ تفرِّغُ المَسَافَاتُ حتَّى من الظِّلِّ؟
– أملؤها بعينٍ تلبسُ الجِهاتِ الأربعَ ،
أملؤها أشباحاً تخرجُ من الوجهِ والخاصرةِ
وترشُّحُ بالحلمِ وذاكرةِ الشَّجرِ .
– وحينَ لا تواتيكِ الدُّنْيَا؟
– ألهو بعينيَّ ليزدوجَ فيهما العالمَ
أرى السَّماءَ اثنتين
الأرضَ اثنتين

إلاَّ أنا –
أبقى واحداً .
– وحينَ لا يبقى غيرَ الحَجَرِ صديقاً؟
– أهتفُ : يا صَدَقَةً ! إنني جزؤكِ الرِّخْوَا
وأديرُ قرنيَّ للشمسِ .

2

جَسَدِي يَحْوِمُ فَوْقِي خَفِيفاً كَالرُّوحِ
 حَجَرٌ يَتَدَحْرَجُ وَرَائِي
 نَبْعٌ يَنْتَظِرُنِي ؛ -
 وَدَاعاً أَيُّهَا الْجَوْهَرُ الثَّقِيلُ يَا رِخَامَنَا الْبَشَرِيَّ
 وَلَيَّاتِ الْعَايِرِ الْخَفِيفِ
 النَّهْرُ وَوَجْهُهُ
 الرِّيحُ وَأَطْفَالُهَا
 وَلَتَاتِ الْأَجْنَحَةِ الْمَلِيئَةُ بِالْغَيْمِ .

أُغْنِيَةِ :
 إِنَّهُ جَمْرَةُ الزَّمَنِ الْيَابِسِ :
 لِيَغْبُ وَلِيَقْصُغْ
 فِي نَسِيحِ خَلَايَاهُ فِي الظَّنِّ فِي الْهَاجِسِ ...

أُغْنِيَةِ :
 - جَاءَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فِي مَوْسَمِ الْكُهُولَةِ
 لَمْ يَنْمِ فِي سَرِيرِ الْأَسَاطِيرِ ،
 لَمْ يَعْرِفِ الطُّفُولَةَ .

تَنْهَضُ فِي جَسَدِي أَرْضٌ

تهمسُ لأَيامي أن تكونِ شباييكها ،
تعلمُ خطواتي أن تصيرَ باسمها رسائلَ وعصافير ،
هكذا أعبرُ كالزجاج ، شفافاً ولا ظلَ لي ،
في طريقٍ من الأجنحة .
أتحرّر ، أسجنُ أعضائي داخلَ أعضائي
أصيرُ كبيرٍ للؤلؤة :
أضربُ العيونَ وأعودُ إلى بؤرتي .

من يعطيني ورقةً أحملها أكداً من البخور والصندل أنقطها
كالعروس وأجلوها
أقرأ عليها سورة مريم
أهزّ فوقها جذوعي من الشوق والحلم
وأرسلها إلى أحبابي
مليئةً كالنفحة
خفيفةً وخضراء كمهرة الخضراء
وأنتم ،
يا من تكرهون التلفظ باسمي
تُلصقونني بعيونكم حين تقرأون أخبار الوفيات
وتصرخون :
قسماً ، يسيرُ وفي كلِّ جيبٍ من جيوبه مدفعٌ
وامرأة عارية

أنتم أيها الملائكةُ

الأطهارُ

المنقذون

القواد

الحكماء ... الخ ،

أتمسُّ منكم في هذه اللحظة معجزةً واحدة

أن تعرفوا كيف تقولون : وداعاً ، واودال ألف عين ألف

معجزةً واحدة : وداعاً

بيننا بعدُ الروح

بيننا الأعماقُ والسَّفرُ في فضاء الأعماق .

برقية من بلاد نسيت اسمها :

البلادُ صغيرةٌ كعلبة الكبريت .

والشَّمسُ لا تشرق هنا – هل تشرق

عندكم ، حقاً؟

مفكرة الشهر الماضي :

السَّهر – والقهوة أحياناً . نقرُّ وهميَّ

على الباب : نقرُّ لا يهدأ . جمعية

جديدة اسمُها جمعية الحيوانات

الميتة والحية للرفق بالإنسان . لعب

الورق مع أرواد . الكلامُ أحياناً .

يومية بدون تاريخ :

حوار قديم :

الطفولة : العالمُ رجلٌ يُسرج حصانه
في زيارةٍ إليك . سيدعوك إلى
صداقته .

أنا : صداقته؟ ليمتُ أولاً وليأتِ . بعد
هذا يأتي الكفن . بعده القبر . ثم
تأتي الصداقة .

نمتُ مرةً ولم أكن متخماً
فرايتُ صديقاً يدخل ويخرج بين أصابع قدميَّ
آخرٌ يحلُ سيور حذائي ويلتفّ بها
ورأيتُ صديقاً يذبحني .
أسماء أسماء
أسماء تشغو ، تصيء ، تلدغ وتصلّي
تجرح الجنين المهاجرَ بين البرعم والثمرة وتستضيء بالسُّوس ،
أسماء الخنق والحرق واحتضار الماء والأجنحة
أسماء اللّكاعة
اللّهله
اللّكاث
اللّهوقه
اللّقوة

لُقيا اللّقاءِ واللّقسِ ولهاثِ الموتِ
وداعاً ، دا دا دا
وداعاً .

أغنية :

من ثلاثين عاماً أضيعُ وأكتشفُ الآخرين
كان لي سفنٌ ومرايا
في مغاورٍ ، حتّى الصّغارُ
يجهلونَ مفاتيحها ،
كان لي ساحِرانُ
يخطفان الهدايا
من كنوز البلاد البعيدة ، من حارسِ البحارِ ؛
وكأنّ الفضاءَ النّحيلُ
كان لي فرساً للرّهان
فرساً تتطاوَلُ تيّاهةٌ كالنّخيلِ
تسبقُ حتّى الفراشات ، حتّى ضبابَ المكانِ ..

من ثلاثين عاماً
أضيعُ ، وأكتشفُ الآخرين
حيث أعطيتُ وجهي للغيم ، أعطيتُهُ للحقولِ الحزينه
حيث كنّا - أنا والصّباحُ

عاشقين ربطنا مسافاتنا بثياب المدينة
وملأنا حقائبنا بالرياح
وجعلنا الرياح
لغةً وقصائدَ للآخرين .

من ثلاثين عاماً أضيعُ ، وأكتشفُ الآخرين
أعرفُ أنَّ البكاءَ
رثّةٌ للحزينِ

أعرفُ أنَّ العصافيرَ شَبَابَةٌ ، والسَّمَاءُ
شَفَقَةٌ لا تُحاورُ غيرَ الجنينِ
أعرفُ أنَّ الطريقَ

لغةٌ في شعوري ، لا في المكانِ
لغةٌ في العروقِ وفي نَبْضِهَا ، لغةٌ في السَّرِيرَةِ
حيثُ تأتي المسافاتُ من أوَّلِ الرُّوحِ موصولةً بالبريقِ
ببريقِ الفتوحاتِ والكشفِ والعابرينِ
في التَّخومِ الأخيرِ .

أعرفُ أنَّ الوجوهَ مَرايا ، وأنَّ الصَّدِيقَ
حَجَرٌ ؛

كانَ وجهُ الحَجَرِ
حُلْماً ، كانَ وجهاً يُضِيءُ
ويُضِيءُ على شفتيهِ الكلامَ

كان لي دفترًا أتوسدُ أوراقَهُ وأناأمُ .
أعرفُ أن الصديقَ
فارسٌ في الصفافِ القريبةِ لكنّه لا يجيئُ .

وداعاً يا أنقاضِي!
دميةٌ تدخلُ بفتةً من النافذة ، تحملُ الجدرانَ الأربعةَ وتمضي ،
طفلاً
يعلقُ أهدابه على الشجرِ كالمناديلِ
وفي الحجرِ يستريحُ ،
بيتٌ يحضنُ دفترًا ويركضُ حافياً إلى المدرسة ،
كتابٌ يضعُ نظارةً
يربّي الأرنابَ ويدربُ العصافيرَ على المهنِ الحرةِ
وداعاً يا أنقاضِي!

أغنية :
ذاكرٌ ، ذاكرٌ شبابي :
جُزُرٌ في يديّ وفي قامتي
جُزُرٌ في ثيابي
كنتُ بابَ الصدى والأغاني
في بلادِ الكهوفِ العريقةِ
كانت الأرضُ لي زوجةً وصديقةً ؛

ذاكرٌ في الدروب الضريه
شهقة اليائسين ينامون في الفجوة الصغيره
بين أحلامهم والرّصيف ،
ذاكرٌ كيف كان الرّغيف
مُصحفاً ، وسماءٌ كبيره .

أنقاضي!
امرأة تطلع من أحشاء النيلوفر
تتبرّك بي
ثم تصيرُ وردةً في عُروة الشيطان
وشجرةً على ضفة الجحيم ،
حالمٌ يقرأ كتاب الشوارع راسماً وجهه بنار الإسفلت
شاعرٌ يفضح المدينة ويرقد في سراويلها
مدنٌ تنحني ، أشجارٌ تتلاقى واسمي المكان والوعد
سلاماً يا أنقاضي!

أغنية :
كتبي يحرقها الطّاغي هناك
هي ذرّات من الغيم حزينة
فوق أشلاء المدينة

وغداً ، أو بعده تنهمرُ -
أيها الحجاج لم تحرق سواك
إن شعري لغة الأرض هناك
وأنا الرِّيحُ هنا والمطرُ ؛ -

لكن الأرض سائبة ،
والرَّعبُ أتٍ في الثَّوبِ والثَّورِ في البثورِ
في الماعزِ والحيوانِ التَّوأمِ المسمَى رجلاً وامرأة
أتٍ في الحصاة والصَّبرِ والصَّبَّاحِ
في الحرب وغير الحرب
في النَّهْدِ والنَّومِ
في اللَّبَنِ واللَّيْلِ
في الحبرِ والورقِ في الحروفِ أتٍ أتٍ
في الأُمَّةِ الأُمَّةِ الجهادِ الجنِّ والجرائيمِ أتٍ أتٍ
ميشا ماشا ميلانو سانشو راجا سان جيرمان دوبري ، باري سنشيا ،

أغنية :
أتهجأكِ يا لوحةَ الرَّعبِ ،
أقرأ صحراءكِ الطَّويلةَ

وغدي مائلٌ ، وعلى وجنتي
بُقِعَ من يدي
أتهجأك ، أوقظ النَّارَ في وجهك ،
أستصرخ الحروفَ البخيله
أحضنُ الفهدَ والغرابُ
أحضنُ الميَّتينُ
ألذين أفاقوا من العُشبِ كي يُبعثوا في التُّرابِ
نملةٌ أو كتابُ
أقبلُ أن أغسلَ الميَّتينُ
بغدي أو بأمسي
لاكونَ جديراً بنفسِي :
أأخطي ،
وأستخِلُّ الأخرينَ .

3

في الآبار المحفورة بالصَّوتِ
في الصَّوتِ
في العدد بين الرِّقم والرِّقم
في النَّبض بين الحاسَّةِ وأختها
بين الوريدِ والعنقِ
أسافر

في قطار النّوم واليقظة ،
في اختلاجه الذّاهب نحو الموت أتياً من الطّفولة ،
في الحركة التي تتسارع بين عجالاته وترتخي وتتشنّج وتهبط وتعلو ، حركة
الجلد والمستاريس والحدود في مملكة الجلد ، حركة الرّشقي والدّفع
والجذب ، حركة الهدم والرّخم والتفجّر ، حركة الفُقاعة والموت قبيل
الموت بين الرّعد والإشارة بين الكلمة والحنجرة أسافر خارج الصّبيغ -
الشكل ونقيضه

الضّفاف المزحومة بالأصداف

خارج الصّدفة
أسافر
أصعد ، أتفجّر
ألبس الهدير والتهلّج
أتموّج بالرّعب
أتحرّر من التّوبة ، العِظة ، العودة
أتحرّر من الصّبر
من دمي والتّاريخ الرّاقد فيه
أتجزّأ وأعرى وأوسوس نفسيّ ضدّ نفسي
أضع نفسي خارج كل شيء وأقول للجنون الرّشيق أن

يسرق أهدابي كنسيم غربيّ

أنقطع ، أنفصل ، أنفصم

أُخْتَبِرْتُ تَحْتَ شَفْتِي

بَعِيداً بَعِيداً بَعِيداً

فِي الضَّوءِ فِي الظَّلَامِ

فِي الصَّمْتِ فِي الدَّهْوِ

فِي لُغَةٍ تَغَيَّرَ الْكَلَامُ

فِي مَطَرٍ يَغَيِّرُ الْفُصُولَ

فِي الظُّلَمِ الْجَامِحِ وَالسَّيْرِ بِلَا وَصُولِ

بَعِيداً بَعِيداً بَعِيداً

عَنِ الثَّقِيلِ وَالْعَاقِقِ

عَمَّا يَحْنِي وَيَرْبِطُ وَيَحَاصِرُ

عَمَّا يُوَفِّقُ وَيَصَالِحُ وَيَعْلَمُ

عَمَّا يَقْنَعُ وَيَخْضَعُ وَيَرْضَى

بَعِيداً بَعِيداً

حَيْثُ أَصْبِرُ الْبَرْقَ وَالْجَذَرَ الْعَائِمَ الْجَذَرَ

أَسَافِرُ

هَنَا

حَيْثُ الْجِدَارُ وَالْجِدَارُ الْكُورْسِيُّ وَالْجِدَارُ التَّبَعُ وَالْجِدَارُ

فِي حَوَارِ دَائِمِ

حَيْثُ السَّاعَةُ خَرَطُومٌ وَالْجَرِيدَةُ نَوَّاسٌ أَوْ يَمَامَةٌ ،

حَيْثُ الْجَسَدُ بَسَاطٌ

والخبزُ ساحرٌ بآلاف الأقمعة
والجسدُ الحضورُ والمسرح

أسافر أسافر

هنا - في العشب اليابس بين العرق والعرق
في الكرسي المغطى بالليل
في كتبي هذه الشعوب المريضة التي تتعاقب وتنام حولي

أسافر

في الفراغ وهندسته - حيث أكتب وأقرأ : «هنا يرقد إقليدس . . .»
حيث قبر المتنبي في صوته
وعاش المعري تحت عينيه
حيث علّق الحلاج على خشبة في خريطة الروح
حيث الرازي وجابر والسهروردي وأصدقاؤهم يتكفنون بأصواتهم
ويفرعونها أكفاناً ومقابر
هنا حيث الفراغ وهندسته -
ظل الضوء والظل الصوت الشرار

ريمان لوبانشوفسكي

سِلاه سِلاه سِلاه!

أغنية :

- رأس مهيار يعلو ، كأن الشجر

سُفُنٌ وَضِفَافُ
وَكَاَنَّ الْمَطَرُ
لُغَةً تَتَسَاقَطُ مِنْهُ ، كَأَنَّ الْكَلَامَ
أَرْضُهُ وَالْمَطَافُ
رَأْسُ مَهْيَارٍ يَرْسِبُ ، يَطْفُو ، يَطُوفُ
ثَقَبَتْ وَجْهَهُ الْحُرُوفُ
رَأْسُ مَهْيَارٍ يَكْبُو وَيَعْشُقُ سِحْرَ الْأَقَاصِي
رَأْسُ مَهْيَارٍ يَدْمَى ، يَجْفُ ، وَيَنُأَى . . . كَأَنَّ الْحُطَامَ
رَايَةً لِلْخِلَاصِ .

اكتشفتُ أَنَّنِي مُقْعَدٌ وَلَيْسَ لِي قَدَمَانِ
وَالْأَرْضُ أَمَامِي أَضِيقُ مِنَ الْقَدَمِ
سَأَغْطِيهَا بِالْمَزَابِلِ كَمَا فِي سِفْرِ الْأَمْثَالِ الْمُنْخَبِوءِ فِي الْجِبَالِ بَيْنَ
أَنْدَاءِ الْعَجَائِزِ ،

لَعَلَّهَا تَكْبُرُ تَكْبَرُ تَكْبِرُ
وَأَنَا سَأُصَوِّبُ إِلَى نَفْسِي سَهَامَ الْفَضَاءِ وَأُرِيطُ أَطْرَافِي
بِشَلَالٍ

لَا جَنْزَلَ لَهُ
أَوْ بَتِّيَّارٍ يَعْبُرُ كَالْفَاجِعَةِ
وَأَهْوِي ،
لَا بَسًا قَامَةَ الْبَحْرِ وَالشَّوَاطِئِ فَاتِنًا كَشَلَالٍ ،

نحو الخفي المنكر - أخي وسيدي .

أترك هذا الصوت :

كان يستعجل النجوم ، يلاقيها
إلى مفرق الدروب الأمينه
مثقلاً بالحروف والحبر ، مكتوباً
على دفتر السماء الحزينه .

أترك هذه الحاشية :

قادر أن أصير وجهي بحيرة للبعج وأجعل أهدابي غابات ، وأصابعي ربيعاً
وأعراساً . قادر أن أبعث أليعاذر في كل خطوة أخطوها ،
لكن الفرح غائب ولم تحن ساعة الظهور .

أيضاً ، أترك هذا الحلم :

عرس . فاوست يتزوج الضفة الشرقية من المتوسط . الضفة امرأة تتزين
بالقازات ، بالصنوبر والكرز . الصخور دافئة كالنساء ، وديعة كالأعشاش ،
والشواطئ حُبلى بشواطئ لم تجيء بعد ...
وجه السماء الآخر ،
فوهة عصر يقترب ...

أَرْضٌ تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَيَّ ؛
تَنْهَضُ فِي جَسَدِي ، تَوْمَعُ وَتَنْحِنِي -
أَجْعَلُهَا مَسْطَحَةً وَدُونَ أَطْرَافٍ كَيْ لَا يَعُودَ الْمَسَافِرُ
وَلَا يَهْتَدِي

أُسْقِطُ فِيهَا ، بَيْنَ لَحْظَةٍ وَلَحْظَةٍ ،
كُوكِبًا خَفِيفًا كَزْفِيرٍ بَلْبَلٍ يَمُوتُ
ثُمَّ أَسْمَحُ لِلْأَحْلَامِ - غَرِيبَةً وَمِنْ كُلِّ نَوْعٍ - أَنْ تَسْقُطَ فِيهِ
تَرْصُدُ الْبَحْرَ الْعَائِدَ مِنْ هَجْرَتِهِ
تَسْمَعُ الْفَضَاءَ يَقُولُ لِلْبَجْعِ : أَقْبِلْنِي ضَيْفًا تَحْتَ رِيَشِكَ ،
لَيْلَةً وَاحِدَةً

وَبَيْنَ غَفْوَةٍ وَغَفْوَةٍ
أَهْمَسُ كَيْ تَغَافَلَ التَّارِيخُ ،
تَنْسَلُ إِلَى مَغَاوِرِهِ وَكُهُوفِهِ وَأَقْبِيئَتِهِ الَّتِي يَحْرُسُهَا جَلَادُونَ بَعِينُونَ وَوَاحِدَةٌ وَرُؤُوسُ
عَدِيدَةٍ ، وَالَّتِي تَزَخُرُ بِالسَّلَاسِلِ وَأُخُوتَاتِهَا مِنْ أَدَوَاتِ التَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ خَنْقًا أَوْ
حَرْقًا أَوْ مَرْقًا ، أَوْ بِوَسَائِلٍ غَيْرِ هَذِهِ يَجْهَلُهَا اللِّسَانُ الْفَصِيحُ ، ثُمَّ أُعْطِيهَا أَنْ
تَغَافَلَ الْحِرَاسُ أَيْضًا ...
هَيَّا ، عَجَلِي ، ضَعِي اللَّغْمَ ... أَشْعِلِي الْفَتِيلَ
لَكِنْ ...
أَهْ أَيُّهَا الْفَتِيلُ الْمَبْلَلُ ،

وَالزَّمَنُ رَطْبٌ

ولا جمرَ في الهواء!

أرضٌ تعرضُ نفسها عليّ
تُوحى بالبحث عن ثُرَّهاتٍ تغذِّي مجاعة الحيوان
مثلاً - عن برجٍ بابلي من الجمال المجنحة
أو منارةٍ من أنقاض الرّاهبات
أو هرمٍ من البكاء والملايا
وتمنحُ لكلّ شيءٍ - حتى للقبر والشّاهدة والنّعش ، قناعاً من وجوه
الأطفال .

أرضٌ تعرضُ نفسها عليّ
تهتفُ أن أرضٌ سحري ماءً أزرقَ على غيرها من الأرض وأتركه في سُبُباتٍ
إلى آخر الدّهر - أمين .
- والمدنيّة؟

أترك لها ، استثناءً ، تيوسها ، وطلائعها ورصّادها من جواسيس وزعماء
وغيرهم ...

- وهذه الأرض؟

أعجنها كالكرة ،

أقول لأعصابي أن تصيرَ سهاماً تخترقها
ثم أنقش عليها أسماء الشهور والسلاطين وأنواع النّبات والنساء ، وأرفعها
على بساطٍ سحري ، هديّةً إلى الأمير من عامله على مغارة الكنوز ...

أرض تعرضُ نفسها عليّ

تنهض في جسدي ، تومى وتنحني ، -

طاقتي على التحول لا آخر لها . تعجز أن تنتهي ولا تعرف كيف

أترون هذا النسيج الأزرق

فوق

تحت القمر ، وراء ظهره

تلتف به خاصرة البحر ،

ويصير تاج الأفق وكروسي الموج

يسمح للسماء أن تنسله خيطاً خيطاً لتربط أصابع النجوم كي تتذكر النجمة

أختها دون أن تنسى الأرض -

هل يُعقل أن يكون هذا النسيج شخصاً آخر غيري؟

لا أصدق ، -

اسألوا التقمص إن كنتم في شك ...

مرّة ، صرت لؤلؤة ،

تحيا مع اسمها

وحيدة - ضمن العالم خارج العالم .

حينذاك عرفت كيف تعطي مجاناً كالشمس ،

وحين رأيته عارية تبحث عن ثوب ضائع ترتديه

تعلمت كيف تكسو عري العالم .

وصحت أيها الآخرون أيها الأقنعة

إنني من طينة ثانية ، أعيش في وحدة اللؤلؤة ،

لهذا تبدون لي ، أنا الميت بينكم ، جثثاً ،

وصحْتُ قَبِيلَ ذَلِكَ - تَقَدَّمَ ، تَقَدَّمَ يَا عَصْرًا يَكُونُ فِيهِ الْإِنْسَانُ طَقَسَ نَفْسَهُ :

السَّقُوطُ وَاللَّهُ ، الْأَرْضُ وَالْجَنَّةُ ، الْقَائِمُ وَالْقَيُّومُ . . .

وَمَرَّةً صَرْتُ

عَاصِفَةً - مَزْمَارًا بِأَلَاافِ الثَّقُوبِ يَغْنِي لِنَفْسِهِ بَيْنَ نَفْسِهِ وَالْفَضَاءِ

وَتَتَحَبَّبُ فِي ثَقُوبِهِ رُوحُ الدُّنْيَا ،

كُنْتُ وَأَنَا أُغْنِي

أَجْعَلُ الْهَوَاءَ آتِيَةً لِلْبُخُورِ

وَالْغَيُومِ أَهْدَابًا لِلْأَرْضِ

وَالْمَطَرُ أَجْرَاسًا وَخَوَاتِمَ .

أَرْضٌ تُعَرِّضُ نَفْسَهَا عَلَيَّ ، تَنْهَضُ فِي أَحْشَائِي ؛ -

أَعْرِفُ الْآنَ أَنَّ أَجْمَعَ أَشْيَاءَ الْأَرْضِ

أَجْعَلُهَا فِي وَسَادَةٍ أَمْدَهَا تَحْتَ خَدِّي

أَعْرِفُ الْآنَ

أَيْنَ يَكُونُ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ ،

وَالنَّهَارُ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ ،

أَعْرِفُ أَنَّ جِنْسَ الرِّيْبِيَّةِ يَتَأَصَّلُ فِي أَحْشَاءِ الْأَرْضِ وَيَتَنَاسَلُ ،

أَعْرِفُ الْأَرْضَ بِالْأَرْضِ

وَالسَّمَاءَ بِنُورِ الْأَرْضِ .

هَكَذَا أَظْهَرُ فِي قَمِيصِي الْجَدِيدِ!

لَكِنَ ،

مَا هَذَا الْخَوْفُ ؟ مَا جِئْتُ لِأَلْقِي الْخَوْفَ بَلِ التَّغْيِيرَ .

حتى كورنيش البحر يختبئ
وبيروت كالخيوط ،
حتى أصدقائي صاروا كالخيوط !
شجرة وحيدة تعانق الجمر وهي تفتح إنجيل الفضاء فتحت أغصانها
وفيأتي
آه يا صديقتي ،
وشكراً .

5

1 - أصوات :
الحلم المكان ورقاص الوقت
يعجب
يبلغ العتبة
يدخل ويقبل الحضور
يجلس

في القلم والورق
في تفاعيل الحياة ونثرها
في الكلام والنخبز .

2 - قداس :

رجّع دفتر الشمس السوداء وعادت أيامه
رجع الحبر الأبيض كالدمع
وانفتح الباب الآخر
البريء جنازة كل يوم
والبراءة الكفن .

3 - جرس :

النفس الضوء
النفس الأرضي اللاجئ بين الأشجار
يتراجع محمولاً على الهواء
يتراجع ساقطاً في مداراته
يفسل أيامه
ويعتزل مع شمسهِ بين الرداء والجسد
تحت البشرة ما وراءها
والخبر أن شمسهِ حُبلى .

4 - شجرة :

لماذا الإنسان حين لا يكون للإنسان اسم ولا هوية؟
لماذا المكان حين يكون مقفلاً ، مليئاً كالطبل؟

5 - فراشة :

ستموت وتسكن مثلي في الظل تحت الفصول
حيث لا جارا إلا صدانا
في الغبار وفي العشب حين عبّرنا
مرة ورسمنا خطانا
في كتاب السهول
وسنبقى هنا أثرًا لسوانا
أثرًا للتفيؤ في الظل تحت الفصول
حينما يسقطون ويغويهم صدانا .

6 - أصوات :

رأس مهيار سيخر
كأن المكان
طبق تحته يدار
رأس مهيار يبرج وقارورة للدخان
رأس مهيار نجم
كأن الليالي
طرق حوله وناز
رأس مهيار يعلو
يضيء الأعالي .

7 - أغنية :

لو دَعَوْتُ الرِّيحَ وأَوْهَمْتُهَا

لو حلمتُ

أَنْ لِي عَالِماً لَا يُحَدِّدُ بِالْأَرْضِ ، بل بِالرِّيحِ

أَنْ لِي رَايَةً فِي الضِّيَاءِ وَمَمْلَكَةً فِي الْجَنَاحِ

لو دَعَوْتُ الرِّيحَ

وَأَخَذْتُ مِفَاتِيحَهَا وَاخْتَبَأْتُ ،

غَيْرَ أَنَّ الرِّيحَ

دَخَلَتْ فِي الصَّبَاحِ

حِينَما لَفَنِي النِّعَاسَ وَعَانَقْتُهَا وَحَلَمْتُ ...

(بيروت ، آذار 1962)

قبر من أجل نيو يورك

1

حتى الآن ، تُرسم الأرض إجابةً
أعني ثدياً
لكن ، ليس بين الثدي والشاهدة إلا حيلة هندسية :
نيويورك ،
حضارة بأربع أرجل . كل جهة قتل وطريق إلى القتل ،
وفي المسافات أنين الغرقى .

نيويورك ،
امرأة – تمثال امرأة
في يد ترفع خرقه يسميها الحرية ورق نسميه التاريخ
وفي يد تخنق طفلة اسمها الأرض

نيويورك ،
جسد بلون الإسفلت . حول خاصرتها زنار رطب ، وجهها شبك مغلق ...
قلت : يفتحه وولت ويتمان – «أقول كلمة السر الأصلية» – لكن لم يسمعها

غير إله لم يعد في مكانه . السجناء ، العبيد ، البائسون ، اللصوص ،
المرضى يتدققون من حنجرتهم ، ولا فتحة ، لا طريق . وقلت جسر بروكلين!
لكنه الجسر الذي يصل بين ويتمان ووول ستريت ، بين الورقة – العشب
والورقة – الدولار . . .

نيويورك – هارلم ،
مَنْ الآتي في مقصلة حريق ، مَنْ الذاهب في قبر بطول الهدسون؟ انفجر
ياطقس الدمع ، تلاحمي يا أشياء التعب . زرقعة ، صفرة ، ورد ، ياسمين
والضوء يسنّ دبابيسه ، وفي الوخز تولد الشمس . هل اشتعلت أيها الجرح
المختبئ بين الفخذ والفخذ؟ هل جاءك طائر الموت وسمعت آخر
الحشرة؟ حبل ، والعنق يجدل الكأبة وفي الدم سويداء الساعة . . .

نيويورك – ماديسون – بارك أفينيو – هارلم ،
كسل يشبه العمل ، عمل يشبه الكسل . القلوب محشوة إسفنجة والأيدي
منفوخة قصباً . ومن أكذاس القذارة وأقنعة الامبايرستيت ، يعلو التاريخ
روائح تتدلى صفائح صفائح :

ليس البصر أعمى بل الرأس ،
ليس الكلام أجرد بل اللسان .

نيويورك – وول ستريت – الشارع ١٢٥ – الشارع الخامس
شبح ميدوزي يرتفع بين الكتف والكتف . سوق العبيد من كل جنس . بشر

يحيون كالنبات في الحداثق الزجاجية . بائسون غير منظورين يتغلغلون
كالغبار في نسيج الفضاء - ضحايا لولبية ،

الشمس ماتم
والنهار طبل أسود .

هنا ،

في الجهة الطحلبية من صحرة العالم ، لا يراني إلا زنجي يكاد أن يُقتل أو
عصفور يكاد أن يموت ، فكّرت :

نبته تسكن في أصيص أحمر كانت تتحول وأنا أبتعد عن العتبة ، وقرأت :
عن فشان في بيروت وغيرها ترفل في حرير بيت أبيض ، تتسلح بالورق
وتقرض البشر ،

عن بقايا خنازير في بستان الأبعدية تدوس الشعر ،
ورأيت :

أينما كنت —

بتسبورغ (أنثيرناشينا بويتري فورم) ، جون
هوبكنز (واشنطن) ، هارفارد (كامبردج ،
بوسطن) ، آن آربر (ميشيغن ، ديترويت) ، نادي
الصحافة الأجنبية ، النادي العربي في مقر
الأمم المتحدة (نيويورك) ، برنستون ، تمبل
(فيلادلفيا) ،

رأيتُ

الخريطة العربية فرساً تجر جر خطواتها والزمن يتهدّل كالخروج نحو القبر أو
نحو الظل الأكثر عتمة ، نحو النار المنطفئة أو نحو نار تنطفئ ؛ تكتشف

كيمياء البعد الآخر في كركوك الظهران وما تبقى من هذه القلاع في أفراسيا العربية . وها هو العالم ينضج بين أيدينا . هه! نهين الحرب الثالثة ، ونقيم المكاتب الأولى والثانية والثالثة والرابعة لتؤكد :

1 - في تلك الناحية حفلة جاز ،

2 - في هذا البيت شخص لا يملك غير الحبر ،

3 - في هذه الشجرة عصفور يغني .

ولنعلم :

1 - الفضاء يقاس بالقفص أو بالجدار ،

2 - الزمن يقاس بالحبل أو بالسوط ،

3 - النظام الذي يبني العالم هو الذي يبدأ بقتل الأخ ،

4 - القمر والشمس درهمان يلمعان تحت كرسي السلطان ،

ورأيتُ

أسماء عربية في سعة الأرض أكثر حنواً من العين ، تُضيء لكن كما يضيء كوكبٌ مشردٌ «لا أسلاف له وفي خطواته جذوره ...» .

هنا ،

في الجهة الطحلبية من صخرة العالم أعرف ، أعترف . أذكر نبتة أسميها الحياة أو بلادي ، الموت أو بلادي - ريحاً تجمد كالملاء ، وجهاً يقتل اللعب ، عيناً تطرد الضوء ، وأبتكر ضدك يا بلادي ،

أهبط في جحيمك وأصرخ :
أقطر لك إكسيراً ساماً وأحييك ،
وأعترف : نيويورك ، لك في بلادي الرّواق والسريّر ، الكرسي والرأس . وكل
شيء للبيع : النهار والليل ، حجر مكّة وماء دجلة . وأعلن : مع ذلك تلهثين
— تسابقين في فلسطين ، في هانوي ، في الشمال والجنوب ، الشرق
والغرب ، أشخاصاً لا تاريخ لهم غير النار ،
وأقول : منذ يوحنا المعمدان ، يحمل كلُّ منا رأسه المقطوع في صحنٍ
وينتظر الولادة الثانية .

3

تفتتي يا تماثيل الحرية ، أيتها المسامير المغروسة في الصدور بحكمةٍ تقلد
حكمة الورد . الريح تهبّ ثانية من الشرق ، تقتلع الخيام وناطحات
السحاب . وثمة جناحان يكتبان :

أبجدية ثانية تطلّع في تضاريس الغرب ،
والشمسُ ابنةُ شجرةٍ في بستان القدس .
هكذا أضرمُ لهبي . أبدأ من جديد ، أشكل وأحدّد :

نيويورك ،

امرأة من القشّ والسرير يتأرجح بين الفراغ والفراغ ، وها هو السقف يهترئ :
كل كلمة إشارة سقوطٍ ، كل حركة رفشٍ أو فأس . وفي اليمين واليسار
أجسادٌ تحب أن تغير الحبّ النظّر السمع الشمّ اللمس والتغيّر – تفتح الزمن
كبوابةٍ تكسرها وترتجل الساعات الباقية .

الجنس الشعراء الأخلاق العطش القول الصمت وتنفي الأقفال . قلت : أغري
بيروت ،

– «إبحث عن الفعل . ماتت الكلمة» ، يقول آخرون . الكلمة ماتت لأن
ألستكم تركت عادة الكلام إلى عادة المؤمأة .

الكلمة؟ تريدون أن تكتشفوا ناراها؟ إذن ، اكتبوا . أقول اكتبوا ، ولا أقول
مؤمئوا ، ولا أقول انسخوا . اكتبوا – من المحيط إلى الخليج لا أسمع لساناً ،

لا أقرأ كلمة . أسمع تصويتاً . لذلك لا ألمح من يلقي ناراً .
 الكلمة أخف شيء وتحمل كل شيء . الفعل جهةً ولحظةً ، والكلمة
 الجهات كلها الوقت كله . الكلمة — اليد ، اليد — الحلم
 أكتشفك أيتها النارية عاصمتي ،
 أكتشفك أيها الشعر ،
 وأغري بيروت . تلبسني وألبسها . نشرد كالشعاع ونسأل : من يقرأ ، من
 يرى ؟ الفانتوم لدايان والنقط يجري إلى مستقره . صدق الله ، ولم يخطئ
 ماو : « السلاح عاملٌ مهمٌ جداً في الحرب ، لكنه غير حاسم . الإنسان ، لا
 السلاح ، هو العامل الحاسم » ، وليس هناك نصرٌ نهائي ولا هزيمة نهائية .

رَدَدْتُ هذه الأمثال والحكم ، كما يفعل العربي ، في وول ستريت ، حيث
 تصبُّ أنهارُ الذهب من كل لونٍ آتيةً من الينابيع . ورأيت بينها الأنهار
 العربية تحمل ملايين الأشلاء ضحايا وتقدماتٍ إلى الوثن السيد . وبين
 الضحية والضحية يقهقه البحارة فيما يتدحرجون من كروزلر بيلدنغ ، ليعودوا
 إلى الينابيع .

هكذا أضرم لهبي ،

نسكن في الصخب الأسود لتمتلئ رئاتنا بهواء التاريخ ،
 نطلع في العيون السوداء المسيجة كالمقابر لنغلب الكسوف ،
 نسافر في الرأس الأسود لنواكب الشمس الآتية .

4

نيويورك ، أيتها المرأة الجالسة في قوس الريح ،
شكلاً أبعد من الذرة ،

نقطة تهزول في فضاء الأرقام ،

فخذاً في السماء وفخذاً في الماء ،

قولي أين نجمك؟ المعركة آتية بين العشب والأدمغة الألكترونية . العمر
كله معلق على جدار ، وما هو النزيف . في الأعلى رأسٌ يجمع بين القطب
والقطب ، في الوسط آسيا وفي الأسفل قدمان لجسد غير منظور . أعرفك
أيتها الجثة السابحة في مسك الخشخاش ، أعرفك يا لعبة الشدي والثدي .
أنظر إليك وأحلم بالثلج ، أنظر إليك وأنتظر الخريف .

ثلجك يحمل الليل ، ليلك يحمل الناس خفافيش تموت . كل جدار فيك
مقبرة . كل نهار حفار أسود

يحمل رغيفاً أسود صحناً أسود
ويخطط بهما تاريخ البيت الأبيض :

أ -

ثمة كلاب تتربط كالقيد . ثمة قطط تلد خوذاً وسلاسل . وفي الأزقة
المتسللة على ظهور الجرذان ، يتناسل الحرس الأبيض كالفطر .

ب -

امرأة تتقدم وراء كلبها المسرح كالحصان . للكلب خطوات الملك ، وحوله

تزحف المدينة جيشاً من الدمع . وحيث يتكدس الأطفال والشيوخ الذين يغطيهم الجلد الأسود ، تنمو براءة الرصاص كالزرع ، ويضرب الهلع صدر المدينة .

ج -

هارلم - بدفورد ستويفنسنت : رملٌ من البشر يتكاثر بروجاً بروجاً . وجوه تنسج الأزمنة . النفايات ولائم للأطفال ، الأطفال ولائم للجردان . . . في العيد الدائم لثالثٍ آخر : الجابي ، الشرطي ، القاضي - سلطة الفتك ، سيف الإبادة .

د -

هارلم (الأسود يكره اليهودي) ،
هارلم (الأسود لا يحب العربي حين يذكر تجارة الرقيق) ،
هارلم - برودواي (البشر يدخلون رخويات في أنابيب الكحول والمخدرات) .
برودواي - هارلم ، مهرجان سلاسل وعصي ، والشرطة جرثومة الزمن . طلقة واحدة ، عشر حمامات . العيون صناديق تتموج بثلج أحمر ، والزمن عكاز يعرج . إلى التعب أيها الزنجي الشيخ ، الزنجي الطفل . إلى التعب أيضاً وأيضاً .

هارلم ،

لستُ أتياً من الخارج : أعرف غضبك ، أعرف خبزه الطيب . ليس للمجاعة

غير الرعد المفاجئ ، ليس للسجون غير صاعقة العنف . ألمح نارك تتقدم
تحت الإسفلت في خراطيم وأقنعة ، في أكداشٍ من النفائات يحضنها
عرش الهواء البارد ، في خطوات منبوذةٍ تَنْتَعِلُ تاريخَ الريح .

هارلم ،

الزمن يُحتَضَرُ وأنتَ الساعة :

أسمع دموعاً تهذر كالبراكين ،

ألمح أشداقاً تأكل البشر كما تأكل الخبز

أنتَ الممحاة لتمحو وجه نيويورك ،

أنتَ العاصفُ لتأخذها كالورقة وترميها .

نيويورك = SUBWAY + I.B.M أتياً من الوحل والجريمة ذاهباً إلى الوحل
والجريمة .

نيويورك = ثقباً في الغلاف الأرضي ينبجس منه الجنون أنهاراً أنهاراً .

هارلم ، نيويورك تُحتَضَرُ وأنتَ الساعة .

بين هارلم ولنكولن سنتر ،

أتقدم رقماً تائهاً في صحراء تغطيها أسنان فجرٍ أسود . لم يكن ثلج ، لم تكن ريح . كنت كمن يتبع شبحاً (ليس الوجه وجهاً بل جرح أو دمع ، ليست القامة قامة بل وردة يابسة) ، شبحاً – (هل هو امرأة؟ رجل؟ هل هو امرأة – رجل؟) يحمل في صدره أقواساً ويكمن للفضاء . مرّت غزالة ناداها الأرض . ظهر عصفور ناداه القمر . وعرفت أنه يركض ليشهد بعث الهندي الأحمر ... في فلسطين وأخواتها ،

والفضاء شريط رصاص ،

والأرض شاشة قتلى .

وشعرت أنني ذرةٌ تتموّج في كتلةٍ تتموّج نحو الأفق الأفق الأفق . وهبطت أوديةٌ تتناول وتتوازي ، وخطر لي أن أشكّ في استدارة الأرض ... وفي البيت كانت يارا ،

يارا طرف أرضٍ ثانيةٍ ونيّارُ طرفٍ آخر .

وضعتُ نيويورك بين قوسين وسرت في مدينة موازية . قدماي تمتلئان بالشوارع ، والسماء بحيرةٌ تسبح فيها أسماك العين والظنّ وحيوانات الغيم . وكان الهدسون يرفرف غراباً يلبسُ جسد البليل . وتقدّم نحوي الفجر طفلاً يتأوه ويشير إلى جراحه . وناديت الليل فلم يجب . حمل سريره واستسلم للرصيف . ثم رأيتّه يتغطى بريحٍ لم أجد أرقّ منها غير الجدران والأعمدة ... صرخة ، صرختان ، ثلاث ... وأجفّلت نيويورك كضفدعٍ

نصف جامد يقفز في حوض بلا ماء .

لنكولن ،

تلك هي نيويورك : تتكى على عكاز الشيخوخة وتتنزه في حدائق الذاكرة ،
والأشياء كلها تميل إلى الزهر المصنوع . وفيما أنظر إليك ، بين المرمر في
واشنطن ، وأرى من يشبهك في هارلم ، أفكر : متى تحين ثورتك الآتية ؟
ويعلو صوتي : حرّروا لنكولن من بياض المرمر ، من نيكسون ، وكلاب
الحراسة والصيد . اتركوا له أن يقرأ بعينٍ جديدة صاحب الزنج علي ابن
محمد ، وأن يقرأ الأفق الذي قرأه ماركس ولينين وماو تسي تونغ ،
والثفري ، ذلك المجنون السماوي الذي أتحلّ الأرض وسمح لها أن تسكن
بين الكلمة والإشارة . وأن يقرأ ما كان يؤدّ أن يقرأه هوشي منه ، عروة ابن
الورد : « أقسم جسمي في جسوم كثيرة . . . » ، ولم يعرف عروة بغداد ، وربما
رفض أن يزور دمشق . بقي حيث الصحراء كثفً ثانية تشاركه حمل
الموت . وترك لمن يحب المستقبل جزءاً من الشمس منقوعاً في دم غزالةٍ
كان يناديها : حبيبتي ! واتفق مع الأفق ليكون بيته الأخير .

لنكولن ،

تلك هي نيويورك : مرآة لا تعكس إلا واشنطن . وهذه واشنطن : مرآة تعكس
وجهين – نيكسون وبكاء العالم . ادخل في رقصة البكاء ، انهض لا يزال
ثمة مكان ، لا يزال دور . . . أعشق رقصة البكاء الذي يتحول إلى حمامةٍ
تتحول إلى طوفان . « الأرض للطوفان محتاجة . . . » .

قلت البكاء وعنيت الغضب . عنيت كذلك الأسئلة كيف أفنع المعرفة بأبي
العلاء؟ سهولَ الفرات بالفرات؟ كيف أبدلُ الخوذةَ بالسنبلة؟ (لابدَ من
الجرأة لطرح أسئلة أخرى على النبي والمصحف) ، أقول وألمح غيمةً تتقلد
النار ؛ أقول وألمح بشراً يسيلون كالدمع .

نيويورك ،

أحصركِ بين الكلمة والكلمة ، أقبض عليك ، أخرجكِ ؛ أكتبكِ وأمحوك .
حارّة باردة ، بين بين . مستيقظة ، نائمة ، بين بين . اجلس فوقك وأنتهد .
أتقدمكِ وأعلمكِ السير ورائي . سحقكِ بعيني ، أنت المسحوقة بالرجب .
حاولت أن أمرّ شوارعكِ : استلقي بين فخذيّ لأمنحك مدى آخر ؛
وأشياءكِ : اغتسلي لأعطيك أسماء جديدة .

كنت لا أجد فرقاً بين جسدٍ برأسٍ يحمل أغصاناً نسميه شجرة ، وجسدٍ
برأسٍ يحمل خيوطاً رفيعة نسميه إنساناً . واختلطت عليّ الحجرة والسيارة ،
وبدا العذاء في الواجهات خوذة شرطي والريغفُ صفيحة توتياء .

مع ذلك ، ليست نيويورك لغواً بل كلمة . لكن حين أكتب : دمشق ، لا
أكتب كلمة بل أقلد لغواً . دال ميم شين قاف ... لا تزال صوتاً ، أعني شيئاً
من الريح . خرجت مرةً من الحبر ولم تعدّ . الزمن واقف حارساً على العتبة
يسأل : متى تعود ، متى تدخل ؟ كذلك بيروت القاهرة بغداد لغواً شاملٌ
كهباء الشمس ...

شمس ، شمسان ، ثلاث ، مئة ...

(استيقظ فلانٌ وفي عينيه اطمئنانٌ يمتزج بالقلق . يترك زوجاته وأبناءه
ويخرج حاملاً بندقيته . شمس ، شمسان ، ثلاث ، مئة ... ها هو كالخيط

مهزوماً ينزوي تحت نفسه . يجلس في المقهى . المقهى يمتلئ بحجارة
ودُمىٌ نسميها رجالاً ، بضفادعٍ تتقيأ الكلام وتوسخ المقاعد . كيف يستطيع
فلانٌ أن يثور وعقله مليءٌ بدمه ، ودمه مليءٌ بالسلاسل ؟
اسألك ، أنت من تقول لي :
أجهل العلم وأتخصّص بكيemia العرب .

السيدة بروينج ، يونانية في نيويورك . بيئتها صفحة من كتاب المتوسط - الشرق . ميرين ، نعمة الله ، ايف بوئفوا . . . وأنا كمن يضيع ويقول أشياء لا تقال . كانت القاهرة تتناثر بيننا ورداً يجهل الأزمنة ، وكانت الاسكندرية تختلط بصوت كفافي وسيفيريس . « هذه أيقونة بيزنطية . . . » ، قالت والزمن يلتصق على شفتيها عطراً أحمر . كان الوقت يحدودب والثلج يتكئ ، (منتصف ليلة ٦ نيسان ١٩٧١) .

ونفضت في الصباح صارخاً

قبيل ساعة العودة : نيويورك!

تمزجين الأطفال بالثلج وتصنعين كعكة العصر . صوتك إكسيد ، سمٌ مما بعد الكيمياء ، واسمك الأرق والاختناق . سنترال بارك تولم لضحاياها ، وتحت الشجر أشباح جثث وخناجر . ليس للريح غير الأغصان العارية ، ليس للمسافر إلا طريق مسدود .

ونفضت في الصباح صارخاً : نيكسون ، كم طفلاً قتلت اليوم؟

— « لا أهمية لهذه المسألة! » (كالي)

— « صحيح أن هذه مشكلة . لكن أليس صحيحاً كذلك أن هذا ينقص عدد العدو؟ » (جنرال أميركي) .

كيف أعطي لقلب نيويورك حجماً آخر؟ هل القلب هو كذلك يوسّع حدوده؟

نيويورك — جنرال موتورز الموت ،

« سنبدل الرجال بالنارا » (مكنمارا) — يجفّفون البحر الذي يسبح فيه الثوار ،

و«حيث يجعلون من الأرض صحراء ، يسمون ذلك سلاماً» (تاسيت) .
ونَهَضت قبل الصباح ، وأيقظت ويتمان .

وولت ويتمان ،

ألمح رسائل إليك تتطاير في شوارع منهاتن . كل رسالة عربية ملأى بالقطط والكلاب . للقطط والكلاب القرن الواحد والعشرون ، وللبشر الإبادة :
هذا هو العصر الأميركي!

ويعتبان ،

لم أرك في منهاتن ورأيت كل شيء . القمر قشرة تُقذف من النوافذ ، والشمس برتقالة كهربائية . وحين قفز من هارلم طريق أسود في استدارة قمر يتوكأ على أهدابه ، كان وراء الطريق ضوء يتبعثر على مدى الإسفلت ، ويغور كالزعر بعد أن يصل إلى غرينيش فيليج ، ذلك الحي اللاتيني الآخر ، أعني الكلمة التي تصل إليها بعد أن تأخذ كلمة حُب وتضع نقطة تحت الحاء . (أذكر أنني كتبت ذلك في مطعم فايسروي بلندن ، ولم يكن معي غير الحبر . وكان الليل ينمو كزغب العصافير) .

ويعتبان ،

«الساعة تعلن الوقت» (نيويورك - المرأة قمامة ، والقمامة زمنٌ يتجه إلى الرماد) .

«الساعة تعلن الوقت» (نيويورك - النظام بافلوف ، والناس كلاب التجارب ... حيث الحرب الحرب الحرب!) . «الساعة تعلن الوقت» (رسالة آتية من الشرق . طفل كتبها بشريانه . أقرأها : الدمية لم تعد حمامة . الدمية مدفع ، رشاش ، بندقية ... جثث في طرقات من الضوء

تصل بين هانوي والقدس ، بين القدس والنيل) .

ويتمان ،

«الساعة تعلن الوقت» وأنا

«أرى ما لم تره وأعرف ما لم تعرفه» ،

أتحرك في مساحة شاسعة من علب تتجاور

كسراطين صفراء في محيط من ملايين الجزر

— الأشخاص ؛ كل واحدة عمود بيدين

وقدمين ورأس مكسور . وأنتَ

«أيها المجرم ، المنفي» ، المهاجر»

لم تعد إلا قبة تلبسها عصافير لا تعرفها سماء أميركا!

ويتمان ، ليكن دورنا الآن . أصنع من نظراتي سلماً . أنسج خطواتي وسادة ،

وسوف ننتظر . الإنسان يموت ، لكنه أبقى من القبر . ليكن دورنا ، الآن .

أنتظر أن يجري الفولغا بين منهاتن وكوينز ؛ أنتظر أن يصب هوانغ هو حيث

يصب الهدسون . تستغرب؟ ألم يكن العاصي يصب في التبر؟ ليكن دورنا

الآن . أسمع رجّة وقصفاً . وول ستريت وهارلم يلتقيان — يلتقي الورق

والرعد ، الغبار والعصف . ليكن دورنا ، الآن . المحار يبني أعشاشه في موج

التاريخ . الشجرة تعرف اسمها . وثمة ثقب في جلد العالم ، شمسٌ تغيّر

القناع والنهاية وتنتحب في عين سوداء . ليكن دورنا ، الآن نقدر أن ندور

أسرع من الدولار ، أن نحطّم الذرة ونسبح في دماغ إلكتروني باهت أو

متلائي ، فارغ أو مليء ، وأن نتخذ من العصفور وطناً . ليكن دورنا ، الآن .

ثمة كتاب أحمر صغير يصعد . لا الخشبة التي اهترأت تحت الكلمات بل
هذه التي تتسع وتنمو ، خشبة الجنون الحكيم ، والمطر الذي يصحو لكي
يرث الشمس . ليكن دورنا ، الآن . نيويورك صخرة تتدحرج فوق جبين
العالم . صوتها في ثيابك وثيابي ، فحمها يصبغ أطرافك وأطرافي ...
أستطيع أن أرى النهاية ، لكن كيف أقنع الزمن لكي يبقيني حتى أرى؟
ليكن دورنا ، الآن . وليسبح الزمن في ماء هذه المعادلة :
نيويورك + نيويورك = القبر أو أي شيء يجيء من القبر ،
نيويورك - نيويورك = الشمس .

في الثمانين أبدأ الثامنة عشرة . قلت هذا أقول وأكرر ولم تسمع بيروت .
 جثة هذه التي توحد بين البشرة والشوب
 جثة هذه المستلقية كتاباً لا حبراً
 جثة هذه التي لا تسكن في صرف الجسد ونحوه
 جثة هذه التي تقرأ الأرض حجراً لا نهراً
 (نعم أحب الأمثال والحكمة ، أحياناً)
 إن لم تكن مُهيماً ، تكن جثة!

أقول وأكرر ،
 شعري شجرة وليس بين الغصن والغصن ، الورقة والورقة إلا أمومة الجذع
 أقول وأكرر ،
 الشعر وردة الرياح . لا الريح ، بل المهب ، لا الدورة بل المدار . هكذا أبطل
 القاعدة ، وأقيم لكل لحظة قاعدة . هكذا أقرب ولا أخرج . أخرج ولا أعود .
 وأتجه نحو أيلول والموج .
 هكذا ، أحمل كوباً على كتفي وأسأل في نيويورك : متى يصل كاسترو؟
 وبين القاهرة ودمشق أنتظر على الطريق المؤدي ...
 ... التقى غيفارا بالحرية . تغلغل معها
 في فراش الزمن وناما . وحين
 استيقظ لم يجدها . ترك النوم
 ودخل في الحلم ،

في بيركلي ، في بيروت وبقية الخلايا ، حيث يتهاى كل شيء ليصير كل شيء .

هكذا ،

بين وجه يميل إلى الماريجوانا تحمله شاشة الليل ،
ووجه يميل إلى الآي بي إم تحمله شمس باردة ،
أجريت لبنان نهراً من الغضب ، وطلع جبران في ضفة وطلع أدونيس في
الضفة الثانية .

وخرجت من نيويورك ، كما أخرج من سرير :
المرأة نجمة مطفأة والسرير ينكسر أشجاراً بلا فضاء ، هواءً يعرج ، صليهاً لا
يتذكر الشوك
والآن ،

في عربة الماء الأول ، عربة الصور التي تجرح أرسطو وديكارت أتوزع بين
الأشرفية ومكتبة رأس بيروت ، بين زهرة الإحسان ومطبعة حايك وكمال ،
حيث تتحول الكتابة إلى نخلة والنخلة إلى يمامة .
حيث تتناسل ألف ليلة وليلة وتختفي بثينة وليلي
حيث يسافر جميل بين الحجر والحجر ، وما من أحد يحظى بقيس .
لكن ،

سلامٌ لوردة الظلام والرمل
سلامٌ لبيروت .

(نيويورك 25 آذار - بكفيا 15 أيار 1971)

**قد اس بلا قصد،
خبط احتمالات...**

— «هل ترين حرجاً إذا أهديتك
قصيدة؟»
— «على العكس ، هذا مجد لي» .

I

... إذن ، كانت قُدَّاساً بلا قصد ، خليطاً احتمالات
وكان يتبدّد في ما يشبه الدُّرُوبَ
في زقاق
في حارة النقّاشات
أو في القصّاع
يقرأ جذوع التاريخ في اتجاه امرأة تقرأ الغصون .
— «هذه لها» /
وبدا صاحب البيت كأنه قوس قُزَحٍ رآه في غابةٍ ما .
— «غداً تأتي» /
سلامٌ لذلك البيت ، جرساً صامتاً ، يتغلغل في أحضان الليل . أهلاً
بهذا الشاعر يتلألاً ضليلاً ، كمثل كوكبٍ يكاد أن يسقط .

مِنْ زَمَنِ ،
يقول الغبطة ويقول اليأس .
حَظٌّ آخر أن يتعلّمها ،
تحفّز آخر أن تحاصره ، -

يتموّج فيها ويستشرف :
- «هل أنت من هاويتي وفوضاي؟»
- «إليّ ، إلى مسرحي ، أيها المبعثر
أنا من تفاجئك
أنت من يغلب أحشائي
وكلانا حربٌ غير هذه الحرب .»

لكن ، لماذا لا يملؤه إلّا حبٌ ينتظره؟
لكن ، لماذا لم يجيء هذا الحبّ؟

... في حبّ لم يجيء بعد ، يرسم وجهه على الغيم
ويمنح جسده لأفياء الذاكرة /
الحياة نايّ من الغبار
وصفصاف الحزن وارفّ حتى الأفق .

وها هي النجوم فوق الحميدة تهتدي بشرفات
المهاجرين - تمدّ أيديها إلى قاسيون ، وترك أفخاذها في أسرة غامضة .

إنها المدينة - جنديٌ من الثلج
في خاصرته اليسرى ثقبٌ ، والبقيةُ لنا .
إنه التاريخ - حصانٌ عليلٌ يقطر من قوائمه
ماءُ أسن .
أنبتُ في الجراح ، أيها الملحُ ، كقرون الأياثل /
الجوعُ ميلادٌ ،
والأرض ضيقةٌ على الأرض ، -

كيف يقرؤك ، أيتها المرأة / كيف يقرؤك ،
أيتها المدينة ؟
- ما نواياه ، ما هدفه ؟
- هدفه الرعد ، نواياه الطوفان .

كان الهواء يضبط على الشاعر كلاماً لم يفهمه
كان الشاعر يتمنّدل ويصير للمدينةِ عوداً رطباً
كان الأفق يتنسّمهُ ويستروح إليه ، -
شمسك جديدةٌ ، أيها النهار
الظلّ ينبسط ويتنلّل
الأعشاب تزين وتخصب ، -
شيخ الربيع ، زهرة الحواشي ،
السماء تتحدّب والهواء ممشوقٌ /

صمتُ ، -

لا نسمع إلا صوت الرئة :

- «ممتزجاً بك ،

أنتهك

أكتبك في كل خلية من خلاياي

أتكلمك ،

وأستسلم ، يا لغتي ، إليك» .

- «قصبة تنحني إليك ، عشب تسكر بك

انثري في تقاطيعك ،

أنغرس فيك وأقول لجسدي محروث أنت بجسده

تتحول إلى حقل واحد وأقول

انتظري في الطرف الأقصى من الحصاد

كن خريفي -

الربيع تمهيد ،

الصيف عطش ،

الشتاء انتظار ، -

وأنضجني ، أيها الخريف الشاعر ،

حيث أجرف الزمن كنهراً وحشي ، وأصرخ

أنا الحياة ،

تطوّخ فيّ ،

اشتعل ،

أيها الطالع بين عينيّ

ندشن مملكة جسدنا - وأعلن /

أحبك وأزحزح تخوم الجسد ،

أحبك وأطلع فيك نبتة مسحورة ،

أحبك وأقول حبك يتجاوزني ،

أحبك وأقول : «حبيّ النّهر»

ولن تعبر النّهر مرّتين ... »

II

... إذن ،

كان برجاً من الضّوء وله قامة الأفق ، يملأ المكانَ

بالمكان ، يربط

الوقت بالوقت .

هكذا سمّته الحبيب الذي نفاها إليه . هكذا

وشوّشت نفسها :

«تزيّني به / إنه البرق

تعرّضي له

زاحميه

وأثبتني وتنوّعي ...

بعضنا ذبيحة بعضنا ، وكلانا قدّاس الآخر ...»

— أهلّني للاتّصال بك ،

أعضائي طافحة سُكراً

وظنّني أنك آخر أفق يحوشني .

— ظنّني أنّك آخر جسدٍ أحوشه ،

لذلك يحضرني خوفٌ منك —

لكن ،

خُذيني إليكِ

يا بيتَ الفتنة ، وبيت الرّغبة ، وبيت النّشوة .

ناغيني بغيبك ،

ادمجيني فيك ، أدرجيني معك ،

خوّضيني في القلق ،

وموّجني عليّ الخوف .

III

أَصْغَى إِلَى جِسْدِهَا (جِسْدِهَا لَغْتَهُ وَبِهِ يَتَكَلَّمُ)
يَتَكَلَّمُ عَلَى السَّفَرِ بَيْنَ الْحَبْرِ وَالْوَرَقِ ،
بَيْنَ الْعَضْوِ وَالْعَضْوِ ،
يَتَكَلَّمُ ضِدًّا ... /

يَتَكَلَّمُ عَلَى انْقِلَابِ الْجِسْدِ وَيَنْشِئُ سُلْطَتَهُ
يَتَكَلَّمُ لِيَقِيمَ نِظَامَ الدَّمِ بَيْنَ جِسْدَيْهِمَا
يَتَكَلَّمُ لِيَنْشِئَ كِتَابَةً سِوَاءَ كَجِسْدِهَا
لِيُظَلَّ عَالِيًا فِي سَوِيَّةِ الْمَوْتِ
يُظَنَّ أَنَّ ... /

أَلِهَذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ :
أَخْلَقَ / لَا أَخْلَقُ إِلَّا شَقِيقًا وَانْصِدَاعَاتٍ ؟
أَلِهَذَا يَقُولُ لِلْمَرْأَةِ / الْمَدِينَةِ :
أَكْتُبْ لِأَكُونَ لَكَ ، وَجْهِي نَيْزَكٌ وَأَنْتِ الْفَضَاءُ ؟

... وَتَسْأَلُ جِسْدَهَا : هَلْ أَنَا تَوْرِيَّةٌ لِمَعْرِفَتِهِ ؟ هَلْ هُوَ مَعْنَاهُ يَتَكَوَّنُ
حَوْلِي ، أَمْ هِيَ صُورَتُهُ ؟
وَكُتِبَ جِسْدَهَا :

قَلَّ تَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى نَدَى يَقْطُرُ عَلَى الشَّرَفَاتِ
قَلَّ خَرَجَ وَجْهَهُ يِرَافِقُ الزَّمْنَ

وها هي قبائل العشب
ترتجل معه غزو المسافات .

... هكذا أعلنّا :

نحن الجسمان الأولان ، والموت جسمنا الثالث .

هكذا كانت تكتب :

«الزمن اثنان - صامتٌ وناطقٌ

الناطق الجسد ، الصّامت الموت» ،

هكذا كان يقرأ :

«أيها الخياط ، عندي حبٌ مُفتوّقٌ هل تخطيطه؟»

«إن كان عندك خيوطٌ من ريح» .

... إذن ،

يبقى أن نعشقَ ولا نعرف لماذا

يبقى ما لا يقدر نظامٌ أن يمنحه

يبقى ما لا تقدر سلطةٌ أن تمنعه

تبقى حريّة أن أقبلكِ وحريّة أن تستسلمي

أتقمّص قميصكِ وألهج بكِ

تتقمّصين قميصي وتلهجين بي -

نُجمَل قشرة الأرض

ونُجنسُ الكون .

IV

... استرسل الشاعر يقرأ طالع المدينة ، حيث يهبط

نجمها على أوراقه /

يكتب إليك ، أيها النجم ، يقول إنه من مُشَاتِكَ في معسكر

الرغبة ويستنفر العناصر /

لكن ، كيف يقرؤك ، أيتها المدينة ، كيف يخرج

من حوضك الأخضر

الطافح بأوبئة لها طعم الترياق وبراعة الياسمين؟

حقاً ، أنتِ

السُرَّة وفيك مهبل الأرض .

كيف أقرؤك ، أيتها المدينة / المرأة؟

بعذوية ، تقطعين جسدي عِرْقاً عِرْقاً ،

وليس لي أن أقدم

غير القليل من الفرح

غير الكثير من الحزن .

لكنني أمنح أطفالك غضبي كله وقوتي كلها -

حيث أعلم حياتي أن تكون طريقاً واحداً : الجسد ،

وأقول للغتي أن تكون كلمة واحدة : الحرية .

V

... في اللغة التي تتعلم لتكون الحرية ،
سأل الشاعر بردي :

– «بردي ،

هل بقي وجه ، وجه واحد
يعبس حقاً حين يعبس
يبتسم حقاً حين يبتسم ،
وجه واحد

تبادل معه فطرة الحجر وصدق الريح ؟
... بفطرة الحجر وصدق الريح ،
صنع الليل ، وهو ينظر إلى الشاعر ،
نجمة من سلالة أخرى ، كان فيها ما يشبه البنفسج ،
وما يشبه امرأة عاشقة /
التصق بها –

نفسه تكره الحرب ،
لكن جسده يعشق الخراب ،
وكان يتمتم لنفسه :
السّماء للنجوم ،
الأرض للحجر ،
أين مكانك ، يا شبيهي
يا من سموه الإنسان ؟

... ذلك أن التاريخ يفكرُ بقديمه ،
وها هو يجاهد عائماً بين الحجر والحجر ،
وها هو يتطوّح ، طيوراً مصعوقةً
تصفر حول نوافذ لا تنفتح ،
وتهذي وتتلاشى .

... ذلك أن المدينة تُثلجُ ألفاظاً ، وكل بيتٍ يرحل
في اتجاه
ولكل لفظة شاهدة

تعلو في انصداع جليدٍ يحرسه الطحلب ، والزمن بين الأرجل
يـ - ت - ش - ق - ق .

أنذر الشاعرَ ورقٌ يتساقط . توعدُ أنسامه
ريفٌ أجرد .

... ذلك أن للحقول أردافاً تتزخرفُ بحجر الدم ،
... ذلك أن التربةَ الزكيةَ تفضي ،
وأعضاؤها حديدٌ هالك .

وسأل الشاعر :

- أيتها الريح التي تغتاب العطر ،
ما الذي يلتبس عليك في شهقة الورد؟

VI

... في مثل شهقة الورد ، خرجت من حوض الوله
إلى مصيرها . تنسحق
مسكاً بين شفتين ، وتقتّر في بقايا أعضائها .
ما أغرب هذه العاشقة : جذع شجرة ينقصف أمامها ،
تؤبج زهرة يستحوذ عليها /
ها هو يشتعل ثانية ، ويضرم أحشاءه .
وها هي أعضاؤه
تتفرّع أدغلاً أدغلاً .

ما أغرب هذا العاشق : جذع شجرة ينقصف أمامه ،
تؤبج زهرة يستحوذ عليه /
... يجازف بطقوسه ،
وبين ما بقي منه امرؤ القيس ، وصاحب يأخذ دربه
إلى التفري ، ويقدم له طاسة السكر ، -
يمكن أن تكون للهذيان هالة ،
وللدّمع دارة موج - سرير يحملنا ،
أو سفينة تقطر جسدنا .
يمكن أن تنقلب نكهة الجسدين إلى أسراب طيور تصرّف
أمور الهواء
يمكن أن تتفارق ولا يكون بيننا وبين جسدنا غير

جسدنا .

... ذلك أن هذا دأبُ جوارحه ،
يا مَنْ سَمَّاها حبيبته ،
وأنتِ عادة أهدابه ، -
وبعد ذلك ، وإلا ، ومهما يكن ...

VII

... بعد ذلك ، وإلا ، ومهما يكن ...
شهوة البَشَرَةِ ، مباحج
العَضَل /
وأخذ نَجْمها يهبط على أوراقه :
هل الشَّمْسُ ، هذه السَّنَةُ ، خيرٌ منها في السنة
الماضية ، أيها النَّجْمُ ؟
وهل الغيم أكثر تناسلاً ؟
لكنَّ الغموضَ يصاهر الرَّمَادَ ، والمصادفةَ عصيةٌ
حتَّى على النُّزْدِ .

... كان جسده فوق ما يقدر أن يتكلَّم ،
كان عمله فوق ما يقدر أن يتخيَّل ،

يطارده زهاء لاهوتٍ أو أكثر
يحضنه زهاء هرطقةٍ أو أكثر ، —
شعْبُذ أدلتك ، يا هذا الوقت ، أيها الصنوبر المُقفى
بماء الضراعة ،
أنتَ حزمة الحطَب ، وأنتَ شرعة الحرق ،
أنتَ العاهة ، وأنتَ البريء ،
ولستَ الركيك ، ولستَ الخافت .
يهبطُ فيك ، يا هذا الوقت ، تقوده الشرفات ، —
حدث ، مرةً ، أن تناولَ الشوارع كما يتناول الجرائد
رأى إليها ترتسم كالحروف
ورأى إلى الحروف تسمن وتمتلئ دسماً ودهناً ،
ثم تتحوّل إلى شباكٍ ولافتاتٍ ... /

ويكون لأشعة الشمس أن
تلتقطَ جسدَ امرأةٍ وتسأل :
كم جيلاً عمق جرحك أيها الجسد ؟
ويكون للأرصفة أن تحتضنَ النساءَ
غاباتٍ غاباتٍ ، وتتركُ للطريد أن يكمن لرحيل الأثداء .

... وأخذَ الشاعر يصرخ كأنه يتمضمض بأحشائه :
انكسرَ صلبك ، يا هذه المدينة المُشطرّجة ، وتلطّختُ برشاشك . تشظي

وَبَعَثَرْنِي فِي اتِّجَاهَاتِكَ
صَحَّوْ أَنْ أَغِيْمَ فِيكَ . سَطْوَعُ أَنْ تُعْتَمِي دُرُوبِي ، -
أَهْلًا ، أَيُّهَا الْجَسَدُ الْقَرِيبَانُ ، أَيُّهَا
الْهَامِشُ الطَّيِّبُ فِي مَتْنِ رَصْدٍ يَتَسَلَّطُ وَيُوسُوسُ ، -
سَلَامًا ، أَيُّهَا التَّارِيخُ الْجَنَسِيُّ .
... وَكَانَ اللَّيْلُ يَنْسَحِبُ كَخَشْخَاشٍ صُوفِيٍّ ،
وَيَدْخُلُ غَابَةَ الْجَوَارِحِ .

VIII

... لِحَفْظَةِ شَهْوَةٍ ، لِحَفْظَةِ انْخِطَافٍ ،
وَالزَّمَنُ الشَّرُوبُ يَسْكُرُ بِاسْمِكَ ، أَيُّهَا الْمَرْأَةُ / الْمَدِينَةُ .
لَكِنْ عَطَّشِي فَرْنٌ شَمْسِيٌّ ، وَلَيْسَ لَعِينِيكَ أَخْتَانِ ،
أَيُّهَا الْهَائِيَّةُ الَّتِي تَخَالِطُنِي ، -
يُعْطِيهَا تَوْلَهِي لَعِينِي ،
وَتَنْهَبُهَا مِنْهُمَا أَعْضَائِي -
وَأَنَا الْأَفَقُ الَّذِي يَتَزَيَّنُ بِشَهْوَاتِكَ .

... وَفِي اللَّيْلِ الَّذِي يَنْسَحِبُ كَخَشْخَاشٍ صُوفِيٍّ
وَيَدْخُلُ غَابَةَ
الْجَوَارِحِ ، كُنَّا - أَنْتِ وَأَنَا ، نَسْمَعُ وَشَوْشَةَ
أَشْجَارٍ ، زَفِيرَ

أَقْبِيَّة :

/ الأَرْقَة خلايا من الجمر النِّيء ، -
 ثمة زمنٌ يتخَنَّث في رقص تنكَّري ،
 ثمة استرجالٌ يرشح من الزُّهر .
 / لك هذه الآفة الشَّافية الملقَّحة بليِّلك ولُفَّاح .
 / لك هذه العضلة المنمَّنة بتخاريم الوقت
 / وأنتِ مَسْبَكُ المحرَّم .
 / وأنتِ خايبة المِلذَّات .

/ ... تسَلَّسْ ، أيها الترنيمة الباهي في توحش أملس
 كشَمَام أخضر ، وأنتِ أيها الخطُّ الثُّلُثُ ، تغلغل بين
 الكوفي والديواني ، في واجهاتٍ تؤرخ لأخاديد الرِّغبة ..

... وكنا ، أنتِ وأنا ، تتمتم :

البهارُ يحمِّمُ

الشوك يتورَّد

يلزمننا أن نقيم في جسدٍ آخر ، ونللم حصادنا ،
 يلزمننا أن ننتهك مدنيَّة اللُّغة ، ونصرخ :
 نحن الوحشان الأخضران ،
 ونهدر كلُّطف من البحر ...
 ... كمِثِل أعصابٍ ناقلة ، كانت كلماتنا تنتشر

بين قاسيون وجزّمانا . الوقت في جسدنا
أرضٌ شاسعة تلتهبُ ، وللكآبة في تقاطيعنا جبالٌ وبحيرات .
لكن ، كانت الأرض تتنوّع ، وكان الحرثُ يتعمّق ، -
هكذا ، تحت سُلطة الشجر تقدّمنا .
وكان وسيطاً لوحيّ وجهينا يستطلع لنا ويلبس أشكالَ
الليل . ورأيتُ إلى مزاجك الهادئ يدخل في خرابه
الجميل / أكرّر :

في الكآبة أعطيك اسمي
في المنفى أنبتُ فيك ،
تهدّب فوقنا ، أيها الشجر ،
املأنا ، لا تخف ، أيها الغيب .

IX

... وأضنيناك ، أيها الليل الآخر الذي يتدلّى كالجلجل
في أعناق الشوارع .
وأنعشناك ، أيها السهر الآخر الذي يعرّش على أنحائنا .
وأخذَ
بوْحنا ينبسط ويتشعب ، كأنه يعاديننا ويصادق الفضاء
وكنت أرى كيف تخذشك في غابات المتنقلة ، نبتةً
ما ، وكيف
ينتسب شيخ الربيع إلى فصيلة زهرك المركّب ... /

مَسْ شَبَقِي
وانجرافُ خلايا -
أستثنيك من
كيفَ وَلِمَ وأين ،
وأمارس إعجازي .

زَغَبُ نبِيذِي
وأضيف كحولي إلى خمرك ،
وأتجهُ معك نحو لَجَّةٍ تَتَشَرَّبُ أنحائي .

/ املاهما ، لا تنحف ، أيها الغيب .
من جديد ، تَغْطِيكَ ، أيها الشاعر ،
غَيُومٌ عَرَافَاتٌ يَنْقَطِعْنَ للمطر
ويتنبأَن :

سَيَتَزَوَّجُ سَحَابَةٌ
لكي لا يعرف بمن يلوذ ، -
وقلْ بيتُهُ بَيْتُكَ ، أيها الرّعد .

X

... قل بيتُهُ بَيْتُكَ ، أيها الرّعد ، واختر اسمك :
دمشق / لاتزال تنقش في ذاكرة أيامه رحي فَتْكَكِ

لا تزال ترتسم أصواتٌ تحمل سطوة الجنائز .
 لكن ، ها هو اسمك يزدوج الآن ،
 لكن ، بمجد اسمك الآخر ، هو الآن
 الشعر الذي يعيدُ سبكك
 حرفاً حرفاً ،
 لتكوني على مرمى الخلق ،
 لتكوني قريبة على مدى الشعر .

بالغضب ، غطى جرحه إليها مرآتٍ ولم يلتئم ،
 في جَزَرِها ، انحسَر مرآتٍ ولم ينكسر ،
 في شَحْها وفتورها ، حفر ، نقر كثيراً كثيراً ،
 ولم يتقهَّر .
 / من أين لك أن تمتنعي علي ؟
 يقول الشاعر
 أنتِ الشَّعاعُ وهو انعكاسُك ، أنتِ الجهاتُ والسَّفَرُ
 كله إليك .
 جسدك بستانٌ أميريٌّ مثقلٌ بالضرائب ،
 ولقلبه نعمة الجباية .
 وأنتِ خميرة الطَّرْق إلى الوله وأطرافِ الأبهة ،
 وأنتِ الفتنة .
 من أين لك أن تمتنعي علي ، يقول الشاعر

من أين لنا أن نتنافر؟

هيهات ، هيهات ...

مَسْكُونُ إِلَيْكِ ،

تائهٌ إِلَيْكِ ،

وإِلَيْكِ فَوَضَعْتَنِي الرِّيحَ .

(دمشق ، كانون الثاني ، 1976/

بيروت ، آب ، 1978)

مراكش - فاس والفضاء ينسج التأويل

قُلِّ الوقتُ يَشْطُحُ
في ضبابٍ يتهَدَّلُ ويشْفُ
لا مِنْ البخارِ لا مِنْ الغبارِ
بل مِنْ أنْفاسِ البشرِ؛

قُلِّ التَّاريخُ قروحٌ وأنْقاضُ
وللحاضرِ نكهةُ القَشِّ؛

قُلِّ الملكُ للمماليكِ
وقلْ ها هيَ الأيامُ تتوشَّى بالقتلِ .

بلى! حضارةٌ ما ، تُحتَضِرُ في هذا الإصْطِيلِ المتمدَّنِ ، -

وبين «الصيَّاعين» و«طريقِ المسيحيين»

أقاليمُ تسوَّلِ
تَجْمَهُرُ فيها أمجادُ عمائمٍ وقناديلِ
وتتطوَّحُ في سراويلِ الأفقِ .

بلى! شيء ما يقذفه «باب العصا» ، يتوتر على
«باب البحر» ، ويكاد أن يتفجر في «باب البارود» -
هواجس تلتهم المسافات /
كيف نفتح الثقوب ليهب الهواء؟
لو تفيض هذه السدود ، لو تنجح هذه الشواطئ! -
إنها طنجة ، المدى الذي يحارب القلب
ولا يسالم العين .

إذن ، سنسبل أحلامك في أصيلة ،
واستشرف مراكش وفاس .
إذن ، إليّ ، أيتها التباريحُ
أجنحة كأطراف الكون ،
وتوهجي نبوءة ورمزاً .

II

طفلاً ،
تدخل إلى مراكش ، في حاشية من توابع الشجر والعشب
تحريك طلائع النخيل ، وكل غصن تاج من النار /

لا تُنكر

الخريف جمرَكَ أيها الربيع
الربيع ماؤَكَ أيها الخريف ، -

فجأةً ،
تهيَّبَ المطرُ أمامَ نخلةٍ تتوجع
وأخذ يتجرَّعُ أوائلَ العطش ، -
قلَّتْ في التَّوْبِجِ
طمأنينةٌ في الجَدْرِ ،
واسمع ما يشبه الكلام : اليوم ، ينزل القمر إلى المدينة ،
ويزور أصدقاءه الفقراء .

III

ياأخذكَ نحاسُ الوجوه
تأخذكَ فاقةٌ تعرَّشُ على الخواصر
تأخذكَ أصواتٌ تملأُ الشوارعَ بُسْطاً تتقَّبها أظافرُ الهجير ، -
وماذا يقول
ماسحُ الأحذية لهذا القفطان المذهب؟ وماذا يوسوس
بائع اللبن لتلك الناطحة من الإسمنت؟ وما لهذه
الأرصعة كأنها خيولٌ أرهقت ، تنكسُ البيارق؟

وحين ترى إلى الشمس تغربُ ، يتجاذبها الأطلس
والمتوسط ، يُخيّل إليك ، في الحقّ ، أنها جسد امرأةٍ
يتخطّفها سريران عاشقان .

IV

«جامع الفناء» / فجرٌ في أوّل اللّيل ،
أم هباء أقدام تلتطم بالغسق؟ -
نصٌ يتناسل في نصوص :

أ - المتن - «قصر البديع» / بوابات تنفتح أو تنغلق
احتفاءً بالأسرى
أو احتفاءً بالتائبين ،

ولسانك خنجرٌ ، أيها الشاهد . وبين يديك ، يختنق الصدق ،
في أروقةٍ ودهاليزٍ
في زنايات ومقاصيرٍ
لا تزال ترسم عليها حشرجات القتلى .

ب - الهامش - المحيط / انجذاباتٌ في أعياد شبه منطفئة ، -
حلقاتٌ تتواترُ ، أشكالٌ تلغو ، والرموز تتناثر صورةً صورة .

قَدِّمُوا سَلامَكم لعميانٍ
يَتَحَدُّونَ فِي الظُّلَامِ
وَيَتَسَوَّلُونَ أَتَحْنَاءَ لِلنُّورِ ، -
قُولُوا إِنَّهَا المَادَّةُ تَتَرَقَّقُ فِي ماءِ اللَّحَظَاتِ ،
قُولُوا إِنَّهَا الرُّوحُ تَصَالِحُ الرِّيحَ .

أَنْظِرْ كَيْفَ يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلُ خُطُواتِ الغبارِ
أَنْظِرْ كَيْفَ يَتَدَلَّى الخُرْزُ الأحمرُ الأَبْيَضُ الأزرقُ
مِنَ عِبَاءاتِ الفِضَاءِ

أَنْظِرْ إِلَى الوجوهِ تَفْتَرِشُ التُّرابَ وَتَسْتَسْقِفُ السَّمَاءَ

هَذَا التَّجَمُّعُ تَرَسٌّ ، ذَلِكَ مَائِدَةٌ
هَذَا طَبْلٌ ، ذَلِكَ أُسْطُوَانَةٌ
وَالْمَنَاخُ قَفْطَانُ
أَنْظِرْ / مَلَأْتُ يَهْبِطُ مِنَ الزَّهْرَةِ
أَنْظِرْ / غَزَالٌ مَزْمُومٌ بِسَلاسلَ مِنَ الظُّلْمَةِ
وَالظُّلْمَةُ عَلَى التُّرابِ
وَالِيكَ ، أَيُّهَا التُّرابُ ، يَنْتَهِي العِلْمُ .

تَخَايِلُ أَوْهَامُ خَطَرَاتُ

ما السؤال الساقط السؤال اللازم
الجوابُ الجائز الجواب العادل
وكيف نغتسل من عشق عادة الإلف؟

حاسٌ وأشكٌ في هيئة المحسوس
مُضطرٌ ببديهة العقل ولست أتيقنُ ، —
قولي ينكسر /
هوذا الثلج حارٌ ، هي ذي النار باردة
هوذا المعلوم ساكنٌ وهو في نفسه متحركٌ ،
غامضٌ وهو في نفسه الواضح ، —

هل أقول فسد الاعتقاد وساخ لكل قائل ما أراد
هل أقول سلامٌ لهوأي سلامٌ لطبعي
أستحسنُ ثم أستقيح
أستصوبُ ثم أستخطئ
أستحلي المرَّ أستمّر الحلو
وأجد الشيء على خلاف ما هو /
سلمتِ يا أخلاطي .

جامع الفنا /

كونٌ مشحونٌ بكهرباء الذكري ، - أجسامٌ تُرسل ،
أجسامٌ تلتقطُ في سحرٍ يتقدّس وخرافةٍ تُرضع
بنتها السّماء .

هل تتمايلُ الفضةُ سُكراً بالمثذنة؟
هل يترنّج الذهب انتشاءً بالأذان؟ -
في امتدادٍ برّقش التعاشيبِ
يتنّسمُ تراباً يتنّسمُ الله /

احمرارٌ صفرةٌ بياضٌ
وها هو الزهر يترنّج ، -
وأنت ، أيها العابرُ ،
هل استطلعتَ درجاتِ الضّوءِ ،
وقسّتَ سلالِمَ اللّون؟
هل أنسلّلتَ في حشود كرويةٍ
مستطيلةٍ مثلثةٍ تتناوبُ رصْدَ الأفلاك؟

قبلَ الميلاد قبل الهجرة
بعد الميلاد بعد الهجرة
سنواتٌ تترادفُ ، تغدو وتروحُ في عباءاتٍ من وَبَر السلاطين .
مطابقاتُ بشر وتاريخ . أسوارٌ تتداخل أو تتوازي ، -

سحابة واحدة / ماء واحد
استطالات ترتدّ ، - ألنّ ينكسر مكوك هذا النسيج؟

ماذا فعل ميم ، ذات مساء ، من نشوء العالم؟
أكل ولعب ونام وربما ...
ماذا فعل سين ، ذات مساء ، من تاريخ العالم؟
أكل ولعب ونام وربما ... /
جنسٌ يلتهم الجنس .

- كرّر أيها الدرويش الأعمى
- لا بدّ من تحوّلٍ ليسمن الموت . لا بدّ ، لكي يحضر ، من أن تغيب .

عاديّ وخارقٌ هذا القدر الذي تُشاطئه
ولا تزال تتسع للعب هذه المسافة بين الآن وهنا /

لكن ، ماذا يجدي أن أهربَ إلى عريك ، أيتها الدّنيا؟
لكن ، محتاجٌ لكي أموتَ ، إلى سؤالٍ أطرحه على الغيب ،
ولا وسيطَ لي ، وما أشقى أن أموت كأيّ حيوانٍ إلهيّ .

ما لهذه اللّغة ، -
بابٌ يخرج منه الكلام شاهداً ولا يعود إلّا مقتولاً .

ما لهذا الدَرويش الأعمى ، -
 التباسٌ بين الرّوح والريّح
 وأحارُ : أيهما الصّورة ، أيهما المعنى؟
 أهو التباسُ إيقاعٍ أم اشتقاق؟

وما هذه الشهادة ، -
 هل بدأ العالم هل يبدأ
 لنقول إنّه ينتهي؟
 وأنت ، أيها الإيقاع المتكبر ، تواضع ، -
 هل يمكن العالم حقاً
 أن يدخل إلى بيت اللّغة؟
 آه ، كم أفضلُ عكراً ما يجيء على صفاء ما جاء!

V

«تستطيع أن تمسك الشمس بيديك» ، قالت وأخذت تركض وراء طفولتها
 بين عربات الخيل التي خُيِّلَت إلينا نخيلاً آخرَ يخبّ على الأرض . وتلك
 هي بساتين الزيتون ، تحتضن أوراقاً خرجت ، مرّة ، من أنحاء الشّام ،
 واستسلمت لجبرٍ آخر / أهلاً ، أيها الحبر ، وعهداً أن نمتزج بك ، -
 ... وحين تعبرُ إيفران وإيموزار لتضع وجهك على وجه فاس ، تنخطّ في
 كتاب تكتبه النباتاتُ ، وزّالاً وخزّامى ، ويتنافسُ الشّجر في إملائه .

بَغْتَةً ،

عَسَسَ يَطْوِقُ الهَوَاءَ وَيَكْبِجُ هَدِيلَ الدَّرُوبِ
عَسَسَ يَكْسِرُ أَعْنَاقَ الشَّجَرِ وَيُدَاهِمُ الْوَرْدَ /

— من أي شيء تخافون؟
— من كل شيء . من الكتابِ والكيفِ ، الحشيشِ والجبر ، الذِّكرِ والأنثى ،
النَّهارِ والليل ...

لكن ،

ها هي شمسٌ ما ، تتهاذى معنا في هذه البطائح .
بخارٌ ينهض وراءها . غيمٌ ينهض من البخار /
يَنْعَصِرُ وها هو ينحدر .
وما أنصَرَ تلك السَّحَابَاتِ —
غراييلَ للمطر ، وتخاريمَ للفضاء .

وأنتَ ، ما أضيقكَ — اتَّسَعِ يا حقلَ الإشاراتِ
بين طبعي والطَّبيعةِ رُؤى ومكاشفاتٍ ، — نشوةٌ واحدةٌ /
رعدةٌ واحدة . في أخوة خفية — عَتَمَةٌ بلورية!
إنه الانخطاف تلغزه السَّريرة . إنه الرِّصد البصائريُّ
في وهمٍ يطوف بين العناصر كأنه اليقين .

وأنتَ ، أيها الذاهب صُعُداً في منارات سقراط ،
هل تلمع جَنَّةُ الحلاج ، والذِّبابَ الذي يحومُ ؟
ترأفُ ، وأكبُّ هذه الفراشة ،
تمهّل استبصرْ تحدّبْ هذه النملة ، -
وفاءً للشمس ، تلك البغيّ المقدسةِ
حيث الأعراسُ :
ينشأ دخانُ التكوينِ
يحدث الفتقُ
ويُبسَطُ قميصُ الأشياء .

هكذا ،
حين تضعُ وجهك على وجه فاس ، تستسيغُ رائحةَ العفن ، حيث تتكوّكبُ
نساءً لهنّ لونُ الغسلين ، ويسير أطفالُ شظايا كوكبيّة .

... بالك! Attention!
إنه الحمار السيد ، يتدثر بكآبة الطفولة
ويعبّرُ مثقلاً بأنواع الملائكةِ
من الخضار والفواكه والبقول .

ما أجملَ صبرك ، أيّتها الأميرة الأتانا!

VI

فاس /

هوذا التاريخ ينزّ من الجدران ، يطلع من النوافذ ، يمسكنا بأيدينا ويسير
أمامنا ، -

تقدّموا في هذه الزّنقة ، أبوابٌ تُطبق على السرّ الذي يمكن أن يُسمّى
الجهر - وذلك المحوّ يرشدكم . الخطوة تسترشد بالخطوة ، لكن القدم
تمحو القدم . وللطّين كتبٌ وقراءات ، وللفخار أقلامه وصحائفه - «نساءٌ
/ الخواصرُ نحاسٌ ، والفخذان يمامتان . في بيوتاتِ الوردِ يراهقن ، تحت
خيمة العطر يتزوّجن» .

- كيف تجرّو خطوط الكهرباء أن تتمطى فوق أردافِ هذه الأتان؟
- «أسرعني ليُعطك الله العذابَ والمعنة!» ، يقولُ لأتانه ، ويذلفُ إلينا
قنديلاً يتدلّى بلا سَقْفٍ وها هو يتدحرجُ ويغيب في «وادي الشرفاء» في
دم يتحوّل إلى حصى ،
في حصى يلوّن الأزمنة .

وعند «جامع القرويين» ، تتكوّم الأشياء رؤوساً وأضغاث أحلام ، -

ما أطيب أن يمتزج كلّ شيء بكلّ شيء
رغيفٌ بدفتي كتاب ،

«مختارات لينين» بـ«الروض العاطر» -

ما أبهى أن تجد امرأةً تتخلّل الجزر والنّعناع

أو امرأة تصرخ بك : أشتهيك ، ما أجملك!

ما أشهى أن تنظر إلى محرابٍ كأنك تنظر إلى جسد ،
وأن يختلط عليك ما تشهد : أهذا هو الترابُ أم التبر؟
أصغوا . هَيْنَمَةٌ فقيه .
أدخلوا / كلاً .

واسعة هي أبوابُ الله ، ضيقة هي أبوابُ الدنيا ، —
من أين لك أن تدخلَ ، أيها الزائل؟

عاشقان / زاوية
غانية بلثام أخضر ، —
كريمٌ وخيرٌ ، أيها الجامعُ الذي يتوسط سوقَ الطَّبيعة وسوقَ الطَّبع ،
أنتَ السَّرةُ ، حقاً .
وما أبرَّ هذا التجاذبَ / التناؤدَ
بين الجحيم والجنة!

VII

أدونيس! ، —
إنها اللحظةُ إيَّاها تتسرَّب إليه ، وترفع أحزانه جبلاً . يتدور على حناياه
وينكسر في زحام يتهودج أعراساً أعراساً ، —
ماذا ستفعل ، أيها الشعر ، ما بذارك الجديد؟

في بلدانٍ تزدهي بجديها
 في لغات تفرز الأوبئة . . .
 هل يكفي أن تتطوفن وأن تتبركن؟
 إذن ، قل أنا الطاغية وأعلن جمهورية الهدم .

حقاً أنا الطاغية وأعلن جمهورية الهدم /
 ألا ، فلنكن شغلك الرئيس ، أيها الانشقاق ، وليهتز تحت حواسنا عرش
 الأشياء ، ولتزلزل دولة الموازين ، -
 قولوا لأحلامكم أن تأخذ مكان النجوم وتتلئ ،
 قولوا لأفكاركم أن تأخذ مكان الشجر وتتأصل ،
 احتضننا ، يا جنس الوله ، - ما بعد الملاك ما قبل الشيطان ،
 والنقي لك ، أيها الرضى!

VIII

حركات وهيات تموسق بين البصيرة والبصر . للغضب تقاطيع الراحة .
 للكابة رنة النشيد . للألم غنة الأذان . وللملامح السطوة ، -

انزواء تقول إنه يوسوس لك
 الشهوة آية القلب
 وقل لكل امرأة أنت الأخيرة وأنت الأولى .

هكذا ، تيسر لفاس أن تنظم لذاثها وأن تستنفر جيوش الرغبة
في نقوش حلقات
في طُرر مناجيات
ولك الأبهة ، أيها الخط الكوفي!

لا مجد الغزو ، بل مجد الاستقبال
لا فرحة أن تغلب ، بل فرحة أن تحيا
لا توحش العُنف ، بل أنس مكر كآته من مكر الله /
سلاماً لعلم البصيرة في هذا الهيكل الادمي الذي يعمل
لا ليملك ، بل ليكون
في طقس التحول
طقس ما لا يتأسس
طقس ما يتناقض وينقض
طقس الرثة والحاسة ، —

اقتربي ، أيتها الطالعة المحجبة ، أما قرأت : «أول المحبة معنى أبداه الله
سماء حسناً . ثم أبدى شخصاً ألبسه ذلك المعنى ، وسماه حسناً . ثم
قابل الحسن بالحب ، والمستحسن بالمحب ، والمستحسن
بالمحوب؟» .

اقتربي ، أستحسنك وألقي عليك محبتي ، ولن أغطي وجهي مخافة

الافتتان / قرأت أنه قيل :

«ثلاث يزدن في قوة البصر

النَّظَرُ إلى الخُضرة

والنَّظَرُ إلى الوجه الحَسَن

والنَّظَرُ إلى الماء الجاري» /

هكذا ، يطلع حسنكِ طلوعَ النُّورِ الناطقِ على بنية الطبيعة ، -

اقتربي - جالسةً ، قائمةً ، عاملةً ،

نمومع التفكُّك ، تحيةً لهذا الجسد

المتهاك ، الوفيّ

الذي يهيمِن على فئاته ، كأنه يسأل الموت :

لماذا تتلعثمُ ، أيها الطُّفل ؟

IX

لا «جامع الفنا» ، لا «جامع القرويين» ، بل لُجَّةُ البشر ، بل المحيط والدخول

في حالات ، -

حالة التصدُّف / كلُّ شيء مُرجأ

حالة الانجلاء / بداية ما

حالة الوسوسة / مَرَّحَى للمنعزل المتضامن

حالة اللَّحظة / إليك أحشائي يا صديقي الوقت ،

أتبعثرُ في المنقطع
أتواصلُ في التبعر
والوجود صخرةٌ يعبرُ أمامها النهارُ طيراً شبهً مخنوق ،
والدنيا بقامةٍ الفأر ، -

أستبصر وأتساءل : أيهما الأفضل - أن تتمنَّهَج أو أن تتَفَوَّضَ ؟
ذلك أنَّ فوضايَ قطارٌ للحواسِّ ، مراكب للأعضاء
ذلك أنها وسائدٌ للعضلات وأراجيح
ذلك أنها شرفات
ذلك أنها معاول وثقوبُ في إسمنت الحصار
ذلك أنها وعدٌ ما -

«جبل زالاغ» / دثّريني يا أشجار الزيتون ، -

وحيّ

من

هذه

الجهة :

مَنِّي نبوةٌ يبارك أحشاء السّهول !
«جنانُ ابن حيّون» / أفسحوا لابن عربيّ ، -
في جسدي نارٌ أسمعها تقول أكل بعضي بعضاً
في جسدي نارٌ كأنّ لها نفسين ، نفساً في النهار ونفساً في الليل

في جسدي نارٌ بعلوِّ الهواء ولا تطاولني
 في جسدي نارٌ تأكل وتشرب ونارٌ لا تأكل ولا تشرب ، -
 ووجهي أخاديدُ أرقٍ والشرائع تخليط
 وها قامتي منكسة في ماء الكشف
 وأرى كل شيء بخلاف ما هو /
 لكن ، ما أشف أن يلتبسَ علمُ الطريق في مواسم الوحدة

بين اليد والقلب
 العمل واللغة
 الكلام والصوت ، -
 الغناء الغناء
 ما أصح «ملحونك» ، أيها المُسمع
 ما أرق «عروبياتك» ! -

الكلماتُ تتشكّل محراباً محراباً
 والفضاءُ ينسجُ التأويل .

X

بين هذا الفخارِ النَّازِفِ حنيناً كأنه يُرَقِّشُ لهائنا في ازرقاقه ،
 بين يومٍ يَتَتَوَّجُ بالدمعِ ويومٍ يَتَتَوَّجُ بالدم
 شهراً بعد شهر ،

سنةً بعد سنة ،

ماذا يفعل الشعر
... في عصرٍ لا يحدهُ الورمُ لا تحدهُ الفجيرة
عصرٍ الهلاك ، مجاناً
عصر الغيلة ، التذاذاً
عصر يسمي الكتب أحذيةً
والسجونَ مقاصير
والآلاتِ آلهة ، -

أفٌ للعصر العربيّ الثالث
وسُحراً للإذاعات والصحف ، للتلفزيون والسّينما
وسُحراً للفيزياء والذرّة /

ولم نعد نعرف
هل ندور حول المهد أم حول اللّحد
هل نتّجه إلى اليمين أم إلى اليسار
هل نسيرُ إلى الوراء أم إلى الأمام؟
وكيف نضبطُ لنفوسنا إيقاعاتها؟

حقاً ، كأنّ في مفاصلنا حرباً أهليّة /

وكل شيء يقف وحده
كأنه خرج من المعجم وضيع حروفه .

المدن بحار مينة
الشوارع أيتام وأراميل
والحياة - وجه تتقمصه الكارثة ، وصدر
يرجّه الذعر
لا من رصاصة تطيش أو تتأني
لا من قنبلة تكتنه أسرار الوقت ،
بل من ساحات لا تمتلئ بغير الفرائس
بل من عالم يتلى
ومصائر ترسم في نرد الأشلاء ، -

أستدرك ، -
أقول لخطواتي اتحدني بأحلامي ،
وأرسم لمشروعاتي تخطيطات :
في جنون الجسد تعقيب على تاريخ الرغبة
أسمع ريحاً تشافه الحجر ورعداً يواطع الغيم ، -
وما أغمض الكلام الواضح !

... وحين أذكر بيروت ، أعني

دمشق الرياض بغداد القاهرة

أذكر قبائل تتهدّم وأغتبطُ

كأنّ المستقبل يتربّي على يديّ!

وأقول أدخلُ في اللّهب وأقاسمه أبعاده . أحشد ما تيسّر من نجوم التشرّد
وأشاركها التشعّع . أكتب رسائل إلى مجهولات الأشياء أوقعها بأسماء
أذكر منها أرواد ونيّار . وكثيراً ما أنطلق في الغناء تحت غيمة تركض ،
وأُذهشُ حين تتوقّف كأنّها تصغي . وكثيراً ما أحلم أن أبدّل مواضع
النباتات في الطبيعة كما أبدّل مواضع المقاعد في البيت ،
ثمّ أشيّد وهماً ،

لا لشيء

إلاّ لكي أتخيّل مفتاحاً ما

لبابٍ ما .

أفّ للعصر العربيّ الثالث!

آلافُ التّواريخ تستيقظ بين راياته

آلاف الأعراق تتزاحم تحت قناطره

آلافُ الأجناس تتقاطرُ تحت موائده -

هو الجائع ، السّجين ، العاري /

تهبّي ، أيتها المِلُّ ، استيقِظي يا قبائل!
هوذا طَقَسُ الافتراسِ
هوذا خاتَمُ الطَّقوسِ!

XI

جامع
سلطان ديوان
مرآة / صورة

هيروغليفية مماثلة
مراكش دمشق القاهرة
بغداد القدس فاس
والحياة النُّومُ
والموتُ اليقظة

سراطِينُ
ضُبَّانُ
زواحفُ من كلِّ نوعٍ تفتحُ الأرضَ والإنسانَ يصطادُ السَّمَاءَ ، —
إِنَّه الله
يَتَقَدَّمُ
في جنسٍ
حيوانيٍّ

يَتَخَلَّفُ /

وما هذا العام الذي يتأسس على قتل ذلك الخاص؟
تُعساً لهذا البخار البشري في هذا المَرَجَل :
تمرّد عقل يَعْقِلُ الجسد
في ثورة خادم تخدم السيّد .

إذن ، إلى ولادتكَ الثانية
أيها العربيّ المستأصلُ نفسه من نفسه ،
الضاربُ في أحشائي ، -
انظروا إليه -
يقتلُ عصره ، ويرتّب أبجدية البدايات ، -
أنظروا إليه ، لكن

استعينوا بالألوان الباطنة
آنذاك تدخلون في عهده : أن يُضَيَّفَ إلى الحروف
علامات يكشفها لكم ،
وعلامات يُسرّها إلى حين ،
ذلك أنّه والرّمن طفلان في سرير واحد .

هكذا ، يُخرج الشعر من صَحْنِه ، ويقولُ

سَيَظُرُ هَانِثاً ، أَيُّهَا السَّدِيمُ !
وهذه قصيدتي تلبس قفطانها
في شَطَطِ موزونٍ في رياضياتٍ يملئها القلب .

بلى ! يمكن أن تكون شاعراً هنا
بين العَسَسِ والسَّجَنِ
بين أيموزار وطنجة
بين أصيلة وأغادير ،

يمكن النّخيل أن يكون عَرَبَاتٍ
يمكن الضَّوء أن يكون حَوْذِيّاً
يمكن أن تَوَدَّنَ السُّوقَ ويهرع المسجد
يمكن أن يعقد الشَّاي الأَخضر مجالسَ الأمانات ،
وأقواسَ الجَدْبِ والتَّبْدِ ،
يمكن أن يكونَ الأطلس سَفَرِ المتوسط ، والمتوسط سفينة الأطلس
يمكن أن يكون «باب المحروق» «باب الفتوح» ، -
وهذه قصيدتي تلبس قُفْطَانِهَا
والإيقاع دَمٌ يتدفَّق في شريانِ الحاضر ...
- سيدي اللعبي ، سيدي الخطيبي ، سيدي بنيس ،
- واخا ، واخا /
والسَّلَامُ لبقية الأصدقاء جميعاً

من شرفات أصيلة وطنجة ، حتى عتباتِ مراكش وفاس ،
السلام للفضاء الذي يؤرخ لنا
السلام للشَّهْب التي تؤسّس الفضاء ، —

ألف لام ميم
ذلك الكتاب
لا ريب ، لا ريب .

(أوائل أيلول (سبتمبر) ، 1979)

ضوء الشمعة

طولَ سنوات الحرب الأهلية ، خصوصاً في أيام الحصار ، تعلّمت أن أقيمَ علاقاتٍ ودّيةٍ مع الظّلمة ، وأن أعاشر ضوءاً آخر ، لا يجيء من الكهرياء ، وليس ضوء المصباح الغازي أو مصباح الكاز .

أكره هذين المصباحين ،
ينفثان رائحةً تقتل حاسة الشم ؛ تسمّم طفولة الهواء وهواء الطفولة .
ويطاردان العيون بنوعٍ من الأشعة تنغرز في البصر كأنها الإبر .

فوق ذلك ، يذكّران بالنفط العربي الذي حوّل الحياة العربية إلى تيهٍ من الظلام .

ذلك الضوء الآخر هو ضوء الشمعة .

في نفسي الآن ما يدفعني إلى التساؤل : أكانت هذه المعاشرة التي أردتها اختياراً ، تعبّر عن احتفائي بالذاكرة أو عن رغبة في هذا الاحتفاء؟
أكانت نوعاً من استعادة الشعر الذي تركته لنا عقولهم؟ أم لعلها

كانت تعبيراً عن اللفظة إلى مزيد من الالتصاق بجسد الأبجدية ، كما كان يتخيله ، ويتعاركُ معه ، ويخلقه ، ذلك الفينيقيّ الأثم الذي ابتكرها . أقول : الأثم ، وأسأله ، عبرَ هذه المسافة التي تفصلنا وتوحدنا في أن : لماذا لم تتركنا نكتب بجسد الأشياء ذاتها ، بدلاً من هذه الحروف الضاربة في التجريد العقلي؟ ألم تكن ثقافة المادة التي هي في مستوى الطبيعة أقرب إلى الإنسان ، وأجدى ، وأكثر تعبيراً عنه ، من ثقافة الرمز والإشارة؟ وهل تقدر أيها الأثم الأول ، بعدما أحدثه أبناؤك وأحفادك في مدينتك الأولى ، بيروت ، أن تؤكد أن الكاتب الذي يخطّ الحروف والكلمات ويكتبها ، أكثر تعقلاً وفهماً من الناطق الذي يُغَنِّيها أو يُجرِّبها بين شفثيه أصواتاً؟ وما أنت ترى كيف أن الأول يجعل من العالم كله مستنقعا للضجيج يلوّث كل شيء ، وكيف أن الثاني يُحوّله إلى أوتار تخرج منها موسيقى ، تتمازج فيها الأصوات الصاعدة من حناجر الطبيعة .

أقول : اخترت أن أعاشِرَ ضوء الشمعة . لم أعنَ ، بادئ الأمر ، بلون الثوب الذي تلبسه الشمعة . كان إجمالاً ، أزرقَ سماوياً . في أية حال ، لم يكن لدي إمكان لاختيار ما أريد من ألوان ، فقد كان اختياري محكوماً بما يُعرض عليّ ، وكان ما يُعرض عليّ محكوماً بالوقت والحالة .

شمعة بثوب أزرق سماوي . . . كانت تعيدني ، مع ذلك ، إلى ما يذكّر
 بحياة الكهف ، الكهف الذي يعيدنا إلى الاختبار المعرفي الأول ،
 ذلك أنه يربطنا بالرّحم المعرفية الأولى : الخروج من ليل العالم إلى
 نهاره ، من الظل الذي تحدّث عنه أفلاطون إلى النور الساطع ، من
 الوهم إلى الحق .

لكن ، هل خرجنا حقاً؟ كنت أتساءل فيما أراقبُ الظل الذي تركه الشمعة
 على أرض المكان أو على جداره ، والظل الذي يتركه رأسي . وكان
 يُخيّل إليّ ، ربما بشيء من الالتباس ، أن هذا الظل الذي نصفني
 عليه صفة الوهم ، ليس أقل حقيقة مني أو من الشمعة . وكنت
 أقول ، فيما أرى الموت يأخذ بعضنا بلمحة ، لانزال نُدير ظهورنا
 للشمس . وقد يكون أفلاطون أوّل من أخطأ ، وأسس للخطأ ، في ما
 يفصل بين الظل والنور ، الوهم والحقيقة ، وفي ما يسوّغ أن نسمّي
 هذا الشيء وهمّاً ، وذلك الشيء حقيقة ، وفي ما يعطينا حق
 التوكيد : أين تبدأ حدود الوهم ، وأين تبدأ حدود الحقيقة ، وكيف ،
 ومتى؟

شمعة بثوب أزرق سماوي . . .
 كان بعضنا يحسب أن هذا الذي يظنه «النور» أو «الحق» وفقاً لما يرى

أفلاطون ، ليس إلا صعوداً في سلم الكهرباء ، وأن الأكثر صعوداً هو الأكثر جدارة بأن يتخذ من أية نجمة يراها ، كرسيّاً يجلس عليه أو حديقة يتنزّه فيها . لهذا كانوا ينظرون إلى الشمعة وضوئها بنوع من الاستخفاف يصل أحياناً إلى الازدراء .

كنتُ ، مع قلة ، مأخوذاً بالهبوط ، على العكس ، في الظل ، في هذا الليل الشفاف الذي يتعاقب فيه الوضوح والغموض ، ويتحركان في موجة واحدة . كنا نقول إن الوهم أو ما نسميه الوهم ليس إلا حقاً لم يستنفده البصر (أي البصيرة والباصرة) بعد ، وأن ما نسميه الحق ليس إلّا وهماً استنفدناه . وكنا نقول : الحالة الطبيعية للشيء هي الظل ، والنور حالته العابرة . إذ لو تحوّل العالم كله إلى نور ، أو إلى نور كهربائي ، لفقد هذا العالم أسرارَه ، وفقد جماله وجاذبيته . لهذا كنتُ من جهة الظل ، وكنتُ تبعاً لذلك ، إلى جهة الشمعة ، بينما كان بعضنا إلى جانب النور الكهربائي الساطع . وكان يزيد في حماسهم له ، أنهم كانوا يرون في الكهرباء حفيدة لطاقة فينيقية ظهرت مرة لكي تمارس فعلها ، لكنّها اختفت ، لأسباب عديدة ، لكي تظهر بشكل آخر غير فينيقي ، في مكان آخر .

تتمثل هذه الطاقة رمزياً (لعل الأصح أن نقول : تتمثل أسطورياً) في امرأة

لبنانية – يونانية أو سورية – إغريقية ، (إذا كنا حريصين على احترام تاريخية الأسطورة) اسمها اليكترا . واليكترا هي أخت لقدموس (الفينيقي) الذي حمل الأبجدية إلى الغرب (اليوناني ، بخاصة) ، وبنت لأطلس الذي يحمل على كتفيه السماء ، وابنة لأخت بروموثيوس الذي اختطف النار من الآلهة وأعطاهها لبني الإنسان . ومن قدموس انحدر طاليس ، أول من درّس في المعابد الفرعونية ، خصائص الضوء (لعل الأصح أن نقول : خصائص الكهرباء) ، الكامنة في العنبر الأصفر ، الذي تُصنّع منه ، للمناسبة ، أجمل المسابح وأثمنها .

نذكر هنا الذين يكرهون المسابح ، ويحبون الكهرباء بشيء ربما يجهلونه أو لا ينتبهون إليه هو أننا نقدرُ بالمسبحة وحدها ، أن نلامس الكهرباء : هذا الجسد العنبري الذي يحتكُ به جسدنا دون أن يُصعق – وذلك بفضل الظل ، هذا الليل الشفاف الذي يلبسُ الجسد العنبري ، ويلبسه هذا الجسد . وما أعمق المتعة التي تحظى بها ، أيها القارئ ، حين يُتاح لك أن تصغي إلى سمير الصايغ يتحدث عن هذا الجسد العنبري المتكهرب ، أو تلك الكهرباء المتجسدة في العنبر . ذلك أنه حين يتحدث عنها ، فيما يتفحصها ويمرّر عليها أطراف أصابعه ، أو يمرّرها بين أطراف شفّتيه ، تشعر كأنّ غيوماً أخذت تتجمّع ، وأن برقاً يكاد أن ينفجر ويغمر المكان .

وطاليس هو نفسه رمز أول للتفاعل بين الحساسية الفينيقية – الفرعونية ،
والحساسية الإغريقية وقد قرأت ، استطراداً ، من يقول في ما يشبه
العجزم أن طاليس هو أول من تنبأ ، سنة ٦١٠ قبل الميلاد ، بكسوف
الشمس .

كنت ، في ضوء الشمعة ، أستعيد هذا التاريخ الأسطوري ، وكنت أقارنه
بالتاريخ الحي الذي نعيشه لحظة لحظة ، ويكتبه بالنار والحديد ،
بالصواريخ والقنابل ، بالأشلاء البشرية ، أبناء عمومتنا ، أحفاد
موسى وسليمان – وهما من أنبيائنا المشتركين – وكانت لهذا
الثاني ، فيما يرويه تراثه النبوي ، دروب سرية للكلام مع الأشياء
الجامدة في الطبيعة ، ومع كائناتها الحية ، وكانت لأول تلك
الحظوة المفردة : الله نفسه كلمه ، ومن هنا سُمِّيَ كليم الله .

قلت : كنت أقارن بين ذلك التاريخ الأسطوري – الوثني ، وهذا التاريخ
الواقعي – الإلهي الذي نعيشه يومياً ، وألاحظ دون أن أخفي
دهشتي :

هوذا إنسان لم يكلم الله ولم يعرفه ، ولم يُتَح له أن يستضيء إلا بشمعة –
ربما لم يسعفها الحظ حتى في أن تلبس ثوباً أزرق سماوياً ، لكنه ،
مع ذلك ، يعرف أن يخلق تاريخاً يرقى بالإنسان والعالم ويفتح
أمامهما أفاقاً لتقدّم بلا نهاية .

وها هو إنسان آخر كَلَّمه الله وأثره على الخلق جميعاً ، والكهرباء خاضعة له
 كأنها ناقةٌ تجشو أمامه ، لكنه مع ذلك يبدو كأنه يخلق تاريخه بدءاً
 من قتل الإنسان والهبوط في هاوية بلا نهاية من جحيم الأشلاء
 والدماء .

كنت ، فيما أقارن وأستنتج ، أحتضن ظلّ الشمعة النحيل ، وأوشوشه بعض
 أسراري . ثم ألتفت نحو المتوسط مصغياً إليه يهدر غير بعيد عن
 أجسادنا شبه الجامدة من الحيرة والرعب ، أو من الموت الذي قد
 يصعقنا بين هنيهة وهنيهة ، ألتفت وأشاركة – هو الذي ابتكر ضوء
 العالم – نسيجه المتموج في محيط الظلام .

إنه الحصار : طوفان – لكن أين السفينة ، وإلى أين نخرج ؟ ولا شيء ينتظرنا
 غير ذلك الشبح الآلي – «الفانتوم» الذي يعمل على تحويلنا إلى
 رماد ذهبي يصنع منه الجامحون من أبناء عمومتنا ، أحفاد موسى
 وسليمان ، تيجانهم وعروشهم الجديدة .

كنا كلما شطح بنا الخيال ، يمسك بنا ضوء الشمعة ، ويردنا ظلها إلى
 اللحظة الواقعية الحية . هكذا ، نفىء إلى نفوسنا ، ونرجع إلى ظلها
 المحاصر .

كان بعضنا ، في هذه العودة ، يفتح كتاباً ما ، لكي يستوهم حالة أخرى ، أكثر منه لكي يقرأ ، خصوصاً أن بعضنا كان يمضي بعيداً في نقد القراءة : كيف تمكن القراءة وأنت جالس في الكتاب ذاته الذي تقرأه ، أو تتحرك في كل سطر منه ؟ كيف يمكن أن تقرأ وأنت نفسك المكتوب — المقروء ؟

أما أنا فكنت أعاشر أشياء أخرى . أتوهم أن للشمعة أمامي طريقاً سلكته بالوراثة . بدأته جدة عريقة ، وتابعته بعدها حفيداتها وأبناء الحفيدات . وكنت أتوهم أنني أرى الزوايا التي أقامت فيها والأشخاص الذين عشقوها فيما كانت تحترق بين أيديهم . وكثيراً ما خيل إلي أنني أسمع أبا نواس يقارن بين ضوءها وضوء الخمرة التي يتناولها . (الخمرة هي أيضاً جسد كهربائي والفرق بينها وبين العنبر ، أن جسد الأولى سائل وجسد العنبر جامد) . وكثيراً ما خيل إلي أنني أشاهد أبا تمام يتقلب على فراشه في ضوء شمعة شاحبة ، وقد احمرت عيناه ، وعبثاً يحاول النوم لأن في أعضائه تاراً تأكله . وكثيراً ما شبّه لي أن ضوء الشمعة لا يغري صعليك الشعر الآخرين وأنهم يؤثرون عليه ، في هذه الصحراء من البشر ، ضوء النجوم . وأحياناً يتراءى لي المتصوّفون ، وأتصور أنني أكاد أن ألمس حين بعضهم إلى أن يذوب في الله كما تذوب الشمعة أمام عينيه .

لا يكشف ضوء الشمعة الغطاء عن الغائب وحده في الماضي أو الحاضر ؛
يكشف كذلك الغطاء عن الوجوه التي تسهر معك حول جسدها
الذي ترى إليه يذوب نقطة نقطة . أولعل ضوء الشمعة مناسبة تتيح
الكشف ، أكثر مما يكشف هو ذاته .

كانت الوجوه التي يسكن أصحابها في المبنى الذي نسكنه ، تتراكم
وتتجمع حول ضوء الشمعة في سديم من التجاعيد والقسمات
والملامح والأسارير والنظرات والتساؤلات :
وجهٌ بحيرةٌ راكدة ليس فيها أي تلويحة لأي شراع ،
وجهٌ يبدو في الظل كوجه خروف يقاد إلى الذبح ،
وجهٌ غارقٌ في أحزانه كأنه ثقبٌ في الظلام ،
وجهٌ صفحةٌ بيضاء مفتوحة على الصمت ،
وجهٌ غريباً تنزل منه الكلمات وتتناثر في جميع
الاتجاهات ،
وجهٌ دفتراً لا نقرأ فيه غير النسيان ، أو على الأصح إرادة
النسيان ،

وجهٌ امرأة هي في الواقع رجل ،
وجهٌ رجلٌ هو في الواقع امرأة .

كان ضوء الشمعة يكشف الغطاء عن الشمعة ذاتها . إنها سيدة الصمت ،

تحترق دون أن تتأوه أو تستغيث . وهي كذلك من جهة الليل على الرغم من أنها ، ظاهرياً ، من جهة النار . صحيح أنها تضيء ، لكن لا لكي تعمم النهار ، بل لكي تجعل الليل أكثر كثافة وأكثر حضوراً .

فالشمعة التي هي الضوء - سيّالاً ، إنما هي ليل داخل الليل ، أو هي الليل باكياً ، أو هي الليل ماسحاً عينيه بأطراف نجمة بعيدة ، أو هي الليل لابساً قميص النوم ، أو هي الليل وقد استيقظت شهوته ...

وللشمعة سرير ، لكن لا وسادة لها ، ولا تنام ... ربما لمزيد من الغوص في موج الليل . ربما لمزيد من الالتصاق بِغُورِ ذلك الليل الآخر : الموت . ربما لتعميق التأمل في ذلك العالم الخارجي الذي يلتهب - البيوت التي تتطاير في أثير السماوات ، الأجساد التي تحترقها الشظايا ، الأجواء المليئة بنشار اللحم والعظم ، حيث تتداخل الأجساد الغريبة التي لا يعرف بعضها بعضاً ، وتتعانق وتتألف ، الأصوات الصاعقة التي تنسج للأفق ثياباً من الرماد والجمر ... أو ربما لكي نفهم ذلك الغبار الكوني الذي يحمل القيم والأخلاق ، الفضائل والمثل ، ويذروها ، صانعاً منها ذلك الهباء

المبتذل ، الذي يسمى مجده الحروب وانتصاراتها ، أو ربما لكي
نزداد قناعة أن ما سمي الإنسان هو في الحق ، الحيوان الذي تيسر
له أن يمشي ، بخطأ طبيعي ، على قدمين اثنتين ...

مرة أخرى ، يأخذنا ضوء الشمعة بعيداً ، لنعد .
نعود إلى ضوء الداخل القريب - في تلك الغرفة السفلى من المبنى ، والتي
سميناها ملجأ . هنا يتجسد الليل ، حقاً . هو للمرأة ، رجل . وهو
للرجل ، امرأة .

هكذا يصبح الزمن كله جزءاً من الليل ، وفي معاشرته ، نرى إلى الشهوة
تقطر من أطرافه ، ونرى إلى ساقيه كيف تنفتحان وتنطبقان في
حركة لا يزيدها ضيق الملجأ إلا حيوية ورحابة . ونشعر أن القمر
وأخواته النجوم نهر غير مرئي يرفد ضوء الداخل ، فتشتعل منارات
من طبيعة عجيبة ، تكشف لنا عن علاقات من التالف تجمع بين
المتناقضات ، وتوحد بين أشخاص لا يلتقون أبداً في أي مكان
ولأي سبب .

كنا نصدّق ، في مثل هذه الحالة ، ما يروى عن بعض القدماء ، الذين كانوا في لغة أجدادنا ، أولياء - نصدق أن النور كان ينبع ، في الليل ، من أطرافهم ورؤوسهم لكي يضيء ما حوله ، ولكي يكون إشارةً ما لثانها .

وكان بعضنا يتخذ من هذه الحالة فرصة لكي يركز بالفصائل التي ينطوي عليها ضوء الداخل . كان يصفه بأنه لا ينطفئ ، وبأنه ضوء يشع لوجه الضوء ، ناذراً نفسه لتبديد الظلمة . ثم يقارنه - هو السجين في ظلمات الملاجئ ، بذلك الضوء الطليق الذي تنقله الصواريخ والقنابل ، فيؤكد أن هذا الأخير ، على الرغم من أن أصحابه لا يلهجون إلا بالحرية والتقدم ، ليس إلا اسماً آخر لظلام لا نجد في الطبيعة نفسها ما يشبهه : ظلام منذور لكي يطفىء النور ، أيّاً كان ، وأتّى وجد .

وكان يستطرد مؤكداً ، وقد استأنس بصمت بعضنا ، وقبول بعضنا الآخر لما يقوله - أن ذلك الفلاح الفرعوني الذي كان يكتب أوهامه وأحلامه على أوراق البردي ، في ضوء شمعة نحيلة ، أو أن ذلك البحار الفينيقي الذي كان يعيش صديقاً للموج وللشواطئ ، أكثر غنى وعمقاً ، في حساسيته الإنسانية وتطلعاته من هذا الإنسان الذي يفخر ، اليوم ، بأنه يمتطي الأشباح الآلية ويهدم ، في لحظات ، مدن البشر وقراهم وأكواخهم . . .

الشمعة النخيلة تكاد أن تتطفئ . حسناً تفعل . كأنها كرهت هي ذلك أيضاً
 ذلك الضوء الذي يخرج من القذائف والصواريخ التي تجثم في
 حنجرة بحرنا المتوسط ، وتقطع حبالها الصوتية التي امتزجت ، مرة ،
 بأبهى الأصوات التي غنت لمجد الإنسان .

وأنت ، هل ضجرت ، يا صديقي القارئ من هذا القديم الضارب في أعماق
 التاريخ؟ لكن ، ألا ترى كيف ينبجس الشعر مما يظن بعضنا أنه
 نقيض للشعر؟ ألا ترى كذلك أن هذا الذي نسميه واقعاً ليس إلا
 قشرة تتفتت ، منذ أن تلامسها ، وتفصح عما يختبئ وراءها : ذلك
 الواقع الدفين الآخر ، حيث الإنسان هو نفسه شعر الكون .

قلت الكون ، لا لكي أهرب من هذا الملجأ الضيق ، المعتم ، بل لكي
 أحسن الإحاطة بما ينطوي عليه من رحابة لا تحد ، وبما يزخر به
 من ضوء الداخل .

عطرٌ متهورٌ يهبط الدرجات المظلمة إلى الملجأ ، اتركوا الباب مفتوحاً ، ولا
 اختنقنا .

ليس ضوء الشمعة ، كما يبدو لي في هذا الملجأ ، ضوءاً ، بل هو نوع من العتمة الأكثر قدرة على الإضاءة من كل ضوء . ذلك أنها تضيء القلب ، وتجعل الجوارح كلها تتوهج بنور آخر هو نور الرغبة في أن تعرف ذاتك وأن تمتلكها – وحدها ، ولا شيء إلاها . هذه العتمة إضاءة سرية تقتلعك حتى من ظلك ، وتلقي بك في بُؤرة من التفجر النوراني ، وتشعر – أنت المترابط المتحد ، أنك المنفصل المنفرد . تشعر أنك ، دائماً ، في حالة انتظار ، تترقب حدثاً ما ، لا في الخارج ، هذه المرة ، بل في داخلك ، في أحشائك . تشعر أنك في حالة يمكن أن يُقال عنها إنها حالة الغيم : لا تعرف هل أنت داخل في المطر ، أم في الصحو . ولا يعود الظلام ظلاماً : يُصبح ترقباً على عتبة نور باطن يكاد أن يظهر . بل يُصبح الكلام على ضوء الظلمة ممكناً ، كما هي الحال في إمكان الكلام على ظلمة الضوء .

هكذا كانت الشمعة تردني إلى ليل المعنى – إلى الانصهار في الكل الغامض . ليل المعنى ، – أرى ، فيما وراء شرفاته ، بيتنا الأول – الطفولة الأولى ، وأستشِفُ القنديل الذي كنتُ ألجأ بين يديه ، مستسلماً لأهواء جسدي . وأستعيدُ بعضَ هواياتي : كنت ، حين تجيء ساعة النوم ، لا أضع بين التراب وجسدي إلا بساطاً من الصوف – أجمَلُ فراشٍ للجسد الذي يتكوّن من هباء الضوء وأثير الحلم . أحياناً ، كنت أكتفي بحصير من القصب اللين .

هكذا نَمَتْ كهرباءُ الحياةِ في أعضائي .
وكانت إليكتروا تتلَطَّف وتمضي معي جزءاً من وقتها .
وكان أصدقائي الشعراء يجلسون إلى جانبي ، أصغي إليهم يتحدثون عن
طاقات أخرى لا تتسع لها هذه الأنايبُّ الكهربائية المتمدنة .

ليل المعنى ، - كنت أحسّ بجسدي يتمدد في شرارٍ ، سأحاول أن أترجم
لك ، أيها الجسد الآخر الصديق ، ما تبقى منه في ذاكرتي ،
أ - كنت أناً وحيداً ،
خوفاً من أن تهجرني الوحدة ،
ب - لا يمكن الانتهاء من تجميل العالم
لأنه حينذاك ، ينتهي .
ج - لا شيء يريدني ،
ذلك أنني أريد كل شيء .
د - الموت قريبٌ
لأنه فكرة لا جسد ،
والحبُّ بعيدٌ
لأنه جسدٌ لا فكرة .
هـ - جبلٌ مسقوفٌ بالضباب :
رجلٌ يُغامر .
غابةٌ مسقوفةٌ بالضباب :

- امرأة تحلم .
و - الحلم شاطئ
لسفينة لا ترسو ،
مع ذلك أنتمي إلى الحلم .
ز - طهر ذاكرتك
من كل لحظة لم تعرف أن تستقبلك .
ح - لم ترد هذه الشجرة تحيتي ،
الأنبي حيتت الرّيح ، قبلها؟
ط - حزني يلبس الليل ،
وليس له ثوب في النهار .
ي - الطريق رمز السعادة
ذلك أنها عبور دائم .
ك - الماء عاشق أبدي
لسبب واحد :
لا يعرف الفشل .
ل - الموت إله وشيطان معاً ،
لذلك لا يحبه أحد .

هي ذي حالة جديدة تحكمك في ضوء الشمعة : صحيح ، كيائك واحد
كما هو ، لكن الجسد هو الذي يفكر ، وليست الروح إلا هذا التعضي
الحركي الذي نسميه الجسد . نكتشف هنا أن الفكر أو ما نسميه

الفكر لا حد له ، بجسديته ذاتها . ونكتشف أن ما سمينا الجنون قد لا يكون إلا نشوة الكيان : نشوة الجسد – الروح . عبثٌ إذن أن نقمع تجليات هذا الكيان – وأن نسجنها في تصنيف أخلاقي بارد . تصبح طاقة التأمل والعمل واحدة – حركة مفتوحة على الأشياء ، في عالم أشيائه مفتوحة على الحاسة ، مفتوحة على البصيرة . وتتفتت هباءً ، أفكارنا عن الواقع ، وعن الإنسان ، وعن التاريخ .

لا تستطيع ، وقد نورك ضوء الشمعة النحيلة ، أن تغالب شعورك أنك لست في ملجأ ، بل في مركب يُعاني ، تائهاً ، لجة الليل . وتختلط الأشياء عليك : تجيء من لا وطن : الغرب في خطواتك حذاء ، والشرق بيداء . وترى إلى الناس ، في ذلك الخارج السديمي ، وقد تحولوا إلى أشياء ، لا تُصنع بيد الله – وإنما تصنع بأيدي أخرى وبطينة أخرى : هذا مسدس ، وهذه رصاصة ؛ ذلك صاعق ، وتلك قنبلة ، والمكان طائرة – شبح .

ادخل ، إذن ، في الهاوية ، واقرأ في الصفحات التي اسمها الوجوه ، اقرأ مختلف العصور : من الحجر حتى الذرة ، مروراً بسفينة نوح وأخواتها السفن التي تمنخر رمل الصحراء .

اقرأ : الرجل كتلة رمادية ، بشكل محدّب أو مستطيل . المرأة هيكل أحمر ، مدوّر أو مائل . الرجل ، تقريباً ، رجل . المرأة ، تقريباً ، امرأة . ولا تعرف : هل يسكن كل منهما في الطين ، أم الطين هو الذي يسكن في كل منهما؟ ولا بدّ لك من أن تجد وسيلة ما لكي تسأل تلك السلالة التي تتحدّث عن أشياء من جنسٍ آخر ، بين أسمائها النّار والجنّة ، إبليس والله .

واقرأ : حتى أشعة الشمس تبدو خيوط عنكبوتٍ ينسج الشارع / الشارع الذي لا يزال ينسجُه الكاهنُ والمستعمر والتاجر – الرموز الثلاثة ثلاث مراحل تاريخية (أوروبية) تتلاقى على أرض لبنان ، هنا حول الملجأ ، وتصفق للقاءٍ آخر : الأشلاء التي تتطاير ذراتٍ في سديم بيروت .

/ ... وكنت أقرأ في ضوء الشمعة النحيلة ، كيف ينحني الفضاء والزمن وينحني كل شيء . ربّما لحكمةٍ ما ، كنت أقول ، لمحو الحدود بين المرئي وغير المرئي ، للمزج بين الأزمنة ، والسخرية من تلك العصا المستقيمة : عصا السماء .

... إنه الليل بأرجله الهائلة الصّففر يدبُّ على أرضٍ صفراء : هكذا بدأتُ أهذي . وكنت أشاهد الرُّعبَ كيف يخرجُ ضبابه ويسقف به رؤوسنا في الملجأ . وأرى الهاوية تحضن أيماننا / الهاوية التي كنت أسمع

من ثقبها صوتَ البحرِ القريب ، وأرى تجاعيد وجهه ، وأتبيّن البُقَع
التي تلوّن أطرافَ أفقٍ يتّكئ على وسادة الزبد .

كان في قلب كل منا نبضٌ يعرّش على اللحظات . وكنا ، كمثّل كائنات من
طبيعةٍ ثانية ، نمتصّ دمّ الليل ، لا لكي نقوى على التفكير ، بل
أَمْلاً في أن نقوى على مصافحة الفجر الطالع .

... أعودُ إذن ، إلى الاستثناس بضوء الشمعة النحيلة ... بقدموس
والليكترا ، بأسماء ولدت تحت لهبها ، من جلقامش إلى المتنبي ،
مروراً بامرئ القيس وأبي تمام ، دون أن ننسى أبا نواس . من
هوميروس إلى سان - جون بيرس ، مروراً بهيراقليطس وسوفوكليس ،
دانتّي ، ونيتشه ، دون أن ننسى رامبو : ضوء شمعةٍ فانية ، يتحوّل إلى
أبدية من النجوم .

... وكانت رائحة الشمعة في الملجأ تتسلّق الجدران المعتمّة ، ثم تهبط
وتتمدّد فوق الكتاب الذي اتخذته وسادة متنقلة .

إنه الصباح : الشمس تجددّ الوقت ، والحياةُ تجددّ الجسد .

(بيروت 1982-1985)

مفرد بصيغة الجمع

آءءكؤفن

أ - تخطيطات

1

لم تكن الأرض جسداً كانت جرحاً
كيف يمكن السفر بين الجسد والجرح
كيف تمكن الإقامة؟
أخذ الجرح يتحول إلى أبوين والسؤال يصير فضاءً
أخرج إلى الفضاء أيها الطفل

خرج عليّ
يُستصحبُ
شمسَ البهلول دفتر أخبار تاريخاً سرّياً للموت

يعطي وقتاً لما يجيء قبل الوقت
لما لا وقت له
يُجوهرُ العارض

ويغسل الماء .

ابدأ ،

اخرج إلى الفضاء أيها الطفل

في البدء كان الهباء انفتحت فيه الأشكال والصور

حواء تنزل في حوضٍ

تسبح

في

مَنِيّ

القمر .

قالت : الجسد الحروف والنم الكتابة

سلاماً أيتها النخلة يا أختي

سلاماً أيها العالم يا مألوهي

اخرج إلى الفضاء أيها الطفل

سَمَى شَقَقَ الكلام

لكن أسماء غامضة

هل الإشارة إليها عسيرة؟ هل العيان مكفوف عنها؟

بأي شيء ينعت الأرض؟

بأي شيء يذكرها ويحكيها؟ تَلَابَسَا تَدَاخَلَا

علوًا وسُفلاً

تعريضاً واستقامةً

وقال :

مشرقي عليك أطيب من اليأس

وتصدّع طرباً .

أما كيف ولمَ وما هو

فأسئلة

تطير

في

الرياح .

اخرجُ إلى الأرض أيها الطفل

خرج العاشق إلى عشيقته يجامعها للمرة الأولى

ظننتُ أنني أكتب وأقرأ

الرجل يفقد الرجولة / المرأة لم تصبح امرأة

المرأة سلالَةٌ مضت / الرجل نَسْلٌ يأتي

وأنت امنحيني اللغة ، باركيني ، أيتها الأم / أيتها الطبيعة

المومس

اخرج إلى الأرض أيها الطفل

خرج

هبط من الحرف

ا ح د = د ح ا الأرض

دائماً يصنع طريقاً لا تقود إلى مكان

ان ا

منفية بقوة الحضور

كالهواء

وهي هي

كل شيء يتغير وتبقى

ان ا = ان ا

هكذا يستقبلك أيتها الأرض امرأة

ويُفجّع بين فخذيك .

[... وكانت الأرض
تتحرك بلون أغبر أدكن ليظهر النور ويتمكن الحيوان من النظر
واقفة في الوسط
كتراب ألقى في قارورة
أو تبني في طشت مليء بالماء
هاربة
من
الفلك
إلى
ذاتها
وانتصب ابنتها في الهواء
مركزاً لأشعة المحيطات
ملاكاً في العلم والكشف
لا حياً كالعشب
لا مملوكاً كالزرع
حي كنفسه
مالك ملكه الأرض ، والسماء
أحياناً
شعره النبات

جسده الأقاليم
عروقه الأنهار
ويداه جناحان يمشي بهما في الفضاء
ظاهرةٌ برٌّ باطنه بحرٌ
أو
كما
قيل (...)

اخرج إلى الأرض أيها الطفل .

تهياي أيتها العناصر استجيبى أيتها المادّة
إنها المصادقةُ
خارجةٌ من الحدّ
عاليةً على حصر الدّهر

أعضاؤه تجنح إلى التّخيل
ووجهه مخلوطٌ بالوهم .
ثمّة قمرٌ يميل إلى الشمال
والظل يتلاشى
ينقل أخبار سَعْدِ الذّابح
وَسَاتِه التي ينحرفها على قَرْنِ الجذبي
ينقل أخبار الثلاثة الكواكب على آخر بطن الحَمَل
والكوكب الذي في المنكب الأيسر
وساكب الماء
والذي على سُرّة الفرس
وبطن الحوت فوق الميزان
من المرأة المُسَلَّة
التي
لم

تعرف

زوجاً

وينقل أخبار كوكب الغراب .

اخرج إلى الأرض أيها الطفل .

ضيقي ، أيتها البروج من ناحية القطبين اتسعي في الوسط
ولك أنتَ

أيها الفلكُ ، حدّان :

نهايةً لما تصير إليه الطبائع
وشكلٌ مستديرٌ يحيط بالأشكالِ كلّها
بِسُكْنَاهِ حيث تستوي ساعات نهاره وليله
ويُشرف على القطبين
يغمره غُورٌ كالقبة المنخرطة
يرتفع منه سحبٌ
تترادف عليه ثلوجٌ
ويخرج من أسافله ماءٌ ذَهَبٌ
وربّما خرج ما يشير الغبار
والنباتُ
والهشيم
ثم يستطيلُ
يتوهم أنه أمكنةٌ وأزمنة
وربّما خرج رملٌ أحمر
وأشباحُ
وتلهبُ نيرانُ

وأنواعُ
صنعةٍ

وسيمياء .

ب - فواصل

1

1 - «كثيراً حَبَسَ الخالقُ الشمسَ والقمرَ تأديباً

كان حين يتوبان

ويَسْتَأْذنان

بالشروق

يأتي إليهما مَلَكٌ يأخذُ بأذانهما ويطلعهما

من

باب

التوبة» .

2 - «كان الخالقُ حين يُخرجُ أنثى إلى الأرض

يبعثُ إليها ملاكين

يضع الأول يده

بين ثدييها

يضع الثاني يده

في مكانٍ آخر ،

حين يتعب المكان

يحملانها إلى ظل^{*}

تحت

شجرة

المحنة^{*} .

3- «أمر الخالق ما يسمونه الوطن أن يجلس

على

كرسي^{*}

من

الزجاج

بهيئة

السّرطان

وحوله تماثيل . . .»

رقعة من دفتر أخبار :

« ... هكذا

عرفت الأنثى نفسها عرف الذكر

يجتمعان بشهوة اللحم والعظم لإيداع الماء في بيته

يندفع الماء يكون له

سمعٌ يمتلئ بتعويجات الصوت

أظافرٌ تهدي إلى مواضع الحكِّ

رئةٌ مروحةٌ لحرارة القلب

عظامٌ أوتادٌ لجرِّ الحركة

رقبةٌ برِّجٌ من الخرز

ليطول ذكر الحكمة .»

رقعة من شمس البهلول :

« ... هكذا

يكلّمني كرسيّ ليس بيني وبينه ترجمان

عند الكرسيّ حوضٌ

عند الحوض ميزان

حول الميزان بقرةٌ غمامةٌ

والكتب تتطاير

هنا

[... ينبت الناس كما ينبتُ الحَبُّ في السَّيلِ إذا اشتَهَى الإنسان
طائراً

سقط بين يديه مَشْوِيّاً بعد أن يشبع تتجمّع عظام الطائر

وينهض ليرعى

هنا

أشجارٌ تخرج من أوراقها ثيابٌ لا تبلى

سحائبٌ لا يسألها الإنسان شيئاً إلا أمطرته

بعضهم يقول

أمطرنا

نساءً

فتمطر ويدخل الرجل في المرأة

دَخَمَا دَخَمًا

إذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة .

... فجأة

ظهر في الجهة الثانية هنالك

عنق من النار يتكلم

كان رجل وامرأة يتجهان نحوه رأيت النار تنقبض وتشهق وقيل : هذه

نار ضربت بالبحر مرتين لولا ذلك لم تكن فيها منفعة لأحد

وسمعت من يقول : خلص اللبن من الماء ثم غاب صوته

كأنه يسد ثقباً في جرم الكون رأيت شخصاً خارجاً من النار يجز

لحمه كما تجر المرأة ثوبها رأيت سحابة تنادي أهلها :

— ماذا تطلبون؟

— ماء ماء

لكن السحابة تمطرهم سلاسل وجمراً ، وقيل : لهؤلاء طعام

لا يدخل المعدة لا يعود إلى الفم يبقى بين الحلقوم والمعدة

ورأيت سجنًا يقال له موسى وقيل بولس وقيل مصطفى

فيه أشخاص سيكون تسيل عيونهم جداول رأيت

مراكب

تجري

[... فيها]

رقعة من تاريخ سرِّي للموت :

يستعير يبتكر حكاياتٍ يجرح كواحلها
ويتابع خيط الدم ينظر إلى الزمن يتحطم بين يديه
إلى المكان يتوشح بحطامه
يلتفت وراءه
أنصابٌ وتماثيل تحمل حروفاً
أورفيوس
أدونيس
يتحقق أنها نظائره وأسمائه
من
السَّيمياء
والشرق .

ج - استطرادات

1 - استطراد أول

الوقت بين أرومة الجسد وفوهة الفعل المكان بين صخرة تسكر
وموج يهتئ الساعة
وأنتِ ، أيتها النار المسرعة ، أبطئي أبطئي
أنا الطريق والعابر ، المرأى والرأئي
ولست أحظى بنفسي .
وأنتِ (أقصد وقتي الأول) بنفسج
تتدرج بين زرقه الموت وزرقه قصابين
تحلم دائماً تحلم
وتدور في دوامات العين الثالثة
غُلومية القمر توحشية اليمامة
تصنع من ورق التبغ سجادة حيث يتكوّم الليل ويسهر على المصطبة
تنام بين نهدين
وردة ذبلت ، ووردة تكاد أن تذبل . . .

2 - استطراد ثانٍ

أَعْطِ لِلأَرْضِ أَنْ تَرْقُدَ فِي رَاحَتِكَ وَأَيِّقِظْ قِصَابِينَ
يَنْهَضُ مِنْهَا ضَوْءٌ يَوْقِظُ قَدَمِيهِ وَيَدَاعِبُ جَبِينَهُ الَّذِي سَمَّاهُ عَلِيًّا

أنهضُ

أَتَسْرُولُ شَتَلَاتِ التَّبَعِ أُرْسِمُ قَمَرِي عَلَى أَوْرَاقِي وَأَصْغِي
لِأَصْوَاتٍ لَيْسَتْ مِنِّي لَكِنِّهَا لِي هَكَذَا أَرَى إِلَى الْهَوَاءِ يَخْرُجُ مِنْ
الشَّجَرِ حَامِلًا قَوَارِبَ تَتَأَرْجَحُ وَتَهْوِي
وَحِينَ تَتْعَبُ رِيْشَةُ اللَّيْلِ
وَيَشْرَبُ الْفَجْرُ حَلِيْبَهُ
تَدْخُلُ الشَّمْسُ
وَالْبَيْتُ
فِي
فِرَاشٍ وَاحِدٍ

افهمني ، أيها البيت المليء بأجنحة السنونو واقبلِ قِسْمَةَ الرِّيحِ .
رجلٌ وامرأة يقتسمان الحزن حزنٌ يفصل بين الهدب
والهدب لكن في الأغصان التي لا تتسع حتى للظل يفتح الدروب
رجلٌ

عرف ، بعد أن مات ، أنه صديقه الأول .

الجمعة ينتهي باكراً من العمل يسير بين أشجار الزيتون خفيفاً
يتكئ على ظلالها لم ينحن إلا ليحتضن ما لا يَنحني لذلك لم يغفر له
السلطان لذلك لم تقتنع به القرية إلا بعد أن مات

بعد أن مات ،

عرفتُ أشجاراً لا تزال تصغي إلى زفيره
عرفتُ أمكنةً تسقف الزمن بشارات خضراء سمّاها
ها هو

يضع صلواته بين راحتيه ويمشي كأنه هَيْدَبُ الأفق .
العشب رفيق خطواته ولا يحيط به غير القشّ وحين يواكب الشمس وهي
تطفئ موقدها ، يبدو شراعاً خرج من اللجّة ولا مرفأً له السماء شطّانه
وأمواجه من الأفق يخرج إلى الأفق وليس له أن يطبق جناحيه .

قالوا : « كان يحمل عصاً تضيء له الطريق وحين يعود إلى البيت ينزل
من قوس قُزح كأنه ينزل على درج » .
قالوا : مرةً وصف قدميه : « لم أمش بهما إلى باب سلطان » .

و حين أخذه الموت بكت عريشةً أمام بيته ووضعت قصّابين خدّها على
الأرض .

قالوا : «تتجمع حول قبره ، في آناء الليل ، أصوات تهتف وتنوح . كثيراً
ما يسمعهنَّ عابراً يظنَّ أنها أصوات نساءٍ يُفتتنُ ويميل ويشتهي إذا اقترب
سمع أشجاراً وحجارة . . .»

كان لي معه أن أكتبَ الرِّيحَ ، أقرأ شيخوخة الحجر كان لي أن أرفع
الحلم سقفاً وأتزوج الحياة لوناً لوناً
كان لي أن أتشمل الزمن وأرسمه
بأهدابٍ
تتلى
منها
أياميَ
أجراًساً
أجراًساً

أضحك مع نهارٍ لم يأت
وأعقد أحلافاً مع تاريخٍ آخر .

3 - استطراد ثالث

لأبي عباس المختار وجه زيتونة للدركي قلب
عوسجة وبكى عباس مرة حين كاد النهر أن يغلب علياً ويأخذه السيل
إلى نهاياته . لم يكن لوجه أمه أن يوقف المطر لم يكن لصوتها أن يروّض
الرّعد .

عالياً ، هاجر الحزن
تائهاً ، هزّولَ الفجر ونشر مصابيح
وما هو التعب
يجلس على العتبة يتقوّس . عكاژ
بين قدميه ، سدّ بين عينيه . يتحدث
ترسو تجاعيده في بشر كلماته . صوته
الوتر يوقع المكان شروذة الجمر يُنضج
المسافة وتنزف يدها إشارات
وتنزف الإشارات الملح وما يشبه نشوة الموج .

وننظر إلى القمر يتدحرج مقطوع الأطراف
والنساء
يجلسن باسمه
شموعاً تترنّج

وتخبر
وليس بين الثياب والبشرة إلا
شفرة
الجنس .

4 - استطراد رابع

... مرةً وُلِد له تاريخٌ في خيمةٍ بشكلِ الذاكرةِ
عاشراً طيفاً تزوجه ولم يعرف أنه الصحراء
وليس للبحر سلطانٌ عليه
وليس للشمس حوله إلا الدَّمع
أخرج إلى التاريخ
أيها الطفل

يخرج
للشمس نكهة امرأةٍ تهجر بيتها للسماء هيثة الجوع

اكتأب تأوّه اكفهراً بكى
وفُوجئ بالغيث
يكتتب يتأوّه يكفهراً يبكي
وحين أحسّ بالتراب الذي أُوْحِلَ يمتدّ أمامه بساطاً من زغبٍ لم
يألفه خلع حذاءه ليكون أكثر التصاقاً بطينته الأولى
رَمَمَ أسماله وألف بينها وبين صرصرٍ
تنشطر من الجبل الأقرع
يتنشّق فيها رائحة اللاذقية وأنطاكية ويدخل
معها في لآلء المسافات

مرثياً
غير مرثي
يصعد من فوهة الغسق
ويحاكم الشمس .

ها هو الظلام
يَزهلُ وتنفتقُ خواصره
ولم يطلب مَشورةً لم يسأل نجماً
ترافقه الأجنحة / لم يُخلق الفضاء
ترافقه الشواطئ / ليس في البحار ما يروي
وها هو رتاج العالم
يُصلصلُ
أمامه
وينأى ...

5 - استطراد خامس

تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة قصابين
 تتعلم كيف نسجن السماء في كتاب كيف نهجر العلم
 ونهرب يدفعنا بياض الورق تحرسنا بقع الحبر
 رأينا مخابِرَ تحمل رؤوس الجبال ألياماً تتدثر بالنخيل وتمشي
 بأرجل البَقْل وبين الخطميّ والخردل يعلو لغطٌ حول هرب امرأةٍ أو جنازة
 عاشق

فجأةً

يجيء المطر في شهقاتٍ تضرب النوافذ تتحوّل البيوت إلى
 تلالٍ يكون للغيوم أسنانٌ للقمر أظافر وتتناثر من دفاتر النبات
 حروف تَرْقُم نبض الرِّيح .

لكن

ماذا تتذكر الحروفُ

ماذا تحفظ الرِّيحُ؟

تخرج فراشةً تدخل فراشةً
 والمسرح بهيئة الطفولة
 مَنْ الطفلُ يرشق السماء بالحصى؟ مَنْ الطفلُ يصطاد الأفق بشبكة
 الدمع؟

وأنت أيها الشيخ

الفتاح صدره علواً يسعُ الجبال
عَلَمْنَا

ماذا تقول للفضاء حين تهجره العصافير
للتراب حين يأتزر بالشوك؟

تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة قصابين . إنها ساعة
اللقاء بين الزرع والحصاد بين شطيرة المحلم وصحن الأيام .
شمعة شمعة تشتعل الجبال جَرَساً جَرَساً
تستيقظ السهول إنها ساعة الدخول في قَرَو التعب حيث يسير
الهواء على قوائم أربع
ويكون للزمن وجه الصلصال .

تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة السّفَر
ليكنْ للقدمين شكل الأفلاك للذراعين شكل الفصول . السماء
تفكّ خلاخيلها تجلس وتشم رائحة قدميها
وأمواج الدّم تتلاطم وتندفع
تفجّر أيها السدّ المسمّى ناربخاً تفجّر أيضاً وأيضاً
تكاد النسور أن تترك عادة الأوج تكاد الغيوم أن تترك عادة المطر

هكذا خرجنا

قلنا أيها المربع المستطيل المثلث الفلكُ يقرن وجهه بوجوهنا
وها نحن نتهجى دوائر الأثير . وبينما ترقد المرات
ويرقد الخنشارُ وجارُ النهرِ الخشنخاشُ وموجه وترقد الجداول
يتصاعد عطر خطواتنا هبوباً هبوباً وها هي قصابين تأخذ طلعة المدِّ
وتمتلك جذع الموج

اخرج إلى الأرض أيها الطفل
تقدّمي أيتها الأفخاذ النحيلة
وأنتِ أيتها السواعد المتغضّنة
أيتها التجاعيدُ
أنتِ
من
يكون
الأرض .

II - تاريخ

1

لم تكن الأرض جسداً كانت جرحاً كيف يمكن السفر بين
الجسد والجرح كيف تمكن الإقامة؟
أخذ الجرح يتحول إلى وطن والسؤال يصير تأريخاً
اخرج أيها الطفل .

خرج عليّ
يرسم حقل خطواته سنابل شجراً ينابيع
تلاحقه روح غابةٍ

هنا
أرضٌ نعرفها نجهلها ميتة حبلى
هل تعرف قصباً يتمرّد على المواقف؟
هل تعرف مشاعل ترقص في بحيرة الدمع؟
هل رأيت رؤوساً تتوّجها رؤوس؟
قناديل من قلوب كستنائية؟
وحلاً لطهارة السماء؟

هل رأيت الدم الذي انهزم من جرح العاشق
وجمد في الورد وشقائق النعمان؟
هل رأيت آثارهم ساروا نحو السماء

نزلوا وادياً أتاهم السيل حملهم
جميعاً وألقاهم في البحر .
خرج عليّ

... تناسلي يا سلالتي في خطايّ أنا الطالع من لوعة
الرّفص تُهَجِّج عيناى خارج عينيّ وأسكر بأشلائي
أنا الطفل يستنجد الفراشات
أنا الموزّع بين زُحل والزهرة وعطارد
زحلُ يهيء التمني عطارد يهيء الشعر
وتهيء الزهرة رطوبة الشبق
متى يجود مكان عطارد من الفلك ليجود شعري؟
متى يقوى حال زحل لأقوى على ما أريد؟
متى تنتعش الزهرة لتميل إليّ القلوب
وكيف أتكلم كلام النمل وأصيب
أصبح بين الجنون والسحر
أحارب جميع الحروب
أعشق جميع العشق

تَسْتَبْسِلُ الجوارح ربّما بكت ربّما شهقت ربّما
تحيرت ربّما وكهت ربّما زالت عن مدارها
تجلس الكأبة على كرسيّ يسع الهواء والتراب
ويجري دم الولادة في حوضٍ تحرسه الشجرة العانس

هكذا

أتحول إلى بحيرةٍ تنبجس من البحيرة نازٌ تضيء لها أعناق الشجر
ولا وعدَ لي
وعدي الهبوطُ
الهبوطُ
والمرارات .

قلتُ : أبداً فصل العناكب تمسح أرجلها بمخمل الشمس
 وشوش قدمي أيها البذار الوحشي
 تَمْتَم تآبينك في أذني أيها الرعد
 الصاعق يُقبل في قدمي طفلٍ
 وفي تخاريم الريح يرتسم الهول
 ... ظلًا يضرب في براري أحشائي وليس لي سلاحٌ إلا نبضُ
 يتغرغر بمائه يهدمني هيكلاً قال إنه صدائي يصعقني وجهٌ قال إنه
 وجهي الآخر .

وقلت : الحنينُ يُحتضر والشهوة سريرٌ من الدخان
 وأقول : تَرَجُلُ أيها الليلُ عن صهواتك اغتصبَ شمس
 كلماتي
 أنا الصوت يرتجلُ الفضاء
 أنا الحجر يتطوَّح وقراره الحجر
 وأقول : رِشني أيها التولهُ أنسني ، جَدِّدني ، سِمنني
 وأنتِ ، أيتها المجاهيل تطاوحي في الطُفي عن الوهم
 استغيثي من الشكل والضدّ بالشكل والضدّ
 هكذا أدوِّقُك
 أتقد بوسواسي وأغوص في دهشة الغواية

تَهْوَدَجُ أَيامي رمزاً رمزاً
أَصْرُحُ
تَاهَ وَهْمِي
أَتَسَّعَ مَعْنَايَ
وَعَالَتْنِي الْأَقَاصِي .

رقعة من شمس البهلول :

... تحت بشرته شياطين لا تُحصى كل شيطان يستكر
طريقاً طرق الخارج تقصر عنه ودون قدميه والداخل لا يتسع له وليس
في رأسه غير الأضواء .

يُنَجِّرح

يتخذ من جراحه آلاتٍ لحفر الأعماق ويسأل
كيف يخرج وليس له خارج جسده إلا جسده؟

وليس للبحر سلطاناً عليه
وليس للشمس حوله إلا الدَّمع .

رقعة من دفتر أخبار:

... يعجىء من نقطة أبعد من بحرهِ وصحرائه جاورَ الفلك
وعرشه الماءَ وعرشه وكان عرشهُ على الرِّقْص .
جسده وارثُ البراكين دمه وارث الفتك
... ممزوجاً بالعصور
يتأرجح
بين
الشفرة
والجرح
ويلبسُ أبهةَ الأزمنة
يسأله جناحُ تكتبه حصاةٌ
وعند حائطِ الحلم تقتتل أيامه .

رقعة من تاريخ سري للموت :

... هكذا خرجَ يَتَمَعْدُنُ

ويَفْتَحُ جسده على العناصر

يكتشف للحجر نوافذَ كُتِبَ وأصواتاً يستشعر أن للسماء
مصباحاً أن المصباح كوكبٌ لا يقرأ غير الرمل يستشِفُ أظافرَ تأخذ
مكان النجوم ولائِمٌ يجلس حولها التراب .

ينحدر من جنس المذبوحين

ويؤسّس

الرُّحيل

الأقصى .

رقعة من دفتر أخبار :

... لم تكن أمّه تعرف اللغة وهي التي علّمتها الكلام
حين جرى الكلام بين شفّتيه التهاب مكان الحنين وخرجت الشهوة من
أصابعه

أخذ عليّ
يتدلّى تحت صورة جدّي يجلس على صدر العذراء
جاور نجمة بين الثور والحمل عائق نجمة تسبح في ماء الدلو
وكانت امرأة
مُسلسلة
لا تعرف رجلاً تتدفّق بمتنّ الفرس الأعظم والشمس في أول القوس .

... برّدى ١٩٥١ يسبقه التعب إلى المقهى

في حنجرتّه حصيّ يتجمّع
باقٍ ذاهبٍ شيءٍ ما يشنّه يخرطه في سلك اللّهب

القصّاع الصالحية

المطر يبحر بين كتفيه يتجه نحو قاسيون ما أسعد غواياته يصل

بين ضِفتي بردى ومقهى الهافانا ويقول لقاسيون : اعقدِ الخيط .
... هكذا سكن في جرح بين العراق والشام بين ريح تُنَمِّمُ
الترابَ ومطرٍ يغسل الريح تحمله أسطورة يتجعد ويمحو تجاعيدَها
رأسه
نخيل
وضحضاح من الحلم يسبح في أهدابه .

سكنت معه أنهاراً تسائل الناس ماذا يفعل النخل بين بيسان والبصرة
ماذا تفعل البحيرة؟
وكان ، كلما حنّ ، يلبس الخشبة ويفتح الأفق أمامه نور
يمشي جبل فوقه يسير كالمظلة حَجَرٌ ويشبه الدمع .
رغيفٌ ولا بيت له

جرسٌ
ينوسٌ
في
عُنق ...
الأرض .

ترافقه نجمة
تدخل في جسد الغبار ويدخل في جسد الريح ... قَرْنَا

يكاد
أن
ينكسر
في
خاصرة
الريّج .

رقعة من تاريخ سري للموت :

كانت الأرض دماً يمتزج بغبار الطلع يتجنسُن بين فخذيهما
التاريخ والزمن يتذكر ويتأث. كان التاريخ جدولاً تشعّشت أيامه
ولم تكن الكتب أوراقاً كانت آباراً تمتلئ بأصوات تتسابق نحو طرقِ
تتخاصم حولها السماوات ولم يتعلّم شيئاً

هل الحياة أن نجهل وننسى؟

يعصاه فكره تنقلب عليه حتى أحزانه
الحياة في الجهة
الأخرى من الضفاف التي يتجرجر عليها
والأفق ينكسر أمامه كدورق الخمر
كيف يخلق فراغات أخرى ليتقدم
كيف يعطي مكاناً لما يهمُّ أن يولد بين عينيه؟

وصرخ

أيتها المدن العربية التي تتدحرج في غسق

اللغة

أندحرج

معك

لا لأتذكر

لأرى كيف تتمزق على الجسد القديم ثيابه الأخيرة .

... وثمة شقوق تتسع في جدران لاتزال تنتسب لبيت جسده يتسلل
منها الدم ويندفع أرغناً أرغناً .

وتوجس واستبطن

إنه الولد يضع يده عليّ

إنها الريح تمنحني حقوق الغبار .

— من أنت؟

أمحو وجهي أكتشف وجهي

— ...

جسدٌ تقمّص الشظايا يتّجه إلى أن يتقمص الموج

ينشطر فيه العالم يلتئم

يعطي وقتاً لما يجيء قبل الوقت لما لا وقت له

يجوهر العارض ويغسل الماء

اقتربي أيتها الرياح

اجتمعي إليّ

أخلق بك

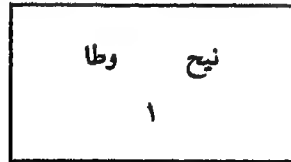
أخلق منك

ها هي الصورة التي سأخلق على مثالها

وهذه قبضتي .

العمل يصعد
من الأرض إلى اليد من اليد إلى التاريخ
من التاريخ إلى هباء البدايات
هل رأيت الزمن
يمسك بإحدى يديه صاعقةً يمسك بالثانية مترسةً وتلهو
الطواحين

طواحين الأسنان
الغلمان
القيان
الريج والروح
القصب والعصب
الحنين والحنين
دوري أيتها الطواحين دوري في كرسيك المهرج المحيط بالكون



أقول ذلك لأن غباري يكاد أن يسُبرَ الشمس ورأسي يكاد أن يتدلى
في

حبلى
يتدلى

أقول ذلك لأن فراشة رفرفت على يديّ قبل أن تحترق
ابتسم ابتسم
قبل أن تجيء الساعات لكي تُكوّكب الفراغ
قبل أن يخيط الظلام أهداب الوقت
ازدهر ازدهر
قبل أن يتعب العشب في الجهة المنسية من التراب
قبل أن يدخل الليل في عروقك
وينسى
طريق
الخروج .

هكذا بعد الصيحة التي أخذت الممالك حيث بادت بالريح
العقيم وتبلبلت من الدهش الألسنة حرّشتُ بين الزمن وخطواتي
وينيت على أسّ الدهر —

كنتُ

أ - الهيكل الأول

[... فيه صورة لزحل

أسودّ

شائباً

يحمل فأساً

وصورة تنظر في العلوم الخفيّة وكان

طفلٌ وأبٌ وأمّ

يرقصون

ويحترقون

قرباناً .

وكان مكتوباً :

جلس السلطان قال

أعدُّ بميلاد كوكبٍ آخر
سار السلطان سأل هل يتوقَّف الموج؟
أذنتُ للورد أن يذبل
ووثقتُ بدورة الفصول ...

وكنْتُ

ب - الهيكل الثاني
فيه امرأة عذراء (جامعها سدة الهيكل
واحدًا واحدًا حملت
ووضعت صبيًا) .
رأيت الصبي بين ذراعيها
ينخسونه بالإبر حتى يموت
قرباناً .

وكان مكتوباً :

يجلس على أريكة قرب المذبح
من أعمدة قصره من الأشجار المحيطة تتلَّى
هياكل
بشرية
رؤوسها
إلى

الأرض

يأمر

اجمعوا حطب الجبال والنواحي كدّسوه قباباً ومناثر
ومناير على جوانب الأودية والتلال اجمعوا النفط ومن يلعبون
به اعملوا من الشموع ما لا يُحصى صيدوا الغربان كلّها وما ترون من
الطيور اجعلوا في أرجلها النفط أرسلوها لتطير في الهواء ليصير
الفضاء كله ناراً

ولن يجسر أحد أن يكلمه
سيقال : اعتراه الجنون و/ أو
يوجعه قلبه . . .

وكان له وحده
البحرُ وخزائن الريح وها هي الفيلة تسجد له وحده
برؤوسها وخرائيمها

انظروا إليها

ما أعظم أجسامها ما أعمق معرفتها ما أحسن طاعتها
وقبولها الرياضات
وفهمها المرادات
وتمييزها

بين من يجب أن يُعصى ومن يجب أن يُطاع
(ليت الفيل لم يكن هندياً وكان . . .)

وكان مكتوباً :

— من أنتِ أيتها الدابة؟

— أنا الجساسة أخرج

في

آخر

الزمان

وكان مكتوباً :

الزمن فتورّ وتسويف .

وكنت

ج - الهيكل الثالث

... ناسٌ عليهم التيجان والحليّ بأيديهم مجامر العود والندّ سمعت

صلاتهم أيها النير الأعظم حارق النور المحترقُ به قدّمنا إليك هذه

المرأة الشبيهة بك تقبلُ قرباننا

وكان مكتوباً :

في السنة (...) للميلاد أو للهجرة يُغسل الجسد بالدمع وتُغسلُ

الأزمة لكن ، بأي شيء يُغسل الدمع؟

وكان مكتوباً :

سترون قوس قزح

يتساقط شعره ويهرم

(انسوا كيف يبتدئ ومن أين يأتي)

وكان مكتوباً :

سترون الجسدَ يهجمُ كوحيد القرن

الأفقَ يجيء كالمصادفة

الطريقَ تنزفُ كالجرح

سترون الرّعبَ يُغيّرُ هيئةَ العشب

يحسبه السلطان ثائراً يجلدّه يقطع أطرافه يبعثر أشلاءه

ثم يؤذّن له الفضاء ويكبّر الغيم

سترون :

أيّامُ الشّرورِ لمَحْ وأيامُ الحزنِ لا تَنْتَهِي

وكان مكتوباً :

في السنة (. . .) للميلاد أو للهجرة

يُفتي الفقهاء يُصلب الشلمغاني ويُحرق

يكون من مذهبه :

أ - الله يحلّ في كلّ شيء

ب - خلق الضدّ ليدلّ على المضدود

حلّ في ادم وفي إبليس

ج - الضدّ أقرب إلى الشيء من شبيهه

د - الله في كلّ أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه

هـ - الله اسمٌ لمعنى

و - من احتاج الناس إليه فهو إله لهذا المعنى يستوجب كلَّ أحدٍ أن يُسمى إلهاً

ز - ملائكةٌ مَنْ مَلَكَ نفسه وعرف الحق

ويقول الشلمغاني —

اتركوا الصلاة والصيام وبقية العبادات

لا تتناكحوا بعقد

أبيحوا الفروج

للإنسان أن يجمع من يشاء

ويقول الشلمغاني —

اقرأوا كتابي - الحاسة السادسة في إبطال الشرائع

الجنة أن تعرفوني

النار أن تجهلوني ...]

بعد الأطفال الذين قُتلوا أمس
غنى التاريخ
رَقْد هانتاً وراء رصاصة وراء رأسٍ مصلوب وزرع يقطيناً
غداً
يتحول إلى سمكة يقتلها رمحٌ قبل الفجر
يأكلها طفل جائع

لا أتخيّلُ
أيتها المياه السوداء العميقة لا أتخيّل لا أكتب
أنا العالم - مكتوباً
وأهدابي تهيمن على الأرض

هكذا
أُخرج قصائدي من طين خطواتي
أرجم الزمن بأحوالي
وأصرخ: أنا المعنى
حياتي لبوس أحلامي
وأشعر أنني الموت
إلا لمحةً إلا خطوةً

لا المجرى يأخذني
لا القرار يستبقيني
أنا التموّج
جدلّ بين الماء ونفسه

أسراري ليأسي وحده
ويأسي بلا قرار
كأنه الرجاء كأنه التحول
وها هي نجمةٌ تدخل في صدري
أنا سماءٌ وأتكلم لغة الأرض
النجوم الأخرى التي بقيت في حنجرتي
لاتزال تائهةٌ تبحث عن نشيدٍ آخر
عرشُهُ على الماء

والموج حروفه ونبوءاته
ألف باء : «إن وجدوا كتاباً لا يقول قولهم أحرقوه إن وجدوا رجلاً
وامرأةً سألوهُ : من هي؟ وربما ضربوه وحملوه إلى صاحب
الشرطة ، وشهدوا عليه بالفاحشة . . . » .
ألف سين : «تباع الدور والعقارات بالخبز ، ويدفن الجماعة في قبر
واحد» .

ألف ضاد : «تخرج النساء عشرين وعشرا ،

يمسك بعضهن ببعض

يصحن : الجوع ، الجوع

تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتة ...»

ألف ياء : نضجنا ، أيها العصر أنت الزمن الطبيعي لسقوطنا

نضجتَ أيها العصر نحن الزمن الطبيعي لسقوطك

وكان مكتوباً : «أصبح وأنا لا أمل أن أمسي

أمسي وأنا لا أمل أن أصبح

هكذا

ينزجر نصفي ، ونصفي الآخر لا ينزجر وأتقدم كأنني

أنا آخر

كسرطان مذعور ...»

استهلك حشودك ، أيها التاريخ
 وحّد الجسد والقشّ
 العين والحصاة
 واكتب :

لاتزال جنيناً أيها الوطن
 لاتزال نقطة أيها الشاعر .

استهلك حشودك أيها التاريخ ،
 أسمىك جديساً وأقول سارت إليك الينابيع
 أسمىك يمامةً أناديها : أيها الإثم ، وأقول للناس اكتحلوا .
 وأشير إليك : اصلبوا
 أعرفك

[... أنتَ مُعافى وأنا مُبتلى
 العافية لا تدعك أن تسهر
 والبلاءُ لا يدعني أن أنام
 وحين تفرّغتُ لك
 ملأتَ يديّ عملاً ولم تملأ صدري غنى

أنا الإناءُ مملوءاً بك
 لن أموت لكنني سأنكسر
 أرتقب زلزلةً وخسفاً
 ريحاً حمراء
 ناراً تخرج من حشدٍ أحمر
 يمر بالخربة ، يقول لها : أخرجي كنوزك

تخرج تتبعه كيعاسيب النحل
 ثم يمرّ أوائلهم على البحيرة يشربون ما فيها
 ويمرّ أوآخريهم يقولون : كان ، مرّةً ، ماءً في هذه البحيرة
 ثم يحرقون أسلحتهم
 ينزل مطرٌ يقولون بعده للأرض : أنبتي ثمارك
 يومئذٍ ، تأكل الجماعة كلّها من شجرةٍ واحدة
 من رغيّف واحد . . .]
 وتكون الزهرة أعطتني الشَّبَقَ
 ويكون المشتري أعطاني العلم
 وعطارد الصنعة ودقَّتْها
 وتكون الشمس أعطتني جسدي

وأنت أفهمني ، أيها الضائع ، أيها الشجرة المنكوسة ،
 يا شبيهي .

خارجت الكواكب ترعى
بسط البحر يديه
مدّت الغابة أعناقها
لا الأعشاب ذبلت
لا السمكة استجابت
لا العصفور خاف
وللنهار قميصٌ يمزقه الليل .

إنها ساعة الأرق الذي يحكم الأرض
العذاب رائحة العصر
ودم الحيوان يتجمّد ببطيئاً ببطيئاً

اتركوا للشجر أن يتبادل العصافير
اتركوا للنوافذ أن تحتفل بفجر آخر ،

ننظر إلى العصر يتحطّم بين أيدينا
إلى المكان يتوشّع بحطامه

تنهض من الحطام أزمنة ثانية
حيث تتموج الجموع
تمزج السعال بالجنة
والخبز بهالة الملائكة

ونعرف أنها جموعنا
توحد بين اليد والوقت
وتقود الطوفان
فجرها الكلام يتبلل بالضوء
وجهها الحدّ يقطع السواد
إنها الشروع لا الذاكرة
من خطواتها تصنع القوس
من طريقها تسلّ السهم

تشكّل تُسمّى
وها هو المدى يأخذ أشكاله
والأشياء تتسمّى .

وفي هديل يتصاعد من حنجرة الشرق

تطوف وتنفض بُخار التعب

حيث الخاصرة بركانٌ

والبركان رحمٌ يقذفُ الرغبة

حيث يتربى الزّمن

نطفةٌ

نطفةٌ

نعرف أنّها جموعنا نقول :

سلامٌ لكِ ، أيتها السّواعد أنتِ من يكوّن الأرض .

نمحو تاريخنا نكتشف تاريخنا

نجرّ شبّاك السّاعات ملأى بكلمات

كأنهنّ رؤوس أسلافنا وثمة فضاء يكرز بسحابٍ ضدّ الريح

بثلجٍ ضدّ المطر

إنّه الوقتُ

لننسلخَ من غيومنا

نمحو تاريخنا نكتشف تاريخنا

بيننا

وبينه

النار

حطبٌ أحزاننا رطبٌ واللّهَبُ يميل إلى السّواد

اقتربي يا أجناسَ الحمض
 الصَّموغ والكباريت
 الأدهان والزَّرائخ
 وأنتِ ، أيتها الأحطاب ،
 وأنتِ ، يا حُرَّاقات الأشياء ،
 اقتربي واهبطي في أتون أشلائنا
 وليتصاعداً لهيبك
 أشهبَ أسودَ أصفرَ أخضرَ أحمر
 قوسَ قُزَح
 من ألوان التنفس والاختناق
 وليكن حُزُننا الغصا
 حيث يدافع الرَّماد عن الجمر
 وليكن حزننا وَتَرّاً
 وليكن قوساً تترنم
 وليكن حزننا دخاناً بلون الذئب
 وليكن بلون دخان العَرَفَج الذي مسّه الماء
 نحن الزمن أُوْرْس
 نحن الوُرْس جَفٌّ ، وتفتّت خرائطه

نمحو تاريخنا نكتشف تاريخنا

نفتح ذاكرة الدم
ثمة رؤوسٌ كالقمصان تُخلَع وتُلْبَس
والدَّمُ صوَرٌ وشاشات
أَيْنَ
أَنْتَ
يا آدم؟
وكيف أعطيتَ الحياةَ
وأَنْتَ تقصد الموت؟
للمكان
وجهُ
حِرْبَاءِ
والفضاءُ
تلفيق

دمشق القاهرة بغداد مكة

الطريق ترفض الطريق
وأقدامنا لا تتبعنا —
نعرف هذه المقابر الأليفة
هذه المشائق التي تتدلَّى بعدد الأيام
نعرف هذا الرصاص الذي يَرُضِعُ الأمَّ ليقْتَلَ الابن

لكن ،

كُنَّا نَتَمَنَّى بالشوارع نعتقل الأيام

لم تكن أرواد أرجواناً أو قمحاً

كانت رداءً

ينسجه الصدف يُخرمه الموج

كانت الزبد - يتحول غالباً إلى رعد

والرعد - يبشر غالباً بالفطر

لكن ،

لكننا نتغذى بالمطر

ونستدعي مجهولاً ما

نقول لأجسادنا تطايري

لست إلا خياماً

ونحن الحنين إلى العصف

نتقحم ونقول لأقدامنا تدحرجي

الغبار ينحسر

البحر يتقدم

قلنا ثمة ما يوحد بين قدم تغرب و قدم تشرق

وقلنا ، ها هي الشمس تحضن بيوضها

ها هو التاريخ ينفجر حوضاً حوضاً

وحين كان الصخر حولنا يصمت في تيه كبريائه
كنا نسمع الزمن يجأر وينتحب
وقلنا ،

أيتها المناجل - تحصد المسافات ، يا أقدامنا المتعبة
تشبهي بالتراب والحجر وانتعلي أنين القصب
أنتِ من يُكوّن الأرض .

نمحو تاريخنا — تكتشف تاريخنا

نهض القرمطيُّ افترشَ الصحراءَ جسداً والجسدَ حلبةً
قال : ليست الأرض هي الثَّائِهَة ، بل ضبا بةٌ سَمَوها السماء
قال : ليس الزمن الوحل ، بل شيء سموه السلطان
وجلس في ضوء نجمةٍ يقرأ العاهاتِ والقروح
يُطلق الإشارات
[... الفطرة ، الهجرة ، البلغة ، الخمس ، الألفة
«كلكم أسوءُ واحدة ، لا فضل لأحدٍ على صاحبه في ملكٍ أو شيء»
«الأرض بأسرها ستكون لكم ، لا حاجة بكم إلى المال»] .

وقال القرمطيُّ
أنا النور لا شكل لي
وقال
أنا الأشكال كلها

تلاطمي يا تجاعيدَ بيروت
عُصَيَّ بخطوات الجنزوع تنفُّس
يا قاسيون هواء تباريحهم
يترجرجون يهجمون

يَتَرَّبُونَ يَعْشُوشُونَ
يَتَدَحْرَجُونَ هَاوِيَةً
يَنْقَلِبُونَ زَلْزَلَةً
يَنْفُثُونَ الْهَلْعَ
يَسْتَفْتَحُونَ بِالْخَبْرِ

وقال القرمطي :
الجسد صورة الغيب .
وحمل الأرض في كتفي ناقةٍ وأعلن
أنا الداعية والحجّة .

اسْتَغْفِرْنَا أَيُّهَا السَّيِّدُ اسْتَدْرِجْنَا
قُلْ لَنَا مِنْ كَذَبٍ وَمَخْرَقٍ
مَنْ الْبَلِيَّةُ
مَنْ خَدَعَ الْجَسَدَ بِنَوَامِيْسِهِ؟
اسْتَغْفِرْنَا اسْتَدْرِجْنَا
نَتَوَافَقُ نَتَنَاصِرُ
نَنْصِبُ الدَّعْوَةَ
وَنَدْخُلُ فِي تَمِيمَةِ الْإِبَاحَةِ .

رقعة من شمس البهلؤل :

[« ... يبيع الأموال والفروج

يجمع النساء ويخلطهن بالرجال

حتى يتراكبوا هذا من صحة

الود والإلف أطفئوا المصابيح

تناهوا النساء أطفئ المصابيح

تناهبن الرجال ... »] .

رقعة من دفتر أخبار :

[« ... وأخذ يشفي القرى ويغني أهلها يكسو عاريهم وينفق على الجميع ما

يكفيهم حتى لم يبق بينهم فقير ولا محتاج . أخذ كل رجل منهم

بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضل في رتبته .

جمعت إليه المرأة كسبها من مغزلها وأدّى إليه الصبي أجرة نظارته

وحراسته للطير ونحوه . لم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه

وسلاحه ... »] .

رقعة ثانية :

[«القرمطي وأصحابه في زهو التشنيع

تُقطع أيديهم وأرجلهم وتُطرح في قوارير النفط
عظامهم خشبٌ يحرق رؤوسهم تُنصب
على الجسور . . .] .

استغفرونا أيها السيد استدرجنا
لماذا كانت أبواب الجنة ثمانية
وأبواب النار سبعة كأبواب السماوات؟
استغفرونا

ندخل في «أهل السواد»

«سفهاء الأحداث»

«أتباع الفتن»

ونجهز

نحن التخاييلُ علمُ الآفاق

تُخبِرنا الطير عن الأبعاد

وتُطوي لنا الأرض

وأنتِ ، أيتها الصحراء ،

احضنيننا

كوني لنا بحرنا الآخر

موجاً يملأ شقوق الوجوه والأيدي

وخبزاً أبعد من الخبز

إلى الأرض نتجه

سواعدنا قمح

خطواتنا حصاد
وعلى ظهورنا آثارُ سياطٍ تتموجُ بنارٍ وأرجوان
وها هي نساؤنا
سراويلٌ تنضجُ بالشرق
وعباءاتٌ تتبرجُ بحبر الليل
ندخل في بخور الأثداء
نضطجع في ظلال أهدابهنّ:
اكتبنا حروفاً أخرى
ولتكنْ هذه الحروف أسرارَ الكتابة
ارتفعنْ حولنا أسواراً وثقوسنْ مداخلَ وعَتَبَات
امزجنْ الغزالة بالأسد العرينَ بالنهد
ولنُدشنْ طفولة المستقبل .
لا نبوءة
بل رصدٌ لمساقط الرؤوس
حيث يحتضن الفرات رؤوسنا
وتكون دماؤنا زهره العائم
لا سحرٌ
بل ملحٌ يؤاكل التعبَ ويخيز الأزمنة
حيث تكون أنداؤنا مراضع للنخيل
وأحضاننا أسرة القتلى
ومن بطوننا النخاوية

ينهض شعب العافية والخبز

لا شكوى

بل أجساد ترفعُ راية الوقت .

لا ماء قريشٍ

بل خمرة العبيد

اعصرن يا نساء السّواد شقاء كنّ ولينهمز عنباً وحنطة وتمراً

املأن القرى بمزق التيجان والعروش

انكسرن مرايا وادخلن في النثار وليكن ذلك احتفاءً بزواجٍ آخر

تَقْبِنَ الآفاق بأظافركنّ ولتكنّ صدوركنّ حلبات

ولتكن حناجركنّ مزاميرَ للمعسكرات ودناناً للعطشى وفي الليل

حين يطرح التعب مهاميزه ،

قلن لأجسادكنّ أن تنتسجَ على أجسادنا دراريعَ ديباجٍ وغلائلَ حرير

ليزدهرَ أيضاً وأيضاً خشخاش الشهوة

لتتوهجَ أيضاً وأيضاً قوس الموت .

نعقد حلفاً مع الصُّعاليك

ننشئ سلطة الرغبات

والآن ، أوّل الموج

أنا الصّارية ولا شيء يعلوني .

رقعة من شمس البهلول :

يبتكر جنوناً يملك الشيء ونقيضه

ويهجس أنه خليفة الريح

يؤرخ له القتل

تحتفل بموته يمامة لا يسميها

مثلك أيها العصر ،

يرصد الهلع

التشنج

زفير الكتب

يمسح الصدا عن الكلام

ويقجر ماء آخر

مثلك أيها العصر ،

تتداخل أنقاضكما لن تلمح نهاياته

لن يلمح نهاياتك

مثلك أيها العصر

يمزج الحيوان بالقمر

الطلع بالقش

يتقطع وينبتر

مسترسلاً في نفسه

مثلك أيها العصر

يَتَسَبَّبُ كَمَا الْعَالِي
كثِيرٌ ، لَا يَتَوَحَّدُ
مَلْتَهَبٌ لَا يَخْمَدُ
مَنْبَسَطٌ وَلَا انْقِبَاضٌ لَهُ
وَمِثْلُهُ يَسْأَلُ : كَيْفَ أَلْمَمْتُ شَعْنِي ؟
الْغَرْبُ يَتَلَقَّمُ وَلِلْمَشْرِقِ حِكْمَةُ الْبَدَايَةِ
هَكَذَا يَخْتَبِرُ
أَه ، أَيُّهَا الْكَوْنُ الرَّخْوُ
هَكَذَا يَعْتَبِرُ

لَكِنْ ،
بِالْقَشُورِ الَّتِي تَتَسَاقَطُ مِنْ جَذْوَعِ أَيَّامِهِ
بِالْعَدَمِ الَّذِي يَتَرَجَّرُ فِي أَحْشَائِهِ
سِيْضِيْثُكَ وَبِحَضْنِكَ
أَيُّهَا الْعَصْرُ الَّذِي يَتَكَلَّسُ فِي حَنْجَرَتِهِ
خَرْقَةٌ
خَرْقَةٌ

مِثْلِكَ ، أَيُّهَا الْعَصْرُ ،
لَمْ يَمُتْ
وَلَيْسَ حَيًّا

أُخرجُ ، أيها الطفل

تخرج أشجارٌ - أقواس قزح من كل قوسٍ
يخرج عاشقان من العشق تخرج غابات
تخرج أنهار المستقبل . من الغابات

III

1

لم تكن الأرض جرحاً
كانت جسداً كيف يمكن السفر بين الجرح
والجسد
كيف تمكن الإقامة؟

أيها الأطباء العطَّارون السحرة المنعَّمون
يا قراء الغيب
ها أنا أمتهنُّ أسراركم
أتحول إلى نعمة = أزدردُ جمر الفجيرة
وأهضم صَوَّان القتل

أمتهن أسراركم = أشهد غيبَ أحوالي

أَلْهَتْ كَمَنْ يَسْتَوِطِن فِي غَرْبَتِهِ
أَتَهَيِّمُ = «ظَاهِرِي مُنْتَشِرٌ لَا أَمْلِكُ مِنْهُ شَيْئاً»
وَبَاطِنِي مُسْتَعِرٌ لَا أَجِدُ لَهُ فَيْئاً»
وَفِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ،
أَتَنْشَفُّ أَتَنْدَى
أَتَبَاعِدُ أَتَقَارِبُ
أَتَرَاوِجُ أَهْجَمُ
وَأَتَخْشَعُ وَأَخْتَلِّ وَثُمَّ مَا يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنِي

كَيْفَ أُطْلَعُ جَسَدِي عَلَيَّ؟

رقعة من شمس البهلول :

تهجم شفتان بين فخذيه تكررّان

تاريخاً يتكرر

من الآن يلمح الأبد

من الآن يتحسّس البدء

أ ب د = ب د أ

استغوه ، أيها النبض الذي يحكم الغيب

كن إيقاعه

امنح لرأسه أن يهوي بين ذراعيك

هو المجرب المنقح

هو الماء السلسل

هو الهيكل الذي يتجدول منياً ونوراً .

كان لإقامته بين الشجر والزَّرْعِ شحوبُ القصبِ وسَكْرَةُ الأجنحة
تأصَّرَ مع الموج
أَغْرَى بِهْدَاةِ الحجر
أَقْنَعَ اللَّغَةَ أَنْ تُؤَسِّسَ حَبْرَ الخشخاش

وكان سُلَّمٌ يقال له الوقت يتكى على اسمِهِ ويصعد
نبوءةً
نبوءةً
من الأجنحة يخرج الأثير
من المصادفة يخرج الحثم
لكن
أيتها الشمس الشمس ماذا تريد مني؟

وجهٌ يجتمع بُحيرةً يَفْتَرِقُ بجِعاً
صدرٌ يرتعش قَبْرَةً يهدأ لَوْتَساً
حوضٌ يفتتحُ وردةً ينغلق لؤلؤةً
تلك هي أدغال الهجرة وراياتُ القفر

وللنهار يدا لعة
وللفلك نبرة المهرج
لكن
أيتها الشمس الشمس ماذا تريد مني؟

يلبس الموت حالة البنفسج
يسكن النرجس أنية الثلج يحلم أن الحب وجه
وأنة مرآته -
الحجر برعم ، الغيمة فراشة
وعلى العتبة جسد - شرارة لقراءة الليل
ليس الموت عزلة الجسد
الموت عزلة ما ليس جسداً
لكن ،
أيتها الشمس الشمس ماذا تريد مني؟

تكثرني الحواجز
تجعلني الحجب أكثر سطوعاً
أنتشق نباتات الغور وليس بين قدمي غير الأقفاس .

لو القفص يلتهب ، والوقت دغل

لو الدَّغْلُ امرأةٌ
لو السَّماءُ تفكُّ أزرارَها
لأبرأ من ليتٍ ولَوُ
لأقولَ انطلقِي أيتها السماءُ بحثاً
عن أمومةٍ ثانية
حَرَرِيْ أهْدابك من الدمعِ
استسلمي لماءٍ آخرِ
لستِ الحُلُمَ ولا العينَ
لستِ حكمةً لي
يغذِّي أيامي
أن لا أيامي سُقناً تنقلُ الشواطئ

لكن ،
كيف تهذا مَراسٍ تحرسُ الموجَ؟
وأنتِ
أيتها الشمسُ الشمسُ ماذا تريدِين مني؟

أبحث عما لا يلاقيني
باسمه أنغرسُ وردةَ رياحٍ

شمالاً جنوباً شرقاً غرباً
وأضيفُ العلوَّ والعمق
لكن ، كيف أتجه؟
لعييني لونُ كسرة الخبز
وجسدي يهبط نحو داءٍ له عذوبةُ الرُّغب
لا الحبَّ يطاولني
ولا تَصِل إليَّ الكراهية
لكن ،
كيف أتُجه؟ وماذا تريد مني
أيتها الشمس الشمس؟

يمحو وجهه - يكتشف وجهه
يتقدم الخطف تلبسك فتنة بفجرها الأول
يتقدم الوقت أين المكان الذي تُزمن فيه الحياة؟
تتقدم العتمة آية رجّة أن أوزعك في كريات دمي
وأقول أنتِ المناخ والدورة والكرة
آية زلزلة؟
يتقدم الضوء يُليل في أنحائي
أنقطع أتصل
والوقت يأخذ هيئة البشارة
يخرج من الوقت

وسقط
غزوك
عليّ
.

وشهقت إليك أحوالي
لماذا حين دخلت أخذت الحقول تشتعل وكانت يداي أول النار ،
ولماذا ، كل ليلة ،
كنت أحمل زغب نهديك لليلة مقبلة؟

أَدْخُلِي
وَعَلَى رَكْبَتِكَ
تَرَابٌ وَفِي الطَّرِيقِ إِلَيْكَ - إِلَيَّ
الْجِبَالُ
وَسَرُّوْهُ الْمُنْحَدِرَاتِ
وَشَرَّبِيْنُ الْأَوْدِيَةِ أَقُولُ نَلْتَقِي - نَفْتَرُقُ
وَأَسْتَجْمَعُ أَنْحَاثِي :
أَيُّهَا الْحَنْظَلُ الْمَتَنَائِرُ مَلْحاً عَلَى مَوَائِدِ الْإِبَاحَةِ
أَنْتِ الْعَذُوبَةُ وَأَمْنَحُكَ طَعْمِي الْأَوَّلَ .

ادْخُلِي
نَلْتَقِي - نَفْتَرُقُ لَا الْفِرَاقُ جَنَاحٌ وَلَيْسَ الْلِقَاءُ ظِلًّا
أَخْتَبِي فِي تَقَاطِيعِي
تَخْتَبِيْنِ بَيْنَ نَهْدِيكَ -
أَمَزَجْنَا أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُ
جَسِداً يَتَجَامَعُ
جَسِداً يَرْتَاضُ
وَارْسَمْنَا .
اكَتْمَلِ دَفْتَرُ السَّلَامِ
انْفَتَحَتْ حَقَائِبُ الْهَجْرَةِ

جسدكِ التّيه أخرج
وأسفارُ خروجي أنتِ
أخذكِ أرضاً لا أعرفها
تلالاً وأوديةً تغطّيها نباتاتُ البحر
امتداداتِ غامضةً
وأخذكِ واقفاً
قاعداً
راقداً
ولا أقنع بغيركِ
أخذكِ
في تنهداتي
في اليقظة والنوم
في الحالات الوسيطة
وفي ما يُعدّه لي الوقت
أخذكِ
ثنيةً ثنيةً
وأفتتح مسالكِي
أتمدّد فيكِ لا أصل
أندوّر لا أصل
أتسلّك أتسج لا أصل
أصلٌ من أقاصيكِ لا أصل

ما بعد المسافاتِ أنتِ ما بعد المفاظاتِ
أنتِ أين وهل وماذا وكيف ومتى وأنتِ
لا أنتِ

انبسطي على جسدي وانغربي

خليّة في خليّة

عرقاً في عرق

ولتخرج منك آلاف الشفاه

آلاف الأسنان

ولتكن غير معروفة لتكون على قدرِ حبنا

هذا ذلك بينما

عضو يُختبِلُ

عضو يُختلب

وفي ثنيات أوراكنا نطف ماءٍ تفترشك تفترشني

وتنطفئ دناً دناً

وأكون علقتُ صورتك بجميع الصور

ويكون جاءني الكشف وقلت :

هذا لقائنا الأخير

من أنتِ؟

أخذك

حيواناً ملائكياً
يضع السّم في شفةٍ
والبلسم في شفةٍ
وكلّ ليلةٍ ، أقول
هذا لقائنا الأول
أيها الأحَد

ق

م

ر

ش ع ش ا ع
وليس لي معك غيرُ الهواتف
وغير البوارق
وما يطوف
ويهتزّ جسدي بالكنهِ اللازم له
والملكاتِ الواجبة في أشيائه
وأصْرُخُ : أنتَ الهباءُ
وأنتَ القادر
من أنتَ ؟

جسدٌ يكبّرُ في الخزّام والخالدة

ينحدر يعلو يَسْتَشْرِف
يجمع الضَّفافَ ويقرأ هَذَيانَ القصب
جَسَسْتُكَ بِعَيْنِي
رقصاً يتقدّم في خطوات الفصول
تنهّدتُ في ناردينِ
وأخذتُ أشكالَ تروح وتجيء في لُججِ
الخاصرة يصطدم الغريق بالغريق
أخرج من الخيزران
أدخل المدقة
أتغلغل في أخبية القاعدة
حيث يكمن البيضُ وينتهي قَلَمُ السّمة
أتجمّع كما يتجمّع اللّقاح
أخلعك أتزّيّا بكِ
أنسلخ منكِ أتحد بكِ
وأخلق بيني وبينكِ
خداعاً بعلو الشمس
رياءً يكسر الزّمن غصناً غصناً
من أنت؟

تحت البَشرة الهويّة

في سراييني خبطةُ المسّ
أتدحرج بين أنا الجمر وأنا الثلج
وبين
الياء
والألف
أتدلى
أخلق في اليوم يوماً آخر
وأريط بحبل الدقائق أمواني
تقول المرأة اكسريني
تقول الخطوات قيّديني
وبين آلة الموت وحيوان الألفاظ
أنغرس أنجذر
وألعب نرد الطبيعة .

رقعة من شمس البهلول :

قلت مرة :

اجعليني على خزائن جسدك واستودعيني ،

جسدك نيلوفر جسدي بحيرة ، -

وقلت :

أيتها المترامية ضفافاً ضفافاً على مدى هيامنا

أيتها السفينة اجنحي

ربما تنقشر الطحالب

ربما تتوهج قرارة السرّ

ثمّة أغوار يغمرها الصدا - اجنحي

حيث الجنوح كنيسة الجسد

والجسد كاهن الجنون .

وقلت :

يداً بيد قلباً على القلب

يسير الجسد والمهبط لا العصف يهدأ

لا الجلد يحتمي

ويجنّ الجسد جنوناً ينتحل العقل

ويجنّ المهبط جنون المحيطات

وقلتَ :

كيف يسبح الحصى في اليدين

وينبع الماء بين الأصابع؟

وقلتَ :

أطلبُ إلى زمني مهلةً لأكون آيةً تنطق بما سيكون الحبُّ

وقلتَ :

الحبُّ هو كذلك يجرح الحياة يقتلع وينفي

الجسد هو أيضاً يتحول إلى سائلٍ ويأخذ شكل الإناء

وقلتَ :

الجسد لا الحبَّ جِلْدُ الزمن مَسَامُ الأرض

الجسدُ لا الحبَّ قوسُ الأفق عضلةُ الريح .

تريد أن تعرف؟

إذن ، اجهلُ ما أنت

واجهلُ غيرك

وقلتَ :

خلطتُ وعوّجتُ

سَلَكْتُ صوتيَ امتلخْتُ كلماتي ،

وأغمدتُ اللغة

وصرختُ:

أيها الإنسان

الذي خلقتُ مريضاً

متى تشفى؟

ادخلي بَطِرتُ أَعْضائي
إليكِ نَاهِبْتُكِ
تَنَمَّيْتُ فِيكِ
وَأُزْسِيتُ أَحْوَالي

ادخلي نلتقي = نفترق نمحو وجهينا = نكتشف وجهينا
نمزج الخبز والجرح لنبقي الأرض تحت كلماتنا
نحتفظ بشجاعة الرُّفص لنكتب تاريخاً آخر
نرى امرأة - بحيرة - نهراً - قامة عاشقٍ
يتطيّف جسدانا
ونعلو في الفضاءات .

عارياً ،
يترك الفلك بيته ويهبط أدراجنا
للأشياء هديرٌ نغتسل فيه
للأوقات وحوشٌ نأنس بها
نترىف نتحضر

ننتشر ننتظم
نأثلف نختلف
ليس للأشياء أسماء
للأشياء أفخاذ كالأيائل
وجوه كالعشاق
وها هو المدى
قرو أبيض
وللوسائد عطر الأدغال
وها هو الجسد - الأب الجسد - الأم
يتجه
تجه
تحيينا أجراس الرغبات
تحيينا أسرة بعلو الطفولة وصدق الشمس
ونبتكر موتاً يطيل الحياة
ونبتكر خداعاً
بينك وبينني
رياء
يكسر الزمن غصناً غصناً
نلتقي = نفترق = نمحو وجهينا = نكتشف وجهينا
في السرير طيفان
واحد يتراءى واحد يتوارى

والجسدان أربعة -
شطر للغائب
شطر للحاضر

حشد من الإبر يلطم أحشاءنا
والجسد الذي نقرع لا يؤاوينا
ثمة شقوق تكشف ما تغطى
ثمة أسارير تقرأ علينا الأسرار الأولى
كيف للجسد الواحد أن يُثمر الياسمين والعوسج؟
كيف لقلب واحد أن يلبس جسدين؟

نألف = نختلف
نبكر خداعاً بعلو الطفولة
رياءً بصدق الشمس
نبكر موتاً يطيل الحياة
ونقول
الحب ثلاثة - رجلٌ ورجلٌ وامرأة
رجلٌ وامرأة وامرأة

دائماً
كان
بيننا
مسافة قلنا
يمحوها اللهب الذي نسميه الحب
والتصقّ النهار بالنهار بالليل بالليل وبقيت بيننا مسافة
أطفأنا ما لا ينطفئ
أشعلنا ما لا يشتعل
وبقيت بيننا مسافة
وفي ساعات التحام الشهيق بالشهيق والنطفة بالنطفة
بقيت بيننا مسافة
أيها الحب ، أيها النسل المنطفئ
تقدّم واجلس على ركبتي - ركبتيها
خذْ إبرَ الدمع وانسجِ الماء
تحيّينا أجراس الرغبات
نبتكر موتاً يطيل الحياة
نبتكر خداعاً يعلو الطفولة
رياءً بصدق الشمس
من نحن؟
يجمعنا جسراً لا نقدر أن نعبره
يوحدنا جداراً يفصلنا أدخل فيك أخرج مني

أخرج منك أدخل في
ما أبنيه يهدمني
تشبهت لي أنك الفضاء
وأضغثت الرؤيا

أمسكتُ بوردةً هبطتُ واديك انتظرت
بيننا نهرٌ والجسر بيننا نهر آخر
سمعتك تسألين : أيُّنا الكبْدُ
أيُّنا النواح؟
اختلطتِ بالجزعِ وأعشاشه
صرختِ اتحدنا كرةً من النار
أنطفئي الآن أنطفئي الآن
لنعرفَ نعمة الجمر
نمحو وجهينا نكتشف وجهينا
هواجس
أصدافاً
مرايا

نفذ عِبرَها إلى شخوصنا الثانية
نفتح صدرينا للأكثر علواً

ينفتح لنا الأكثر انخفاضاً
ويدخل كلانا في برج الوخدة
في عزلة عصفورٍ يُحتضر
ويتذوق كلانا طعم الآخر
وتسكر أعضاؤه بالحياة لحظة يسكر الآخر بالموت
وكلانا يُسرّ نعم لحظة يجهر لا
ويُسرّ لا لحظة يجهر نعم
كيف تغسلين جسدك ويزول ماؤك الثاني؟
كيف أغسل جسدي ويعود لي مائي الأول؟
أنا سؤالك
ولست أنتِ جوابي
عرفتكِ بحنيني
بشّرتكِ به وربطتكِ بنفسي

ع ي
ل
أد ن ي س

و
لكي يتحرك جسدك حركة الحكيم
وأتحرك به
بما فوقه
بما تحته

وبالذي بين يديه
لكي أحيط بك إحاطةً تخلصني من كل قاطعٍ يقطعني عنك
أقرأ كتابَ كنهك
أطوّر في أصولك
أذوق موجوداتها
وأشخصها في أوهامي
لكي تكوني النقطة
وأكون الخطّ والشكل
لكي تكوني منّ وما يتلوها
عنّ وما عندها
حيث لا تسعني الكلمات
حيث لا يسعني غير التخيل والرمز
لم أقصدك

لستُ بحركٍ
لستُ البجع الذي تنتظرينه
وليس لي غير أطرافٍ
أطرافٍ تتيه
تتوه في حُمى لم أكتشف حدودها بعد .
محوتك - اكتشفتك
بسطت على الورق أجنحتي واستدعيتك

قلتُ : الموت شيخ
 من أين له بعد أن يلحق بنا؟
 قلتُ : جسدي شمالٌ والزمن جنوب
 كيف لهما أن يلتقيا؟
 ولكِ أمامي الذي لا يهرم
 ولكِ أبديةُ الجهات الباقية من أعضائي
 ولكِ منحتُ عيني الأرق وبأسي النوم
 ولكِ ساويتُ بين الصحراء والبحر
 العين والشوك
 ولكِ استثنيتُ المعنى من حشود الكلمات وسميته الصورة
 ووفاءً لأسماك التي أنزلتها سلطاناً
 قلتُ للأبجدية : تشهيتِ ووحمتكِ
 ولكِ غيرتُ وأقنعتُ سنواتي أن تكون جمرة التغير
 ولكِ استوهبتُ اللهبَ أخطائي وأقنعتُ الجسد
 أن يكون مجدّ الصفات
 ألتهمكِ خليةً خليةً لا ترويني
 أحتويكِ نبضةً نبضةً لا راحةً لي فيكِ
 لا الغيرة تفصلني عنك لا الكراهية
 يفصلني شعور لا اسم له
 وأنتِ الآن الزمنُ والموت :
 من أين لي أن أسترجعكِ؟

تُحتَضِرِينَ أُنَدِفِعْ نَحْوَكِ
أَجْسُ بِقَايَاكِ
وَأَلْمَسْ كَيْفَ تَرَحَّلِينَ

لَمْ
أَكُنْ

لَسْتُ إِلَّا رِذَاذًا يُشْهِي
كَنْتُ الْبَطِيءَ وَسَبَقْتَنِي ثِيَابِي
مَوْتِي سُلِّمَ لَجْسَدِي وَجَسَدِي بِلا قَرَارٍ أَيْنَ أُثْبِتُ؟
أُثْبِتُ السَّحَابَ قُلْتُ لِلزَّيْدِ أَنْ يَكُونَ
أَيْنَ أُثْبِتُ؟ مِفْتَاحَ الْمَوْجِ
أَيْنَ أُثْبِتُ؟ لَيْسَ الْأَسْمُ جَذْرًا لَيْسَ الْجَذْرُ امْرَأَةً لَيْسَ
الْقَشُّ يَأْتِزُّ بِالْوَرْدِ وَالْكَلِمَاتُ تَكْسِرُ صِلَابَهَا أَيْنَ أُثْبِتُ

وَجَاءَنِي الْأَفَقُ سَمَّيْ نَفْسَهُ بِاسْمِي
لَيْسَ الْأَسْمُ حَضْنًا
لَيْسَ الْحَضْنُ امْرَأَةً
أَخَذَ شَفْتِي مِنْكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ

أيتها الأرض الوخمي ولا حَبَل ،
لأعرف كيف تهطلين أيتها الصحراء
كيف تزدادين اتساعاً
لأعرف حَتَمَ اليأس
لأعرف كيف نحبّ دون أن نحبّ
كيف يذبل ما تسمّى بأسمائنا الأولى
وارتوى بما حسبناه لا يعرف الذبول

أيتها الذكرى - النسيان
كيف يتبعني البنفسج أتبعُ زرقه الماء
أقرأ جسدك -
ضيقه ورعاياه

وأقول يخرج من وجهي ضبابٌ
تخرج من جسدي خيوطٌ
تتواصل تنحلُّ تنحلُّ
وأسالُ من رأى حصاةً تمتدّ
امتدّي أيتها النار ،
الأحشاء تيبس
امتدّي

والصقيع يزدد العضلَ
امتدّي
والزمن رطباً رطباً
والزفير يتدوّ هالاتِ هالاتِ

الطرق الصّالحة ليست صالحةً لي
ولست لأحدٍ خطواتي
وفي كل نقطةٍ من جسدي تيهٌ
وليس الضّلع عشيقَةٌ لأضللَ الطرق
ولست المرأة أرضاً لأكتسيَ بالفضاء
أشكّك المثلثَ بأضلاعه
الدائرةَ بمركز
الدائرة

أشكّك الخبز بالملح
هل يخرج الطبع عن مداره؟
هل أنا سمكةٌ تكره الماء؟

أكثرُ شيخوخةً من الحجر هذه العضلةُ
عبرت مَحجّات الخدرِ استكشفت محيطات الهلوسة
رافقنا معها دوّار الشمس
سكنّا معها حشيشةَ الملاك

الطرق فواصلٌ وحركات
ولا فرق بين القمر وظلّه
العصفورِ والعُصن
ورأيت البحر في وَزْرِ الغابة
والثلج ملكاً على الماء كانت الشمس تحرسني ولي دَوْرَةُ الفَلَكِ
يحملني قرنا جدّي تختارني شفتا ثورٍ
أشهد كيف يكون للضوء جسدُ الشوك
لِلطَّمِي أنينُ الأعالي
كيف تمحوني الحقيقة ويثبّتي الوهم من أين أعبّر المسافة
بينهما -
دائماً كان بيننا مسافة .

أيّها الضارب في شريان المسافة استسلم
للريّج تشدّ الفضاء
للفضاء يمشي بقدمي طفل
للحبّ منفي للحب .

رقعة من تاريخ سري للموت :

وداعاً للجسد الذي واثبه وساورَ

أعضاءه

وداعاً لِمَدِّ يَجْزُرُ بين طفولية جسده

وشيخوخة أحلامه

سلاماً لمملكته البائدة .

رقعة من دفتر أخبار :

يمحو الشهوة - يكتشفها
الشوك يذّ لمن يزرع الزهر
الملاك أول الحيوان

يمحو يكتشف
يحلم بجسدٍ يكتبه
لكن الكلمات أحلامٌ والكتابة امرأة
ماتت : هل الحب هو الحب؟

لم يعد يرى - أعني بدأ الآن يرى
حين يحضره الموت لن يسمع صوتها
وإذا سألته : من أنا؟ لن يعرف الجواب
وربما همس : هل التقينا حقاً؟
ويقول :
ينهض اسم آخر للحب .

رقعة من شمس البهلول :

لكي يكونَ ما هو
خرج من نفسه خرج
وبقي فيها شخصٌ لا يعرفه

أُتَابَطُ الليل
هديةً لكل جسدٍ أبلغُ هذه الرسالة :
اتصلُ كما يتصل البحر باليابسة
يُلتصقان لكن لا شراكة بينهما
كلاهما نقيضُ الآخر

— لكن ، لماذا أنا جميلةٌ أيها البهلول؟
— لأنَّ السفينةَ هي التي تراكِ ، لا الموجهة .

الليل يعري عشيقاته
يتصوّف يتحد بأصغر أجزائه
قولوا للسماء أن تغَيّر اسمها
قولوا للأرض أن تأخذ هيئتي
وجهي لمحّ في عيني بحيرة تجفّ
لجسدي طعم الكفن
لهذا ،
يتخطّطني رعدُ المتاهات
لهذا ،
يصير العالم نافذة لا تتسع لأهدابي .

أعرفُ المحارةَ
قنديلَ البحر
فخذَ الليلِ سكّينَ القمر
لسانَ القرنفلِ شفاةَ الريحان
أعرفُ الوجه والقفا
وثمة سطحٌ أنتثر فوقه وأجهل امتداده وألوانه
الجسد الذي أعطيته جسدي لم ألمحه
الجسدُ الذي قال اقرأني كتبتُ غيره

اكتبني قرأتٌ غيره

لهذا ،

أتردّ صوتاً بلا كلامٍ داخلٍ مسرحٍ بلا حدود

لهذا ،

أسمعُ كلماتٍ بلا صوت :

لمستك يد الفجر مرةً

وغابت .

تزيتني أيتها الفصول بشموعٍ تاريخٍ ينطفئ

العشب يغلق مقاصيره

الرييح يكسر مفاتيحه الأولى

وثمة من يجرح ويلتصق ذبابةً على الجرح

وها أنا -

أهبط من الأفق الثاني للولادة

وينخرق لي فضاء آخر .

أيها الحنين الذي ينتفش على جدران الزمن

أيقظ وحوشك وأطلقها

أيها الحبر البابلي

استرجع سكرك وأسكرني

زمني قميصٌ يضيق والشهوة جسدٌ يتسع
 أمحوك أيتها الشهوة
 اكتشفك
 أسمع للحوض صهيل الأفراس
 الملح للسرّة امتداد السهوب
 عضلةٌ تستدير
 عضلةٌ تُعاجزني
 عضلةٌ تمرّق بعنبي ضدّ بعنبي
 ألمس القحف والقلب
 نبض العظم
 وخوذة الشرايين
 وجهك طافحٌ بدمي
 وأخذ وأكرّر وأهدي
 وللأفقي ينحور المنى .

اتركي لجسدي أن يثبت على الورق
 ممشي وخطواتك الشجر
 مشهداً وجسدك الممثل والراوية
 ظلاً وجسدك الإشارات والتلاويح
 سطحاً وجسدك العمق
 حروفاً وجسدك الكتابة .

وتنزهي
في كفنٍ تنسجينه خيطاً خيطاً
وقولي للإبر أن تُبطئي
وأبطئي

وأنتِ يا متاهات الحب
استشرفتكِ وأخذتكِ عيناى
بردتكِ وتلججتكِ
استنقمتُ فيكِ وجسرتكِ
وأنا الآن أنا سيمك
وفيكِ أخضخضٌ جسدي .

رقعة من شمس البهلول :

يمحو الشهوة يكتشفها
تطوُّح فيها
حضنها تفاريق وجوامع
منحها تصاريف جسده
استصحبها مع أنفاسه وهيمتها
اخترطها بلسماً ورأب صدوعه
تفارسا
والتهم أحدهما الآخر
لا يجد كلاماً
هل يتحدث بما يوحى؟

إذن ،
تذهله في نفقٍ
انتسب إلى بيت عنكبوت
تعارك مع جناح سقط من ذبابة ماتت
يتوهم نسراً تتبعه الشمس يتبع نجمة تنطفئ ويقول
هكذا أحيأ
يتوهم كنارياً تخنقه يد تواسيه ويقول

هكذا أحبيت

من الحلم
إلى الحلم
يمضي الأملُ يَسْتَتِمُ خريفه الأخير
والحبَّ كَمَاءٌ وَتَعَاشِيْب
لا سَقَفَ غير التوهم
لا توهم غير الملح
وقالت الموجة :
أنا المستقبل .

أمحو جسدي أكتشف جسدي
قلتَ لي : سكوتَ إليّ الوحدة
وقلتَ : سأمثلُ لك الحبَّ :
غصن
كثيرُ الشوك
أُدْخِلْ في جوف العاشق
تشبَّثت كل شوكَةٍ بعرق
ثم جُذِب

أخذ ما أخذَ وأبقى ما أبقى
خلاياي ازدوجت وامتلاأت أكثر من البحر ،

أنزلق على مُذَيَّة جُرْفٍ مجهول
تنزلق لغتي على مُذَيَّة الهاوية
وبين نشوة الدُّوار
وشفا هلاكٍ غير مرئيٍّ
أُتدلى
لا تقريباً
بين
في
ربّما أبداً
والنَّفْي ظرفٌ والظرف خبر
شهابٌ يجرّ حروف العجسد
وينطفئ

جسدي أشياء تتناقض
يربط الكفن بقدم الشمس
ويقول لفراشةٍ
بلون وجهي
اكتسبني على جناحيكِ
واحترقني
هكذا
أنحدر في إنشاءات الذكورة والأنوثة

للذاكرة ستارٌ يغمرنِي
للحركة رموزٌ تمحو الذاكرة
عزُّوا أنحائي من أسفل
غَطُّوا أنحائي من أعلى
جسدي خَطٌّ غصوني تعابير
— هل أنتِ من جنسٍ ما يُكتب؟
— هل أنتِ من جنسٍ ما يُقال؟
أكثرُ فصاحةً
أن اكتسي تأشيرَاتٍ وتراقيم
أكثرُ عمقاً
أن تتحوَّل أطرافي
إلى حواشيٍّ وهوامش
أكثرُ شفافيةً
أن يكون الزمنُ زهرةً تذبل (أو تتفتح) ووجهي الآنية
تَتَّارِجُ البَشْرَةُ
أنخرط في سِلْكِ الأغوار
أتمحور
أهوي
أختلط باللَّجَّة
وتسترسِلُ أهوالي —

الجرح دلتا
البلسم ألف
والجسد حروف بلا نقاط

أية هاربة تتسع لأعضائي
ليس للمكان قصبةً لأتوكتاً ليس في مناخه غيومٌ لأتوسمَ المطر
وها أسمع في جسدي
جذوعاً تثبت
وأشلاء تتطاير
وها أنسكب في شظاياي
وأسترخي
أيها الحب - الرأس الذي يشجّه الجسد عرقاً عرقاً
أيها الحب ، يا أرومة الماء
أتسنع
كن الهباء والشمس
وأثبت الغبار بالغبار .

تمرحلُ ، أيها الجسد ، من الآن إلى الموت
- متى وُلدتَ ، ما عمرك؟

— لا أعدّ ، لا أرقم
أتهالكُ وآلهأُ
أهوائي تملكك حركاتي ، وشررتُ وجهي اليأس .
كررت : أملك أقاليمَ لا أعرفها
يُجَيِّسني الرماد لكن اللهب يقودني .

رقعة من تاريخ سري للموت :

تَمُدُّ ، أيها البخار ، يا دمي ورافق استطلااتي
ثمة أمواجٌ تقبل من شواطئ غير مرئية
تقول إنها استطلااتي
ثمة صلصالٌ غير اسمه
حَرْفٌ خرج من صوته
أفقٌ على شفا الأفق
تقول إنها استطلااتي
وبين العصب والعصب صَحَارَى
تقول إنها استطلااتي

وأنتِ ، يا زهرة الآلام امنحيني احتمالاتٍ أخرى
كوني أمومةً زهرةً بالآف الأسدية والمدقات ،
الكؤوس والتوبيجات
امنحيني - اذكرني وجهي
كنتِ تتحنين عليه كلما جمعنا ماءً أو هواءً لنقرأ الموت
تمتزع رائحتانا
تنمو أطرافنا توائم توائم
أقول لك : تموتين مأخوذةً بالماء

تقولين لي : تموت مأخوذاً بالشمس
لكن ،
لحظةً تذبّلين بين عينيْ
يفصلنا لَهَبٌ لَهَبٌ لَهَبٌ
ومتاهاتُ الأحد السبت الجمعة الخميس
أصلُ فيك الشهوة بطعم التراب
والفرحُ بنكهة الموت
وها هو جسدي
موشوماً ببقع الحسرة
يزحف بين كلماتي
تتكاثفُ أدغال الأرق
تعلو أمامي الجبالُ
الشجر ينام
ولكلُّ حصاةٍ أذنانُ تُصغيان إليّ .

توهّمتُ أن اليدَ يدُ وأنَّ الوجهَ هو الوجه
وكان هذا تعاطفاً مع الرمل .

رقعة من شمس البهلول :

الجسدُ يتذكّر الحبّ ينسى
الحبّ أن نذهب الجسدُ أن نجيء
الحبّ أن نستوهم الجسدُ أن نتبلبل
الحبّ - هذا الهزل الكوني
من أجل أن يظلّ الأبد مشقوقاً
من أجل أن نهسّس الشكّ .

رقعة ثانية :

الحبَ مَلَكٌ على السُّلْبِ
طفلٌ يَظَلُّ في حالة الولادة
الحبَ زَيٌّ - كُلِّمَا كَثُرَ المحبونَ قَلَّ الحب
سَرِيرٌ تعمِّره حشراتُ إلهية تنفث الهذيان الكوني
حيث يشتبك فخذ القمر وفخذ الفأر
يتعانق فكَّ الشَّمسِ ولسانُ الحرذون
الحبَ فَمٌ حُرِّفَ عن موضعه

لا تطلب الغبطة في الحب
لكن ، لا تطلبها في البغض
اطلبها في رذاذٍ لا ينقطع
من غيمةٍ تسبحُ
في فضاء بحثٍ يسبح
في فضاء رغبةٍ لا اسم لهما
لا اسم له .

رقعة ثالثة :

منذ أخذت السماء تطعم الأرض
انشطر وجه هذه التاعسة نصفين :
نصفاً للخطأ
نصفاً للندم

قبل الأوان الخطأ
بعد الأوان الندم
والإنسان بينهما مَبْغَى .

قالت أشباحه :

كنتَ ترقد مع آخر نجمة تستيقظ مع أول عصفور
جسدك وراء جسدك وعيناك تستسّران
ترسم خرائط الماء ، والماء يهرب ويمحو
وتساءلت كيف يتحوّل الهاجس إلى قدمين ويدين
وقلتَ الخيالُ يلمس أصابعي
المكان يتخيّلني
وما حاجة العين للعين؟

العصر تشنّ جلدّه ويذّن
الأفق طَحَلَبَ
وشوك الماء .

وقالت أشباحه : أيها الفشل ، يا جسده الآخر ،
وحّدك عرفته - قلتَ
في أحشائه مشاتلُ وآلات
لنفي ما يقبل ونفّي ما ينفي
وقلتَ للأشياء البسيه
وقلتَ له البسني -

الآن تستطيع أن تبدأ .

وكان الجسد جديداً وأخبرنا :
غرضي أن أسمي الحمى ذاكرة الجسد
غرضي أن أتحدث مع حرائق الداخل
غرضي أن أعارض الموجَ لأحسن تمويه الشواطئ
وأبدأ دائماً سقوطاً
في
زهو
العافية .

وكان الجسد جديداً وأخبرنا :
الماء ضيقٌ على عطشي
وأنا ضيقةٌ على أنا
لي آلافُ الألسنة وليس لي إلا كلمةٌ واحدة
لي من الموت أنواعٌ لا تُحصى
وليس لي إلا قبرٌ واحد .

وقالت أشباحه : تَبَلَّلي بمطر الأشياء واغمريه يا أعشابَ اللغة
يبتكر أعضائه أعداءه

يقرأ تاريخ التراب
ويتوّج الشيء ملكاً على رموزه .

وأنتِ أنقصني يا أعمدة الذاكرة
وأنتِ أنطفيء يا جمر الماضي
يفرّغ جسده المزدحم بالأسماء
يمنحه لجسدٍ لا اسمَ له
ويعشق هذا الجسد الذي لا اسمَ له .

وقالت أشباحه : افترسته أحواله
تستأصله فأسه
تمزّقه يداه
من أنقاضه ارتفعت أسوارٌ وعلّت مقاصيره
انقسم ظلّه اثنين يدعيان حبه :
واحدٌ يؤثر جثته
واحدٌ يفضل صمتاً يشبهها
وانتشرت جثته أثيراً
تتدلى منه رؤوسٌ وأفخاذ
وانتشرت جثته مرآة
موائد وأسرة

لها شتاتُ المدى
وأخذ كل شيء يتراءى فيها :
أين العصفور يطير بأجنحة من الوحل ؟
أين الصرصار يتقمص وجه الملاك ؟

وقالت أشباحه : اصهره أيها الشقاء لِيَسْتَنْزِلَ مَطَرُ الوقت
ضجرت أعضاؤه من أسمائها
من النطق والصمت
من السكون والحركة
ضجرت أعضاؤه منه تسبقه - يتبعها
اصهره أيها الشقاء ليعرف هل هو هو ، أم غيره ؟

وقالت أشباحه : لنمضي
أمامنا الجسد يترمرم سراً سراً
العَفْنُ هو كذلك القلب
العَفْنُ هو كذلك الطفولة
العَفْنُ هو كذلك الحب
ولنقتنع :
الحب أن تشك أيضاً في الحب

الحياة أن تزخرف لك العينُ أنك الوحل
أن تتسخ ويكون الوسخ من ولائكم وأعراسك
ولنقتنع :

الحياة أن تتماوت
أن تكون منذ البدء ، الميت – الحي
الحي – الميت

وقالت أشباحه : باسم جسدك الميت – الحي – الميت ،

لست في الطرف

لست في الوسط

لست الحكيم

لست الطائش

أنت

السقوط النهوض

اللحظة التي تتنفسها وتكرر

كلمة لا كلمة

شيء لا شيء

غيب غيب

وأدخل في أعراس المخو والصق اتجه أرخ

لا الأمر أمر

لا النهي نهى

انْسُلْ دَمَكَ خَيْطاً
اتَّبِعْهُ
اعْتَفْ تَحْنُنْ
اخْتَرَقْ —
بِلا اتِّجَاهٍ
بِلا طَرِيقَةٍ
ارْتِطَاماً
قَفْزاً
لَا تَسْتَبِقْ
احْتَرَقْ تَسْلُطَنْ
كُنَ الْمَكَانَ الَّذِي لَا مَكَانَ فِيهِ
الْوَقْتُ الَّذِي يَغْلِبُ الْوَقْتُ
كُنِ الشَّهْوَةَ الشَّهْوَةَ الشَّهْوَةَ
إِبْرَأَ الْجَسَدَ
وَسَمَّهُ النَّبِيَّ
وَالنَّاطِقَ .

باسم جسدي الميت - الحي الحي - الميت

ليس لجسدي شكل

لجسدي أشكالٌ بعدد مَسَامِهِ

وأنا لا أنا

وأنت لا أنت

ونصحح لفظنا ولسانينا

ونبتكر ألفاظاً لها أحجامُ اللسان والشفَتين ،

الحنك

وأوائلِ الحنجرة

ويدخل جسداًنا في سديم دَغَلٍ وأعراس

يَنهَلمان

يَنبَنيان

في لُجَّةٍ

احتفالٍ

بلا شكل

بطيئاً سريعاً

نحو ما سميناه الحياة

وكان فاتحة الموت .

باسم جسدي الميت - الحي الحي - الميت

ارتفع السُرُّو بين الاسم والوجه

عادت اللغة إلى بيتها الأول
كان الحب قبراً دخلتُ إليه وخرجتُ
كان القبر نزهة لراحة الأوردة
ومات النحو الصرف
وحُشرا بين يدي أول قصيدة كتبتها وآخر قصيدة
وأخذ الحشرُ يحكم ويفصل
يبرئ ويدين
لكي يأتي الليلُ
يشرد النهار خارج النهار
لكي يأتي النهار
يشرد الليل خارج الليل
لكي تحتفظ الأرض بذكرى العشب
تتغطى بالقش

باسم جسدي الحي - الميت الميت - الحي
للجسد أن يفصل بين جسدي وجسدي
له أن يعتقل عضواً بعضو
يحارب خليةً بخلية
له أن يزرع دمي ويحصده
وللجسد أن يكون جسدي
ضيدٌ جسدي .

تعاذيم

أ .

سلاماً أيها الجسد
أيها النغم أخرجته اللذة الحاناً سرّت بها
عشقتها وطربت إليها
ورثبت الأوتار الأربعة إزاء الطبائع الأربع :
الزّير المرّة الصفراء
المثني الدّم
المثلث البلغم
الجُمّ المرّة السوداء
وأجرت الإيقاع في أنهار لا تُحصى
سلاماً أيها الجسد

ب .

اقتربي ، يا شجرة الزّيتون
اتركي لهذا المشرد أن يحتضنك

أن ينأَمَ في ظلك
اتركي له أن يسكبَ حياته فوق جذعك الطيب واسمحي له أن
يناديك :
يا امرأة

ج .
« ... ليلاً ،
نخرج من أسرتنا
نذهب عاريات حتى أطراف القرية
نحمل قضباناً بلون التراب
نرش فوقها الماء
نفترش الأرض الظامئة
... ثم يكون غيمٌ
ويكون المطر . »

د .
استلقي ، أيتها الجميلة ،
فوق هذا العشب الجميل
ضعي بين فخذيك زهرة جميلة
وقولي لعشيقك الجميل
أن يزيحها بعضوه الأجل .

هـ .

تعري ، يا شجرة الورد ، التحفي بالقمر
انزل ، أيها السيد القمر التحف بشجرة الورد
وضعنا لك سلماً
جعلنا قدم الوردة آخر درجاته
زيّناه بزهر آخر
حفرنا عليه رسوماً
لأنواع الذئكة في البر
لأنواع السلور في البحر
من أجل أن نشهد عرس السماء والأرض .

و .

أنت ، يا من لاحقته امرأة
كانت تغطّي جسدها بأوراق المدرسة
وتلف رأسها بتويجات الورد
كان اسمها أميرة العشب
كان اسمها العيد
والكلام
أنت ، يا من مضى ،
ها نحن ، حول اسمك
نتحلق

نحسبك شجرةً
نكسرك غصناً غصناً
نصنع منك دمية نغطيها بالقشّ
نلقيها إلى الزبد

ونقول :

الزبد
هو
أيضاً
من
مفاتيح
البحر

ز .

هاتي خصلةً من شعركِ
اربطيها بهذا الغصن
اتركيها في عناقِ مَدَى الريح
في صورة عاشقين .

سلاماً للفساد أليفاً كأنه الهواء
 مؤسساً كأنه البدء
 سلاماً لآلاتٍ غير مرئية أبتكرها لأبتكر أجسادى الأخرى
 قلوبى الأخرى
 سلاماً لكوكبي الجالس على طرف القيد
 يتخذ من قدمي وذراعيّ حدوداً وأعلاماً
 سلاماً لوجهي يتبع فراشةً تتبع النار

// هل أفصل نفسي عن نفسي
 هل أجامعها / هل العجا
 عٌ لحظة انفرادٍ أم لحظة ازدوا
 ج؟ هل أخذ وجهاً آخر؟ وما
 ذا يفعل جسد تبّقه جراحٌ لا تلت
 ثم؟ إنها الصحراء
 تطبق عليّ، وما هو
 الجرادُ يَحْتَنِكُ أطرافي //

اجلس، أيها الموتُ، في مكانٍ آخر

ولنتبادلْ وجهينا

أصنع نبضي نسغاً لأبجديتي

أسويك الجلد

أسميك النظر

طعم الأشياء

وأعلن :

أنا المتوئنُ والهدمُ عبادتي .

وأقول باسمك :

ابتسم ، أيها النهر ، لجفافك

امرحي ، أيتها الزهرة ، بين الشوكة والشوكة

وأقول باسمك :

في الرماديّ أفتحُ جسداً أتجولُ في أرجائه

حيث يتمشى قوس قزح بخطوة الطفل

ويكون لخيالي أن يفترس عينيّ

ويهدم الجسورَ بيني وبين ما حولي

ويكون لي أن أصعدَ وألتقفَ الهواءَ المحيط .

وأقول باسمك ، هامساً لأشباحك :

أيتها العطور التي تفرز الرغبة
تزيّني
واستهويني .

وأقول باسمك :
دائماً على شفا الجنون
لكنني لا أُجنّ .

أجلسُ ، أيها الموت ، في مكانٍ آخر ولنتبادل وجهينا
أُسميك الجسدَ وأسأل
كيف أعيش مع جسدٍ أتهمه
وأنا المتهمُ والشاهدُ والحكم؟
وأسميك جسدي
وأرى إليك إليه يتفكك ويتركّب
السّاعد فخذُ
المعصم كاحِلُ
اليد قَدَمُ
الكتف مِرْفَقُ
وما تبقى غيرُ ما تبقى

وأستسلمُ ، أنا الراسخ ،
كانهيارٍ ثلجيّ
عنقي تهبط في الترقوة
وتهبط هذه في الصدر
ويهبط الصدر في ليل الرّدفين
والرّدفان في شمس الأحقاء
وتكون الأحقاء رصاصاً يرسب في أطراف الساقين وتتنوّر بأعضائي
أعضائي .

وتقول باسمي :
أسميكَ عاشقاً
وجهاً إلى الحيوان
وجهاً إلى النبات
وأصغي إلى هذيانك يطلّع
في لهاث العناصر :

دال تاء

— بحسب حركاتك يجري أمري
والليل والنهار بريدي إليك

يتراکضان کمُهرين في سباق
كيف أقمع هوائجي
والحاجة إليك هتكتني؟

واو نون

— كيف أقمع هوائجي
والحاجة إليك هتكتني؟
تبكين؟
— لا تحرق النار موضعاً مَسَّهُ الدمع
لذلك أبكي
ينبت القرنفل في الدمع
لذلك أبكي
وأمس قرأت: «كل شهوة قسوة إلا
الجماع يُرَقُّ وَيُصْفَى»
لذلك أبكي .

سين ألف

— ادخلي ، كأنك نقبت الجحيم وخرجت منها
أو كأنك امرأة تشتري العطر بالخبز

أُخْصِيكَ وَأُسْتَقْصِيكَ
أُزِمِّنُ فِيكَ وَأَكُوكِبُ حَوْلَكَ أَعْضَائِي
وَكُنْتُ صَادَقْتُ نَفْسِي فِيكَ
وَحِينَ تَبْعَتِكَ
قُلْتُ: النَّفْسُ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضاً .

لكن ،
لماذا أنا كثيرٌ بنفسي قليلٌ بكِ ؟
لماذا ، كلما اقترَبْتُ إِلَيْكَ ، أشعر كأنَّ عَضْواً يَسْقُطُ مِنِّي ؟
مع ذلك ، ادخلي
لا يزال جسدي رطباً بذكرِكَ
وكيف أقمع هوائِجي
والحاجة إِلَيْكَ هَتَكَتْنِي ؟

وأقول ، باسمك ، لجسدها :
جسدكِ صوتي أسمعُه
نظري أتشرد فيه جسدكِ رَحِيلِي وكل خَلِيَّةٍ مِنْطَلَقٍ
جسدكِ مرفأِي وَأَصْلَلُ المراسِي جسدكِ الصخر يستبقيني
الغبارُ يطير بي

جَسَدُكَ هَبَائِي
وَيَظَلِّلُنِي
جَسَدُكَ فِضَاؤُكَ وَأَنَا وَخُوشُهُ الْمَجْنَنَّةُ
جَسَدُكَ قَوْسٌ قَزَحٌ وَأَنَا الْمَنَاخُ وَالتَّحْوِيلُ .

وَأَسْأَلُ ، بِاسْمِكَ :
أَصْغَرْتُ لَا مَأْوَى
اسْتَأْسَنْتُ مَنْ يُطَهِّرُنِي؟
مَنْ يَعِصْمُنِي مِنَ الْعِبَارَةِ
تَكْدِرُ ،
مِنَ الْإِشَارَةِ
تَضْمِحِلُّ
وَكَيْفَ يَتَحَرَّرُ الْقَفْصُ؟

وَتَقُولُ ، بِاسْمِي :
أَبْدَعُ لَجَسَدِكَ مَا يَنَاقِضُهُ
كُنِ الْهَبَاءَ وَالْحَصَاةَ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ
أُكْمِلُ جَسَدَكَ بِنَفِيهِ
وَلَتَكُنِ اللَّغَةُ شَكْلَ الْجَسَدِ

وليكن الشعر إيقاعه .

اجلسُ ، أيها الموت في مكان آخر ولنتبادل وجهينا
أقول باسمك وباسمي :
نُضِلُّ الحياة وهي التي تقودنا
ماذا أفعل
وجسدي أوسع من الفضاء الذي يحتويه
أنا الباحث
وليس أمامي غير الموت؟

ونقول باسمها وباسمك وباسمي :
تجوهرتُ بكِ
وكننت أطمح إلى التبدُّد
وفتحتك بجسدي لكن ،
بماذا أختمك؟
ومع أنني مشُوبٌ بكِ
فأنا شيءٌ لا يستند إلى شيء
ليس مربوطاً
ولا ملتحمأ

ولا حالاً
لكنني أسيلُ لا أفق
وجسدي رمى إذ رمى
بقاب قوسين
وأنا الصَّحيحُ المريضُ برزخُ الجنس
استوليتُ
غلبتُ الكمَّ والكيف
فُتْ ما يُقال
مع ذلك ،
عبيت من تصوُّركِ على أنحاء ومراتب
وأعوذُ بأسمائنا من علم اليقين
(اليقينُ شركُ الضمائر
والمعرفةُ
أن
تعلم وتجهل)

هكذا أتحرك في سلاسل جنوني وأنوع الحلقات
هكذا أيها الثابت
المتبدل
المتصون

يا جسدي

وكذا

وكذا

وكذا

هكذا أسأل :

أنت صراطي كيف أقطعك؟

أو

أسأل :

هل أنت حكايةً محرفةً ومكذوبةً علي؟

هكذا ،

أنكر ما يفرقني

وما يجمعني

وأقول باسمك :

أنا الماء يلهو مع الماء .

IV = سبيل

سيرى ، أيتها الحقول ، بخطواتٍ من القَشِّ
 اخْلَعْ قميصك أيها الجبل
 الضَّوءُ يعبر وتعبّر حشراتُه
 الأدغالُ تعبر
 وتعبّر خواصِرُ التلال

وأنا
 مكسوّاً بالزمن ورماده
 يرميني الشجر من نوافذه
 يتلقّفني فضاء تسيّجه أفخادٌ غير مرئية
 بين أمواج من الشمر أبحث فيها عن بُرعمٍ التيه
 حيث ترفعني صارية اللّذة وتختلط الصخور بالأشعة
 حيث الجسد سِرْدابٌ والشّهوة قلعةٌ محاصرة
 وأقول : سيكون فضاءُنا وحشاً
 أخضر

لكن ،
 أيها الحبُّ المقبل - الجسد المقبل
 أين أسكنك
 وماذا أستطيع أن أمنحك
 غير ذاكرة الفراشات؟

أقواس :

أ . تخرج فراشةٌ تدخل فراشةً والمسرح بهيئة الجسد
في الجسد وحلٌ
لوحله طيبة الورد
في الجسد ذلٌ
لذلّه نكهة التآكه
هكذا بدأتُ من أظافر القدمين
يوم حككتُ بها جلدة الأرض
بين هواء دمشق وشجر قصّابين
أزّينَ النبات
فكّنت الأرض أزوارها
هطل ماءٌ لا
أخذتُ غصن زيتونٍ
ورسمت على التراب دَوْرَةَ أحشائي
وقفت السماء جانباً وابتدأ هديرٌ كأنه بدء التكوين
أزدوج كلَّ شيء واشتعلت أعماقي هجرةً وتقاسمتني
الأقاصي
تحت شجرة بشكل الذراعين
أُفقي باستدارة السرة

ارتسمت أوائل ممراتي
 لم يكن للفجر غير قمصانٍ تثقبها قرون الماعز
 وأخذ جسدي يفيضُ والطُّرُق لا تتسع
 أخطو كمن يصل جمرَةً بجمرة
 هاويةً بهاوية
 وفي ركبتَيَّ تتكدّس الجبال والسهول .

ب . تخرج فراشةٌ تدخل فراشةً والمسرح بهيئة الشجر
 كتبنا على جذوع الشجر لكنّ الشجر لم يقرأ كتابتنا
 رقدنا على العشب لكنّ زَغَب العشب لم يأنس إلينا
 وكان الوكّة يهجم علينا بجمره وأيامنا قشّ رطب
 ونسأل
 وتسقط أسلثتنا في جرارٍ تنكسر
 ويبدو الأفق طفلاً أغمض إلى الأبد أهدابه
 وفي لحظات الحنين والحسرة
 نلهج بأحوالنا
 نتمدّد على الأرض
 ونحفّر في جسدها سرّة صديقة . . .

ج . تخرج فراشةٌ تدخل فراشةً والمسرح بهيئة الفضاء
 من أين لأحشائي هذه الوسوسة؟

من أين لِقَدَمِيَّ هذا السَّمْع؟
أنا الشَّاسِعُ
وليس في الفضاء ما يملأ عينيَّ
تَدَحْرَجُ ، أيها الشَّبح ،
أَيْنَا الشَّرَاعُ أَيْنَا الرِّيح؟
استمسكْ
استصرخِ المَدَّ المَدَّ المَدَّ
استسلمْ
كُنْ الغَرَقَ وخُذْني ...

د . تخرج فراشةٌ تدخلُ فراشةً والمسرحُ بهيئة الطبيعة
أُتحوَّلُ إلى طبيعة ثانية
وتنزلق بين فخذيَّ النباتات
كلُّ حجرٍ حارسٌ يسهرُ معي
كلُّ شجرةٍ مظلةٌ تتشَبَّهُ بالجسد
(أدخل في أبعاد ترشح من شقوقها البخارات
حيث تُطَبِّخُ الحِجَارَةُ
تكون منها الأمواجُ المختومة
وفَلَكُ الرِّيحِ والمصابيح
وتكون السيمياء والحكمة) .

رقعة من دفتر أخبار :

مرة ،

بدأ الحبّ بقدمين

طوى الزّمنَ غلالةً وضعها تحت فخذه

ومدّ الفرحَ وسادة

كان الموت جذعاً يتطاوّل

والحزن يثقب الأغطية .

رقعة من تاريخ سري للموت :

لم يعد الفضاء إلا رقعةً تتبَلَّل بالقتل
وينسلها اليأس خيطاً خيطاً
لم يعد الهواء إلا نبضَ قلبٍ يتجه نحو الرماد
انكسر عليّ كضوء ينكسر
وبقيت كلماته تهذي وتطوف
وبقيَ هباؤه
يرسم انحناءة الشمس .

- «افتح قبرك في هباء كلماتك
واخلق لموتك جسداً» .
سمعَ
أَمَنَ
ولم يرَ .

١٩٣٠ الشمس قدم طفل
عرفت أقل من امرأة
لأنني تزوجت بأكثر من امرأة
(- عرفت أقل من رجل)
لأنني تزوجت بأكثر من رجل)
أعلننا :
الزواج غبار
لكن ،
قد يتحول غبار الزواج إلى زهرة من العشق .
١٩٣٣ نبتة تشعل قنديلاً
١٩٤٠ طفل يعد الغيم ينتظره الحريق
١٩٥٠ تمطر في أنحاء أخرى
ستحظى بينابيع يأخذها غيرك .
الجسد أطول طريق إلى الجسد
هل اللمس للجسد وحده ، حقاً؟

١٩٧٣ تمطر في أنحاء أخرى
ستحظى بينابيع يأخذها غيرك .

١٩٧٥ سلاماً أيها الطفل
يركض النهر وراء مائه ولا يُمسك به
يبحث الغصن عن ظله ولا يراه .
سلاماً أيها الطفل
لا يقدر الجبل أن ينخفض
ما ذنبه؟
لا يقدر الورد أن يسقيك
ما حكمته؟
سلاماً أيها الحيوان
أنت وحدك الملاك الأبيض .

لأجل مائدة العين
يستريح الشوفان فوق سواعدنا
يتنزه القمح
نربط الزمن بأجنحة العصفير نسمع نبض الحقول
يجاور قلوبنا
ونكاد أن نلمس الدم .
إنه الفقير يمطر فوق الزيتون
إنها الحقول تتبرك بثياب الملائكة
والبحر ييسط يديه لا يصل

والسماء تحمل الجرارَ لا تروي
 وكنتُ أجريت أحلامي أنهاراً
 وعلقت كالصوّر أيامي
 يتّحد الصّبقيع والسّماني
 ويجلس الوّزورُ على الدّخان
 وكان جسدي غيوماً تتراكم وتنتشر
 حول أشجارٍ لها شكل شراييني
 وأجنحةٍ لها شكل قدمي
 وما خطواتي تذوي وتزهر
 الملح يوماً بغرّة تسترسل
 وقميص يتمزق ،
 يحلم أن يكون صياداً

المح يوماً يجلس على النهر
 تجلس قربه صبيّة تكتشف نهديها
 الملح يوماً يُجيشُ البروجَ
 ويرفع رايةَ الجدّي .
 والهواءُ هواء بفضل القرية
 والبيت بيت بفضل الزيتون
 انزعي غلالتك أيتها الأرض
 الماء يعود مرافقاً من الشينخوخة

والنَّبْعُ يطير صوب العصفور .

ليس الفجرُ، بل جرسٌ يتسلَّقُ الفجر
قلتُ للوسادة
وانحنيتُ من نافذةٍ بعلو الصفصاف
أحييك أيها الصباح الحامل وجه صنيّين
أيها الوجه الأقلّ غرابة من وجه نينار
طموح صنيّين يُرهق الكلام
لتكن شاعراً أو مجنوناً
ولك ذراعان وساقان لكي تنسى
ها أنت
ها أنا
أين إملاؤك لأكتب؟
أين صمّتك لأمنحك جسدي؟
اسمّي الخيطُ
ينزل من الشمس لا يعلق بك
أين وجهك لأصقل مرآتي؟
أين مرآتك لأرى أشباحي؟
أقصّ عليك تاريخاً بدأته يمامةٌ
أحمل إليك سريراً

فَرَشَهُ النَّهَارُ وَلَمْ يَنْمَ فِيهِ اللَّيْلُ

صُنِّين -

سُمِّيَ هَكَذَا بِفَضْلِ الْأَيَّامِ
سَمَاءُ الثَّلَجِ يَقْرَؤُهُ الْغَيْمُ كُلُّ يَوْمٍ
وَلَا تَسْمَعُهُ الْمَدِينَةُ .

صُنِّين -

سُمِّيَ هَكَذَا بِفَضْلِ النِّسْيَانِ
اسْأَلُوا
أَجْزَاءَهُ الْحَزِينَةَ الْبَاقِيَةَ الَّتِي تَتَفَكَّكَ كَأَجْزَائِي
تُتَابِعُ سِيرَهَا فِي غَيْمَةٍ
وَتُسْتَرِيحُ فِي حِصَاةٍ
اسْأَلُوا فَصُولَهُ وَنَبَاتَاتِهِ
كُلَّ فَصْلٍ جَوْقَةٍ
كُلَّ نَبْتَةٍ حَنْجَرَةٍ

وَأَجْلَسَ مَعَهُ وَأَهْدَى
يَجْلِسُ الْهَذْيَانُ فِي عَرْشِ طَائِرٍ يَحْمِلُنِي وَيَمْضِي
سَلَاماً ، أَيْتَهَا الْعَجِينَةُ الصَّبْلَةُ يَا أَحْلَامِي

حملتُ خواطر تحمل الأمانة
علوتُ حتى لامستُ نجمة
وقطفت مع أرواد نبتةً بحمرة الخمر

كان حولنا عشبٌ يجوع وحصىٌ يعطش
وتمنينا
لو تُلغَمُ الشمس بالماء
وكان صنين جرحاً يتدفق ويُملئ .

رقعة من دفتر أخبار :

أ . عمّا يرد بقوة الوقت
وقف الضوء كجذع الصفصاف
يرى إلى الريح تجرّ الأفق
إلى الأفق يتخبط
يُقلت من فخّ أخضر
أخذَ يحول الأشياء إلى كلمات يصنع للكلمات شمالاً وشرقاً
غرباً وجنوباً
ويرجع خطوط الاستواء
امتدّت عيناه سطوحاً وخرائط
يفصل التّويجات
يلامس عنق الغصن وأسنان البرعم
يحتضن أحشاء الماء وخاصرة الوقت
وكانت أصابعه هي التي ترى

وكنت أرى إليه كيف يبدأ الموت منذ أن يولد
شعاعه المتواصل هو نفسه موته المتواصل (الحب كالضوء ، موت
متواصل منذ ولادته)
وكانت أصابعي هي التي ترى

ب - عَمَّا يَفَاجِئُ مِنَ الْغَيْبِ
 الشَّجَرَةَ أَجْمَلَ غُرْفَةَ لَنُومِ الْعَصْفُورِ
 وَالْغَصْنَ أَجْمَلَ سُرِيرِ
 الْحَبِّ يَحْتَضِنُ غَائِبًا
 يَحْمِلُ مُوسِيقَى جَسَدِ
 يَحْمِلُ الْقَتْلَ
 تَتَخَشَّرُ الْفُصُولُ
 يَكُونُ لِلطُّفُولَةِ أَنْ تَمُوتَ وَدِيعَةً كَبْذَرَةِ الْقَمْحِ
 لِلْمَوْتِ أَنْ يَهْبُ كَنْسِيمٍ بَحْرِي
 يَكُونُ لِلْبَحْرِ عَيْنَا صَبْرٍ يُحْتَضِرُ
 لَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْتَهِيَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْدَأَ
 يُطْعَنُ الصَّبْرُ
 وَهُوَ فِي رَفِيفِهِ الْأَخِيرِ لِيَتَوَجَّ نَفْسُهُ عَلَى الْأَوْجِ
 دَمُهُ يَنْزِفُ
 وَلَا مُلْكَ لَهُ
 الْمَلِكُ لِنَارٍ تَهْبِطُ عَلَى أَحْشَائِهِ .

ج - عَمَّا يَجِيءُ مِنْ جِهَةِ قَصَابِينَ
 لَاحَقَتْ فَرَّاشَةٌ
 تَطِيرُ فِي الْأَتَّجَاهَاتِ كُلِّهَا

ولم تكن جاهلة ولا ضالة

القمر حوذي يقود عربة الشهوة

الغيوم قماش

نرسم عليه أحلاماً

نرجو أن تنزل مع المطر

أحياناً يتسخ الضوء

كيف نغسل وطناً يتسخ فيه حتى الضوء؟

د - عما يرد بقوة الضوء

أيها الضوء ،

خُلِقتَ إلهاً ويرفضك الظلام

ألهذا كنت العين الوحيدة التي خُلِقت من أجل

أن تسكنها الظلمات؟

ألهذا كنت الخالق يلبس شكل الخليفة ،

والماء

يتزوج

شكل الإناء؟

أمحو وجهي — أكتشف وجهي
الأشياء أقنعةً أخترقها
والعالم حولي أسارى .

ها هي قصايبين
تبدأ كما يبدأ النهر وتتجه إلى فاتحة البحر
يختلط ماؤها بمائه
تخرجُ مع سمكةٍ
تطيرُ في الليل تتندى
تجلس مع سمكةٍ تقرأ
ولها قرنان يضيئان
تسافر مع سمكةٍ
ينبت بين كتفها الزهر
وأحياناً ينبت الطحلب

ورأت قصايبين شجراً يطلع مع الشمس يموت حين تغيب
ورأت قباباً تسير على الماء
كانت أرواد تلبس ملاءة الفجر

تخلط الجناح بالسنبلة
والأحصنة بالقصب
اختبئي في عباءة الموج
واتركي حول قدميك مكاناً للأرض
جسداً يستأنس يستوحش في رقة الهدب
شمسٌ تخرجُ من الحنجرة
أفقٌ يترك شفثيه على الأذن
جمعٌ بصيغة المفرد
هذه إشاراتك
هذه حروفي .

أدخلُ في عتمة أغواري وأنتِ مصباحي
أمنحُ يدي لطفلٍ يتعثر سمّيته الحنين
وأسير إلى جوار ظلي
أحمل حطب الضوء وأقول للزمن
أيها الرّمح استبسل
وجهي مجرّة الرمز
وجسدي عُرْجُونُ اللّغة
وها هي حياتي
قمقمٌ يتدافع في هَلَعِ المصادفات وهجمة الزبد

أمام المرأة - الماء أنعكس :
جسدٌ آخر يتراءى
الترجس كنيسة الموت
والموتُ قدّاسٌ بلا صوت
من الزرقة إلى البياض ينتقل الموج
من النورس إلى الطمي تهجم الشواطئ
تاج الماء ينكسر
والزبد يَستردُّ أسلحته .

لكن ، أيها السيد الذي يحرس الموج ،
لن تقدر أن تنساني
وجهي شهوة الأفق
وصوتي الهسيسُ الذي يتبطنُ الموج .
وها هو الموج
عنقٌ يتجه نحوي أنا الغيمة - القلادة
وليس للتراب ندوبٌ إلاّ خطواتي .

رقعة من دفتر أخبار :

حزنٌ يعبر أمامه لم يره
ناداهُ

يرتعش ويلبس الرخام
مرأةً لحزنٍ رآه
لم يُنادِه

حزنٌ آخر
لكن لا جسده
يَتَّقُ بجسده لا بفكره .

رقعة ثانية :

الأرض حضوره وهو غياب السماء
أَفْنَعَ كلماته أن تحتضن أحشاءه
لم تحتضن شيئاً

ما قاله ليس منه
ما يحلم أن يقوله لا تتسع له الكلمات
يريد أن ينكسر
لكن كيف ينكسر ولم يحفظ باللهب الذي يُغريه؟

وكيف يُغريهم بلهيه
وهم يتخطفون رماده؟

رقعة ثالثة :

أسرع الطينُ أسرعَ وتحوّل إلى غبار
لا شيء لا شيء لا شيء
يلتصق بالخشب عموداً فقيراً لليلة الرّخو
ويحلم
كيف
تناثر
عضواً عضواً في شوارع استباحها
واعتقل أطرافها
ليطلق الحركة
طرطوس أرواد اللاذقية دمشق
صوته يعقرُ تاريخه
ووجهه الجذُرُ والقشّ
الحزنُ الذي يستأصل
والفرحُ الذي يؤصّل
لا شيء لا شيء لا شيء

وبين قصّابين ودمشق
تسقط السماء مطراً بحجم اللوز :
اصعدُ أيها التراب

جسده سلّم
تبخرَ أيها الماء
جسده مهرجان إسفنج
اصعدُ
واشهد للمطر كيف يضاجع الأرض
كلّ عشبّة مسحت أهدابها وقامت
كلّ حصاة اغتسلت وتهايات
والزهر دمّ يملأ الثقوب .

رقعة من شمس البهلول :

يبحث عن دَغلٍ يرفعه محرقةً
يطرح فيها أوائل نذوره وبشاراته
يقيم

لكل ما يشحّ
لكل ما ينطفئ
ولائمٍ وأعراساً
ويدعو الحبّ

يسمع التعب يقول : أنا الصفحة الأخيرة
الصفحة الأولى
يسمع الموت يقول : أنا حَبْرُكَ الباقي

رقعة ثانية :

يَسْتَجْلِي شرقاً يغسل الضوء ويعلن :
لستَ حيثَ أنتَ بل حيثَ لا أنتَ
لا في النوم بل في الأرق
أَنِمِ النومَ

أَرْقِ الْأَرْقَ
مَا لَسْتَ يُدَمِّرُ مَا أَنْتَ
دَمِّرُ مَا أَنْتَ
لِتَبْنِي مِنْ أَنْتَ
وَابْدَأْ :
كُنِ النَّرْدَ
كُنْ ضَرْبَةَ النَّرْدِ .

فواصل :

أ . أمثل الجسدَ في سيفٍ
تسنّه اللذة
يفضاجع الحزن .

ب . لكي أكونَ جسدي ،
أسمّي نفسي الهباء
لكي أعرف ، أنا
ولست في حاجةٍ إلى مكان
حاجتي إلى طريقٍ طريقٍ
تقدّم أيها الدخان
يا فرسي لعبور المسافات .

ج . أتكلم دون أن أتكلم
أسير دون أن أسير
أثغلغل بين الورقة وغصنها

الشيء والشيء
حين لا يعود يتميز
الخيط الأبيض من الخيط الأسود
أصرخُ منتشياً
تَهْدَمُ ، أيها الوضوح ، يا عدوي الجميل .

د . . . وسرتُ كأني الليل
— ما هذه الشموع التي تركض وراءك؟
— لعلها الشمس
لعلها الموت .

هـ . أعمالي باطلة
وأفعل دائماً كأني الحق .

و . تخيلتُ أنَّ لدوّار الشمس عينيْن وأنه يرى
قلتُ : أنا كذلك دوَّارُ الشمس
خرجتُ من حدِّ الحيوان إلى حدِّ النبات
هجرتُ مملكةَ الدم إلى مملكةِ الشيء

استوت لديك الأشياء يا دوار الشمس

المجد نمل

العائلة كهف

التاريخ دكان توابل .

وانحزت إلى الشهوة

وجئت من جهة الجسد والطبيعة .

— إذن ، أسألني الآن :

ماذا يملك الإنسان غير موته؟

يمحو وجهه - يكتشف وجهه
لم تكن أمه تعرف صنيين وهي التي قرأته
حجراً حجراً

اخرج ، أيها الطفل ، إلى الحجر
كل شيء يقودك إلى الحجر
الرمادي الأبيض الأحمر الأسود الأصفر الأزرق
الخمري الجادي

يهيم ينطوي
يتكئ يظماً
يتأمل يبحث مثلك
وحيث يلتصق بجذع شجرة أو بعشبة
يتنسك أو يشبق ،
يتصاعد منه بخار التنهدات
أو يتسلل وينأى مثلك

وحيث يجد نفسه وحيداً لا يقدر أن يتحرك
يستدعي إليه الجهات الأربع

والعمق والعلو
ويقول لما حوله أن يترقرق سراباً أو ماءً
يُخَيِّلُ لنفسه أنه يتقمص النرجس
وأن ظلّه يعانده
وأنه يودّ أن يتحدّ بظله مثلك
وحين لا يقفز حوله عصفورٌ
ولا يسمعُ همساً أو ركزاً
ولا يرى إشارة أو تلويحاً ،
يتّجهُم ينقبضُ يارق
تضيقُ حنجرتَه
يتحفّزُ ليسافر ليضيع
في دُوارِ الكدحِ والمرارات مثلك

وحين يرى ما حوله يتكلّم ويصيرُ بأسنانه
يحلم أن يتحوّل إلى فراشةٍ
ليكونَ له أن يستبشر
لأنّه صار في مثل هاشاشتها
أكثرَ قابليّةً لأن ينسحق
ويهلك بغتة
عَفْواً

مثلها مثلك

وحين يكونُ موحشاً
ليس أمامه غير الشمس
خشبة هذا العالم ومسرحه ومسرحياته
والممثلين ، يَدْخُلُ في دورِهِ
الهزليّ
الفاجع
الماجن
يداهن يصانع
يَطْعَن يداري
يتحقّق يتوهم
يُظَلِّم يضبيء
مثلها مثلك
وحين لا تمسك به يَدٌ
أو تنظر إليه عين ،
تنفجر في أعماقه الحرقه
يحنّ إلى الدخول في الرعب كريشة النسر
رعب الأعالي
مصاريع الفضاء

الأشباح
التي تتزيًا بقلانس تشبه
رؤوس العصافير مثلك

الحجر مثلك
يمتزج بالغبار والضوء
يطرد الوجع وأطباق الدمع
يجعل النظر سيفاً أو رمحاً

حجرٌ يتلألاً يجذب
يقول للوجه أن تنور فتنور
للجسد أن يشطح فيشطح

حجرٌ بخارٌ في النهار
غبارٌ ضوئي في الليل
نومٌ على العين
دوارٌ تحت الرأس
صديق الحُبلى
ويوم تلدُ
يجلس بين ندييها

حجرٌ يتدلَّى من عنق شجرةٍ ليملتصق ثدياها ويكثر ثمرها
ينمو في صدر غزالةٍ لتتزوج الريح
حجرٌ تراويقُ
طلاسمُ

الأسود قدرةً وسلطان
الأصفر جسرٌ لكل شيء
الأغبر كحلٌ امرأةٍ على اسم رجل
رجلٌ على اسم امرأةٍ

حجرٌ يفرز الشهوة
حجرٌ لا يغوص في الماء
حجرٌ يحارب النار
حجرٌ يلتف به الحزين
ينختم تزول أحزانه
حجرٌ ينخلخل يخرج منه فضاء
وتخرج الرياح
حجرٌ يجلس تحت اللسان لكي لا يسكر الرأس
حجرٌ منذورٌ لشهوة التيه مثلك مثلك

أندرك أيها الطفل لشهوة التيه
لتيه الشهوة .

رقعة من شمس البهلول :

دخانٌ يَتَنَكَّسُ

يتحامل على الهواء

لا يقدر أن ينتهي لا يقدر أن يبدأ

البحر يرفض البحر

الصحراء تنفي الصحراء

وللشمس أجفانٌ من الشمع .

رقعة ثانية :

قلت مرة :

ذهبَ الحبُّ بقي الجرح

قلت مرة :

أيتها الخطيئة - البراءة

أسميك أسمائي أرسمك بوجهي

إذن :

افتحْ شبابيكَ العافية واسمَعْ ضجيجَ الأرجل

ثمّة هواجسٌ يتكئ عليها المشردٌ ويسير في الأزقة

ثمّة نهودٌ شفاهٌ يتوضأ بها

والشمسُ إناؤه الذهبي

إذن :

اقرأ فاتحة الألف

مُدَّ يديك وأخرج ما يتراءى

ادخل إلى مدارك واجلس في عبادة الحال

أنت السائح

لا ملك لخطواتك إلا جسده

وقلت مرة :

أنا الذبيح وليس من يخالطني

وقلت مرة :

لونِّي الثلجُ

وأسير متوجاً بالشمس .

نعاذم :

أ . «نستدعيكُ

أيها القوي الذي حملته أمٌ فقيرة
وولده سرّاً من أبٍ مجهول
وضعته في سلّةٍ طرحتها في دجلة
لم تفرّقها مياهه
أخذك التيار إلى يستاني
انتشلك
وربّنا كأنك ابنه
أحبّتك عشتار
وأحبّبت الشعوب
نستدعيكُ :
الشعوب كلها في سلالٍ من القش
ولا ماء
بل نار . . . »

ب . «مُت؟

— موتي مخبوءٌ في المحيط
في المحيط جزيرة

في الجزيرة شجرة رمان
في جذر الرمانة صندوق
في الصندوق علبة بهيئة يمامة
في العلبة كتاب
في الكتاب كلمة -
من يعرفها ويتفوه بها
يعرف متى أموت
لكن ، هيهات
هيهات . . .»

ج . - كانت الأرض دجاجة تبيض الذهب
ذبح الدجاجة وأكلها»

د . «تقدم ،
أسرغ أيها الثور الأسود
اضربوا وجهه بالملح
غطوا عينيه
واسألوه :
هل النفس في البدن أو البدن في النفس
أو
هل الشمس في الفضاء أو الفضاء في الشمس؟

لم تكن الأرض جرحاً
كانت جسداً
كيف يمكن السفر بين الجرح والجسد ،
كيف تمكن الإقامة؟

أخذ الجرح يتحول إلى كلماتٍ
والجسد يصير سؤالاً
.. وانكسرت عشبةٌ طلعت من ساقها فراشةٌ
طلعَ من رأسها برعمٌ بلون الشهوة
أضفتُ عنصراً لعنصر
مزجتُ الورقةَ بالجذع
الغصنَ بالطَّين
وقلتُ : من هنا يَجِيءُ المستقبل .

هكذا تنمو أشجارٌ تشبه البشر
ينمو بشرٌ يشبهون الغيم
وقلتُ : لي عرش صنيّين
لصنيّين سلطة الغيم

وأخذ يرنّ كالجرس
والشمس وراءه عنزة شاردة .

كانت الشمس تستدرجني ويغويني ماءً فيها
قلت أنزل بين الأغصان في موسيقى التفاح والكرز
وجاء صوتٌ من جهة الكرز
ووفدت قمة صنين عاريةً
(صنّينُ جسدٌ يكسوه الغيم تعريه الريح)

ضعوا خشبةً
ليتقدّم ذلك الواقف
جلستُ أنظر
قمت مشيت حافياً تحت مطرٍ يضحكُ
والهواء قصبة تبكي
سمّيت الفضاء قدماً واتجهت نحو الطريق
«متى يبلغ العتبة» سمعت الريح تسأل الريح
«متى توضع الخشبة» سمعت الحجر يسأل الحجر
متى يخرج من اليوم
هذا الطالع كالعددِ وأسماؤه النار؟

لماذا تشحبُ ، أيها العالم ، في عينيه ؟
هل وجهه يُحيرُ ويُعشي ؟
انصدغ
تشقُّق ، أيها العالم ، وأهْرِ
أنت الورقُ وهو الشرارة
والجنون يلغم أحشاءه

غَنَى ، كما غَنَى أصدقاءه الصعاليك بين مكة ودمشق :
يَدُكَ ليست لك لتقبض عليه
عينك ليست لك لِتراه
يسكنُ مكاناً غير منظور :
الحرية .
أنت تعتقلُ الوهم
وهو
هنيئةٌ هنيئةٌ
يعتقل الزمن
ويرميه في حوض كلماته .

هل الريح تهرم ؟

هل يتخبط الأفق في بيت عنكبوت؟

كان صنيّن يسمع ويرى
لم يتكلم تكلمتُ أشياءه
حين سمعتُ سلامَ الحجر
هرولتُ وأخذتُ أرتطم بالحصى .
انحنيتُ الملمه
سمعتُ غناءه في كفي
سمعتُ حنين شجرة يرتعش جذعها أمامي كالخوض .

قالت الشجرة : اقتربْ قالت قدماي : تباطأ
ورأيت صنيّن ينام في سحابة
وسرعان ما استيقظ
ويبين عينيه أحلام تشبّهت لي أنها أحلامي .

أحلام :

أ - «ينبجسُ مني ماءٌ يسقي شجرةَ رمانٍ تصيرُ امرأةً

تخرج إلى جانب البحر

معها غَزَلٌ

فيه عقدٌ تشبه السلم

قالت كلماتٍ وصعدت

كانت تضع قدميها في الخيط

وتصعد

حتى غابت» .

د - «سرتُ والمطر رذاذٌ بيني وبينه وميضٌ يشبه الصوت

كنت ألبس الأسود

كانت السماء تلبس الرماد

باريس برج إيفل كنيسة السان جرمان سرنا

باريس وأنا

كما تسير الغيوم في السماء

انصهرنا باريس ، الغيوم وأنا

في عصفور

جسده فضاء

وجناحاه قوس قزح» .

و - «وجهٌ بكأها يبدأ سيرته الأولى (أهي قصَّابين ، أم هي امرأة؟)
من المطر البريء يتجه نحو الماء الوحشي
مددت جسدي إلى نهريها
ارتجفت أسماكه
عرفت أن أحزاني خارج الضفاف
وليس لجلدي وسوسة .
حملتُ فقيري وعدت
نرداً يتدحرج على سلالم الوقت
عصفوراً يجمد في قبضة الريح
زهرةٌ تختنق بين الحجر والحجر
أعيريه قدميك أيتها الدرب
الطفل يتعثر
وبين قدميه تحرنُ أحصنةُ الشوك» .

ن - «ركضتُ في منعطفٍ
خططتُ بيدي خطأً جلستُ فيه أتمتم كلماتٍ
تعلمتها في طفولتي
عَشِيتُني سحاباتٍ سود
حجبت عني ما حولي
سمعت فيها أصواتاً

رأيت عظاماً تتناثر وتبكي
وسمعت شجرة تقول : هذه ليلة الوسوسة » .

ي - « بئرٌ أقترَب لأشرب
طلعت امرأة قالت بلهجة أمرة : تزوجني
تزوجتها ، وكانت ...
بعد هنيهة ، قالت :
سأعود حيث تركت نفسي » .

س - « وقفت يدي على رأسي تحمل فأساً
أخذت تهدمني كأنني جدار
ثم جاءت يدي بنتني عضواً عضواً
وسمعت صوتاً : أنت الآن لا ينحجب شيء عنك
وخيل إليّ
أنني أدرج الظلمة بأصابعي
أراعي الشفق وأراعي جناحي
أبقى أياماً في حال الفناء
يغمرني التراب
وينبت عليّ العشب » .

أ/أ - «جلست شمسي التي هي أيضاً شمس قاسيون
تقرأ الشعر قرب ضفة بردى
كدّرت عليها الضفادع بأصواتهن
قالت : إما أن ترحلن
وإما أن أرحل
في الصباح لم
تبق ضفدة
في النهر» .

د/د - «ليلاً
تخرج أمي إلى الهواء
تدعو القمر أو ما يشبه القمر
وتنام معه في فراش واحد» .
أحلم
كلمة تلفظني وألفظها
ويسكن كل منّا في طرف
أحلم
عادةً في أصابعي
قشعيرةً في قدمي
أحلم -
أنا الصخر يتدفق منه ماءٌ يقول

أبكي من الفرح

أبكي من الحزن

أحلم -

أشطر الكون

أراه جانبياً وأستريح

لكنني لهبٌ وليس لي زوايا

أحلم -

لماذا أحلم دائماً أن أدخل في غير الممكن؟

الأنّ دمي شبيهٌ بالحلم ، أم لأنّي الموت؟

رقعة من تاريخ سري للموت :

فَقَدَ المكان والأثر

يكاد أن يفقد جسده

هو ، الآن ، رقيمٌ تنتقش عليه طلاس

كديب النمل :

وأنتِ أيضاً ترفضينه أيتها اللغة ؟

رقعة من شمس البهلول :
ليس الرأس في الرأس بل في السرّة
غالباً يكون بين الساقين
أحياناً يذهب الشتاء ويبقى الصقيع
يجيء الربيع ولا يجيء الزهر
أحياناً يكون أيلول الخريف أيار الصيف
من الهباء يرتفع جسر الشمس
من المطر تجيء جذور الوحل .

رقعة ثانية :
أعطيت لوجهك الصمت
لقدميك الكلام
لذلك اصطدمت بالجدران
واصطادك فخ
هيهات أن تُقلت منه ، هيهات ...

رقعة ثالثة :
يلحق بالفضاء

يعيش عيشة الغيم
لأيامه رائحة لا يعرفها من ملائكة الجسد غير الطبع .

رقعة رابعة :
لأنه يقف مع الجذوة وهي تتلاشى
تسكنه نشوة الغابة
لأنه يستسلم إلى ما يراه
يجد نفسه دائماً خارج أسواره
يلبس حريرة التراب ويختار أعشابه
لأنه يعرف كيف يعري الشعاع جسد الورد
يستطيع أن يكسوها
لأن جسده يوقظه
يتخذ الموت سريراً ويتوسد الليل
لأنه يعيش مهجوراً
يعرف أن يتسبج بالضوء
ويؤمن الريح أن تكون هندسته وأرقامه
لأنه يدهش
ينتظر من يقتله مشدوهاً به
لأنه ينجح دائماً
يفشل دائماً

مندور
لكي لا يكون إلا طيفاً
مندور
لكي يستبق ويُقال :
خطواته ليست له .

رقعة خامسة :
ظنُّ أن الدائرة اكتملت
أنَّ لهُمومه قطباً آخر
لماذا تجيء بعده أيها الحزن؟
يعتذر إليك يا أبجدية
ويقول لا نعم لا
ويرتمي
يبسط راحة يده
يجلوها مرأةً يحدق فيها
يسأله نفسه :
من أنت أيها السيد؟
من يقول لأدونيس من هو؟

رقعة من تاريخ سري للموت :

يسأل لا جواب ، فليكسر مرأة نرسيس
مرأة نرسيس ظلٌ كيف يكسر الظل؟
لكن ، حين سأل
عرف أن الإشكال أكثر إبانة من الإبانة
عرف أنه مكشود بالفتنة مشبوب لها
عرف طسم
عرف أنه المنادى وأنه ينصرف
عرف أنه عادة ثانية وطبيعة خامسة وزمان رابع

لهذا
ولأشياء يرجع ذكرها
وصف نفسه أنه الشرق

لهذا
ولأشياء نسيها
سكن في لذة الخطيئة
وأخذ ينشر علم الشهوة

لهذا
ولأشياء لا يذكرها
نزح إلى الظنّ
ولا بسّ الحيرة .

من الرغبة والقصد
 رَكَبْتُ مَاهِيَّتِي
 مستقلاً ولي مُعِين
 تَاماً وبِي نقص
 طَالِعاً وبِي غروب
 منظوماً وكَلِّي انتشار
 مقبولاً وما من أحدٍ إلا ويرفضني
 قريباً ولا علامة لي
 من الرغبة والقصد
 رَكَبْتُ مَاهِيَّتِي
 بعضي كُلِّي
 ظلامي نوري
 مهجوراً لا أستوحش
 موصولاً لا أستأنس
 آمناً ولا طمأنينة لي
 مَلِكاً مُلْكِي اليأس -
 من الرغبة والقصد
 رَكَبْتُ مَاهِيَّتِي
 يقيناً وظناً في صحنٍ واحد

تصريحاً ، وشهادتي الرّمز
وقلت لعبادتي أن تكون بحثاً
وأن تكون جسمانية
وأن أُخزَنَ فيها
حيث يكون مُنْقَلِبي
وأبلغ أقصاي

أكتب الأمور التي هي من جنس ما لا يُكتب
والتي ليست من جهة العادة
ولا من جهة ما يذكر
ولا تكون أفكار
بل شغف
ولا تكون حاجات
بل هواجس ورغبات
حيث يكون من أسمائي
ما هو مُظْهِر
وما هو مُضْمَر
وما هو مُشْتَقٌّ لا يأخذه الحصر

حم ، ألم
حيث أفرغ قلبي من أخبار الغير
أمحو الحدود
أقيم في المطالع
أغيب كثيراً أحضر قليلاً
لكي أحضر ولا أغيب
وتكون أشيائي مرموزة
ولست أنا من ينطق بها
بل
حم ، ألم
ولست أنا من يكتب

لا أكتب أهذي بحالي وشأني
أقول ما يغلب علي
وما يجذبني إليه جسدي

لا أكتب
أعلن تأويلاً لجسدي
وأغرق في خلافٍ معه
أو سوء تفاهمٍ

وأعلن شراييني أعراضاً للكتابة

لا أكتب

لماذا كلما أوضحتُ ازددتُ غموضاً؟

لا أكتب

أنا المرضُ والكتابة سريري

لا أكتب

أبتكرُ المباهجَ وأشياءَ اللذة

أقذفُ بأهدابي إلى الأمام

وأنسى ذكرياتي

لا خير لا شرَّ

لا شيء غير هذه الحركات الصعبة السهلة

البطيئة المسرعة

الحركات التي تشعّ من أعضائي

طينة واحدة كيفما شاءت

الخير شرٌّ بلونٍ أبيض

الشر خيرٌ بلونٍ أسود

ولكل كلمةٍ جزئٌ

فيه نستحِمُّ ونعيدُ

وأنسى وأصحّحُ :

أنسوا تصحّوا

لا أكتب

أتحد بقشرة النهار
لأكون الصورة والشكل
لمعنى
هو الموت ، حقاً

لا أكتب

أتغير
أغير ما يغيرني
غموضاً ، حيث الغموض أن تحيا
وضوحاً ، حيث الوضوح أن تموت

لا أكتب

أستسلم كالطبيعة للخفير
أختبئ وراءه
وشئ تردّد
رقش احتمال أو شك
أستسلم للبشرة
الشكل
الصوت

أستسلم
وأرجى المعنى

لا أكتب
أتناسل في غبطةٍ جديدة
هي غبطة أن أعرف حين لا أعرف

لا أكتب
أختبرك أيها الجسد
الاحتمال ، الظل
الظاهر ، ما يلوح ، الأرجح
الهيئة
المسطح عمقياً
أيها الجسد - الماء
تنزل في مجراي تستقر
تصعد إلى محيطي ترسب
أصل إلى الحق فيك
أتحقق أن الجسد هو أيضاً حيث اللا جسد

لا أكتب
أختبرك أيها الجسد
أعيد ألح أكرّر
أزن أحوالي بأنواع الكم والكيف
تحيلني إليك
أنت مرّة جمود أجزائي
أنت مرّة غليان أجزائي
هذيان يقول : الخير كله في مجرد الحياة
هذيان يسأل :
متى صَحَّ اللاجسد لكي أعول عليه؟
فشلتُ في نسبتي إلى الألف
متى تنتهي نسبتي إلى الياء؟

لا أكتب
حجبتني أيها الجسد بي
عجبتني مني
وكلما ازددت يقيناً أن جسدي آفة جسدي
تطيّبتُ بهوائي
أتلهفُ عليّ بي
أرجع إليّ مني

لا أكتب

قلبي يلتوي عليّ
أجمع بينه وبين شفتي وعينيّ
أستغيث
وأهتيم أحشائي
وأعرف أنني لا أعلم
لكن ، من أين أتعلم؟
وأنتي أعلم
لكن ، كيف أتكلم؟
وأنتي لا أتكلم
لكن ، لِمَ وكيف أستسلم؟

لا أكتب

أتشوق إلى ما لست منه
أنتسب إلى ما ينفييني
أعلن الخيبة راحةً وأقول : اليأس أحرى
وكل ما تبقى خَزَفُ
والخَزَفُ شاهدي
يشهدُ فيّ
ويشهدُ بي

ويشهد عليّ

لا أكتب

أعانِد نفسي كأنني عدوي
وأنتظر فاجئة الغيب
مثلك ، أيها العصر - الجسد
العصر - الجسد
أتناثر
أجدُ فيك ما أجده فيّ
بالأمرّوضاً
وسراً أكثر وضوحاً من العلانية
مثلك لا الإشارة تصدّق
لا العبارة تتحقّق
وكلّ مستقيمٍ معوجّ

لا أكتب

أنا الفأس أحفر أنحائي
أنا الأرض - مكتوبة
أعرف ما أنتم فيه

ولا تعرفون ما أنا فيه
وكل شيء يحول بيني وبينني
بينني وبين ...

ورممت نفسي
وصرت أحصن
حصن
بينني وبين ...

لا أكتب
أنا الخطر
بحر لا أتبع لا أقود
وأضل حتى نفسي

لا أكتب
أنا خطبك الأخضر، أيها الجنون
أقذفني في قعر الهاوية واستبقني
حيث لا يقين
لا شيء

حيث يُنْقَرِضُ ما كنت
يُنْدِرُسُ ما أنا
حيث اليباس في القعر النبع في القعر
حيث تتلابس و/ أو تتناهب
أنا حرفك الأول
أنت كلامي الأقصى
وأعود من الهاوية
قميصاً آخر
أرتب أيامي بتخطيطٍ آخر
لأشياء الشعر

لا أكتب
لماذا
كلما
أوضحت
ازددت
غموضاً؟

أمحو وجهي - أكتشف وجهي
أيتها الأبجدية البائسة
ماذا أستطيع بعد أن أحملك
وأية غابة أزرع بك؟

أتجر جر وراءك
أنا الجذر الوحشي

بين قدمي آسيا
حيث تعبر أفراس لها أرداف النساء
وكواكب تقطر البخور والتوابل
حيث السماء تمطر الجثث والآلهة

وأنت ، أيتها الأشلاء الباقية من أحلامنا
تحوم حول صيوأتنا
أجسادنا تُتوء الطوفان
وليس في أنقاضنا غير المحيطات
والآن أول البحر
أنا الصارية ولا شيء يعلنوني

والآن أول الأرض .

(بيروت 1973-1975)

أعلم وأطيع آية الشمس

1

أحلمُ وأطيع آية الشمس آتياً في سديم الإشاراتِ ، -

حدائقُ النّحاس	من أين للملك الهرم
شمسٌ تتلّو	أن يحمل القمر على
تذياً للرغبة وتذياً للمحزن	كتفيه؟
فيضٌ ينزل	ولم يجلسُ خان الخليلي
من دفاتر إملاء	على مقعدٍ واحدٍ
ملأى يبشرُ يكتبه جنونُ الأرجل	مع الحلم؟
في نسيانٍ أكثر بهاءً من التذكر ،	وما لسقوف الخشب
	في شارع الجمالية وشارع
	الذرب الأحمر ،
	يكاد أن يغلبها النعاس؟

وفيما كنتُ أتكنى على أنفاس المشاة وجلابيبهم ،
كنتُ أعانقُ الظاهر لكي أجاور الخفي ، وأستسلم للواقع لكي يأخذني
التخيل في انهيار جوفي في اضطراب تلف وتدمير ومن النفايات
وصناديقها من الواح الألمنيوم وأدوات المعدن من البضائع وناقليها كانت
تعلو هممة تنحبك نسيجاً يطوف أو يضطجع في أسيرة

يحملها الهواء

رأيت الموت شاباً ،
وأصغيت إلى أصوات
تكرز : الفكر أن تحلم ،
والحياة أرغن من الغبار ، -

خطواتي تعزف على أرغن الغبار ، والخيول التي تُرابط في مخيلتي تنطلق
في تيه أخضر ، - أكشف عن مسرحك ، أيها الواقع ، واصنعني كبخر يصنع
أمواجه /

المكان ليلة القدر ، -
أسافل مثقلة بالأعالي
ركب تسجد لكي تلامس السماء
والوقت زغب في جناح المكان وعثة أنشراح
في حنجرتي ،

أترك لايزيس أن تفتح قميصك ، أيها الوقت
أترك لأصابعها أن ترتق هواءك الذي تنفق أطرافه ، وأذخني في طقوسك ،
نحن شبيهان في الإثم ، -
الشهوة محيط والجسد أكثر مما يطيق الكلام ،
وهما هو الفضاء سحر أبيض -

يكفي ، لكي تتأخر مع الذكر ،
أن تجلس على صفة النيل .

رَا ، أَنْتِ الْآنَ غَيْرُكَ وَبِقَدَمِي تَمْشِي
رَا ، حَقًّا الْمَنِيَّةُ هِيَ الْعَجُوزُ وَالْحَيَاةُ أَبَدِيًّا عَذْرَاءُ ،
وَالسَّلَامُ لِهَلِيُوبُولِيسَ الْكِتَابِ الْجَامِعِ الْجَامِعَةِ الْأُمِّ .

2

دُرُوبٌ تَنْحَدِرُ مِنْ أَعَالِي التَّارِيخِ تَرْبُطُ خَوْفُهَا بِالْمُعَزِّ ، وَأَسْمَعُ كَلَامًا يَجِيءُ
مِنْ أَبِي الْهَوْلِ : أَنْصَبْتُ فِي الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِلَى تَشَاوُمِ الرَّأْسِ
وَتَفَاوُلِ الْقَلْبِ ،
وَأَمَضِي حَيْثُ الْمَوْتُ يَنْخُورُ يَعْطُرُ الْحَيَاةَ .

إِيزِسُ ، أَتَبِعُ شِعَاعَكَ ، -
أَنْخَرِطُ فِي سِلْكِ ابْنِ عَرَبِيٍّ لِأَتَقِنَ التَّسْمِيَةَ
وَأَسْمِيكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ،
النَّبِيلُ يُلْقِحُ لِفَتِي ، وَأَنَا الْيَوْمَ
لَوْتَسُ وَغَدًا بَرْدِي . وَلَسْتُ أُحْيِي
الرَّايَةَ وَالْحِكَايَةَ ، بَلِ التَّنْدِي
وَالسُّرَّةَ ، وَأُحْيِي اللَّقَاحَ ، -
رَا ، الْبَرْدِيُّ شَاهِدُ أَخْضَرِ :
اللُّغَةُ لِإِيزِسَ وَالْحُرُوفُ لِقَدْ مُوسَ .

وَأَقُولُ : الْبَيْتُ
الَّذِي نَسَكْنُهُ مَعَكَ فِكْرَةٌ لَا حَجَرَ ، وَأَقُولُ : بِاسْمِكَ لَا عُمَرَ لَنَا وَبِاسْمِكَ
نَلْبَسُ قَمِيصَ الْهَوَاءِ .

أيها النيل الشَّيْخُ النِّيلُ الطَّفْلُ ، مثلكَ أجمعُ إليَّ أَقْطاري مثلكَ أَتَّخِذُ من
إيزيسَ والمتوسِّطِ حَوْضاً لطَّبيعتي ، مُلقياً رأسي في أحضانِ السَّرِّ ، -
رَا ، الشَّمْسُ ذَاكَرْتُنَا ، وجذُرُ الأسرار لا يزالُ يتأصَّلُ وينمُو
رَا ، الكلمةُ بينَ يديكَ سَفَرُ والوردَةُ وطَنُ
رَا ، الزَّمَنُ الِوراءُ ووجهكَ الأمامُ وكلَّ إِيَابٍ ذِهَابُ .

3

لَنْ أَقُولَ تَوَقَّفْ لِلْهَرَمِ الَّذِي يَتْبَعُنِي إِلَى بَابِ زَوِيلَةَ ، -
لِمَاذَا يَتَمَثَّلُ لِي صَبِيحاً أَلْتُغِ يَعْمَلُ
بَاقَةً مِنَ الْبِنْفَسِجِ؟
وَلِمَاذَا يَسْبَحُ مِثْلِي فِي الْغَيْبِ؟
لِيَجْلِسَ إِلَى جَانِبِي فِي الْمَقْهَى ، وَلِيَتَكَلَّمَ ، -
النِّيلُ ، -

هائِةُ
تَمَوِّجُ
الْحَبِيرَةِ
فِي أَحْوَالِهِ .

فِي جَسَدِ هَذَا النُّوتِيِّ يَسْتَانُ وَرْدٍ تُسَيِّجُهُ التَّنْهَدَاتُ
وَذَلِكَ الْفَنَارُ حَلَمٌ يَشْتَعَلُ فِي آرْدَافِ امْرَأَةٍ حُبْلَى ،
وَوَظَنِي أَنَّ الْخَبَرَ ، مَمْرُوجاً بِالتَّعَبِ ، أَجْمَلُ قَارِبٍ فِي هَذَا الْمَوْجِ
وَمَا هَذَا الْمَاءُ الَّذِي يَنْبِذُ أَوْفِيلِيَا وَيَعشَقُ هَامِلْتَ؟

ميدان التحرير 1 ، -

شَبَّحُ يَدِير طاحونَ ملكه بِجَدولٍ يَنْبُعُ مِنْ عِيونِ النِّساءِ
وَلِلشَّمْسِ بَشْرَةٌ عَنْكَبُوت .

القرافة ، -

لا الموتُ ، بل هُوَ الجَسَدُ يَتَمَسَّحُ بَيْنَ الْعَتَبَةِ وَالشَّاهِدَةِ ، وَثَمَّةُ أَشْخَاصٍ
يَتَجَمَّهَرُونَ ، كُلُّ يَحْمِلُ نَعْشاً يناديه يا سَرِيرِي .
وَكَانَتِ الشَّمْسُ تُتَرَجَّمُ نَارَهَا ، وَالطَّبِيعَةُ تُعَرِّي ثَدْيَيْهَا
عَصِياناً يَخْتَشِدُ فِي أَعْضَائِي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَعَالِجُهُ ، -
أَهْبِطِي يَا مَلَائِكَةُ .

بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، -

لَنْ يَكُونَ الْقَمَرُ ، هَذِهِ الْمَرْءَةُ ، الْوَلِيُّ عَلَى اللَّيْلِ .

جَامِعُ السُّلْطَانِ حَسَنَ ، -

الْحَجَرُ يَرْوِي إِعْجَازَهُ

إِبْقَاعاً تَخَاصُمُ فِيهِ اللَّحْظَاتُ ،

نَقْشاً يَدَجِّنُ الشُّهُبُ

مِنَ الْأَسْمَالِ
يَنْسَحُ بُرْدُ التَّارِيخِ

أقواساً تجمع المَلَذَّات
في أحجارِ قصائد ،
والخطُ يفهرِسُ النظر .

مَيْدَانُ الحَسَيْنِ ، -

مِنْ الحَكْمَةِ أَنْ تَظَلَّ غَرِيباً
لكيْ تَدْخُلَ تَحْتَ قَبَةِ المَعْنَى ،
هَكَذَا تَلْبَسُ المَصَادِفَةُ ،
وَتَتَّصِلُ فِي ضَرْبَةِ التَّرْدِ .

من الثُّقُوبِ والحُفْرِ ،
تَخْرُجُ أَشْيَاءٌ لَا هَوِيَّةَ لَهَا
تَكَرَّرُ بِالْعَرْشِ .

الْقَلْعَةُ ، -

بَشَرٌ يَكْبُرُونَ تَحْتَ النِّعَالِ طَمَعاً بِجَنَّةٍ مَا ،
بَشَرٌ يَلْبَسُونَ السَّلَاسِلَ احْتِفَاءً بِالمُسْتَقْبَلِ .

شَارِعُ المَعْرِزِ ، -

تَخْرُجُ عَرَبَاتٌ وَأَحْصَنَةٌ ، سِوْفٌ وَتِيْجَانٌ تَتَلَوْنَ عَلَى الجُدْرَانِ ، أَوْ تَتَحَوَّلُ إِلَى
نَوَافِدَ ،

عِمَارَاتٌ تَنْقَلِبُ إِلَى سُرَادِقَاتٍ لِلْجَذْبِ وَالتَّبْذِ ،

أَنْيُنْ يَحْفَرُهُ الصُّمْتُ فِي جَسَدِ الْفَضَاءِ
 الْمَهْمَازُ حَاكِمٌ ، الْحَاكِمُ كَرْسِيٌّ ، وَالْكَرْسِيُّ مَقْبَرَةٌ - وَلَنْ يُدْهَشَكَ هَذَا
 التَّحَوُّلُ إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ عَتَمَاتِ التَّارِيخِ .
 قَبَّةُ قَلَاوُون ، -

التَّارِيخُ حَزْمَةٌ مِنَ الْقَشِّ
 وَنَمَّةُ أَنْفَاسٍ تَحْوِمُ حَوْلَ شَجَرَةِ الْعُمَرِ كَمَثَلِ أَغْصَانٍ عَارِيَةٍ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَحْتَفِلَ
 إِلَّا بِطَائِرِ اللَّيْلِ .

مِيدَانُ التَّحْرِيرِ 2 ، -
 خُطُوبَاتٌ تَتَوَالَدُ مِنْ هَذِيانِ الْحَكْمَةِ ،
 قُلُوبٌ تَنْبُضُ كَمَلَايِينِ الْأَجْنَحَةِ فِي غَابَةِ بَلَاءٍ تُخَوِّمُ .
 الْأَهْرَامُ ، -

وَقَدْ عَرَّافِينَ وَفَلَكَيِّينَ يَتَقَدَّمُهُمْ فَيَنَاقُشُهُمْ فِي ضِيَاغَةِ أَبِي الْهَوْلِ
 نَجْمٌ تَخْلُجُ سَرَائِلَهَا لِكَيْ تَسْتَلْقِيَ بَيْنَ ذِرَاعِي أَخْنَاتُونِ
 جُنُودٌ يَعْصُونَ الْقِيَصَرَ وَيَمَجِّدُونَ كَلِيوبَاتْرَهُ ، -
 لَكِنْ ، مَا هَذَا الْحَشْدُ الَّذِي يَقْتُلُ طَهَ حُسَيْنَ وَعَلِيَّ عَبْدَ الرَّازِقِ ؟

ولماذا يشيخُ كلُّ شيءٍ والجديدُ الكرسيَّ والمائدة؟
 را ، إليك اعترافي : السماءُ للشرطي .
 هل ستذكرني بعد أيها الحاضر؟ إذن ، لك أن تقول : عاش خاتماً
 وبيته الأقي .

الأزهر ، -
 أعشقُ هذا اللطف - الهواء الذي يهبُّ من شرفاتِ الحاكم ،
 ولن أسأل : هل كان يحكمُ بأمرٍ نفسه ، أم كانت روحُ الله ترفرفُ على
 جبينه؟

باب زويلة ، -

تاريخٌ تحفظه ذاكرةُ الهواء
 وتكتبه أقلامٌ لا تاريخٌ لها
 في إقليمٍ يحرسه الغياب .
 قليلاً ويأخذُ رأسك السيفُ الصديقُ ،
 يكفي أن تنظرَ إلى الرأس كما تنظرُ إلى ثمرة .

كافور ، -

المعدةُ في الرأس والكتفُ تحتِ الخاصرة ،
 النهار والليلُ يغيبان ويحضران لا ياذنُ من الطبيعة ، بل ياذنُ من الطبع ،
 وأراقبُ شاعراً يموتُ في جسدي ، وتعرفون مَنْ هو .
 فجأةً مدينةُ الموتى ، -

الحياة والموتُ صديقان يلعبان النرد ،
 ومُتْنَى مُتْنَى ، تسقط النجوم شاحبةً حولَ قبور العشاق
 الموتُ ياقَةٌ وكُمٌ ، ودغدغةٌ تحت الإبط . تماثيلُ تنهضُ كلَّ
 ليلةٍ تتجولُ اختفاءً بموتها الحي . موتُ / شهيقٌ بينَ الحياةِ
 والحياةِ . وتلكَ القبعاتُ التي تخجُبُ وتخفي والتي لم يَرها
 إنسانٌ بعد ، رأيَتها بأَمِّ عيني في مَدِينَةِ الموتى لَكِنْ شَهْرَزَادَ
 نفسها لم تُصدِّق . أحياءُ موتى ، أحياءُ ، — أحياءُ بالموت .
 مهلاً في آيةٍ خَلِيَّةٍ تتحركُ الآن ؟

اسراب
 حمام
 تستحم
 في ماء
 الموتِ

مَدِينَةُ الموتى ، — ابتكرُ أجنحةً لا لِكِي تطيرَ ، بل لِكِي
 تمسحَ هباءَ
 السَّمَاوَاتِ .
 قَمَرٌ
 يُوضوئُ
 مِن وراءِ
 شاهدةِ امرأةٍ
 هكذا انسلَّتْ من لَعْنَةِ الرَّأْسِ إِلَى نِعْمَةِ الْقَلْبِ ،

أُصْغِي إِلَى نَزِيفٍ يَتَدَفَّقُ مِنْ غِيَابٍ كَانَ قَدْ سَقَانِي إِكْسِيرَهُ . أُصْغِي إِلَى
 مَسَاكِينٍ تَكْتَحِلُ كُلٌّ فَجَرٍ بِشَرَابِ الْوَرْدِ ، وَلَا فَرْقَ فِيهَا بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ إِلَّا
 بِالْوَقْتِ . أَضْرِيحُ هَذَا أَمَّ بَيْتٍ؟ وَلِمَ الْقَبْرُ أَكْثَرُ أَبْهَةً مِنَ الْمَنْزِلِ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ
 الْجَسَدِ وَالظِّلِّ ، بَيْنَ الْعَتَبَةِ وَالشَّاهِدَةِ؟ وَمَا هَذِهِ السَّمَاءُ الْمَرَضُوضَةُ؟

مَوْتُ يَعْرِى ، يَجُوعُ ، يَتَسَوَّلُ . وَلَهُ عَذَابُهُ وَأَوْجَاعُهُ . وَلَهُ أَنْ يُنْزَهِ
 يَدِيهِ فِي رُقْعَةِ اللَّعْبِ . وَلَهُ أَنْ يَرعى الْحَيَاةَ وَيَسْهَرَ عَلَيْهَا . وَرُبَّمَا وَشَوْشَ ، —

ليست الحياة في الجسد ، بل في الحجر ، وليس الحجر إلا حِمَمَ بركانٍ
اسمه النائمون تحت التراب . وكلّ حيٍّ مبطنٌ بميت ، وكلّ ميتٍ لباسٌ
لحيٍّ . يا للموت - الخنثى / يالمدينة الموتى ، - أقربُ جنةٍ لأقربِ طريقٍ
نحو أقربِ جحيمٍ .

كيف أُوَحِّدُ بين طبقاتِ تاريخٍ يجري من سُرّةِ إيزيسَ إلى سريرِ شجرةِ الدّر؟
هل يكفي ماءَ النيلِ لكي أصنّعَ هذه العجينة؟ هل أحتاجُ إلى مِرْهمٍ نخليّ
يلائمُ فتوقَ الطّبع؟ هل يكفي أن أتركَ القمرَ يستولي على طباعي؟ وهل عليّ
أن أقولَ للحِبرِ: تُرأيها البخارُ وتوَجُّ رأسَ التاريخ .

4

«جلوسُهم على التراب» / «أميرُهم كواحدٍ منهم» - أفسحْ لِعَمْرٍو يا مَقوقس .
ابتهجي ، إيزيس ، بالتحول . ممفيسُ والفسطاط بيتٌ واحد ، والنيلُ أخٌ
لِزَمْزَم . وأنتِ ، يا شجرةَ الجُمَيْز ، شجرةَ العذراء ، انحنِي مِنْ جَدِيدٍ فوق
النَّبعِ وكوني الغطاءَ لِطِفْلِ يَسْتَحِمُ ، -

الألوانُ ثيابٌ تتجدّد ، والكائنُ هوّ هو .

لكن ، ما هذا اللَّيْلُ الذي تُقْتَلُ فيه النّجومُ . وما لِّلْوَتْسِ يكادُ أن يذبلَ في
سريرِ إيزيس . أهْيَ نَمَرَ لا ينضجُ هذه الإقامةُ على الأرض؟

وللهواء الذي تَتَنَشَّقُه طعمٌ ليسَ في التُّرابِ ، وليسَ في المَاءِ والمِلْحِ . كأنَّ
الحَيَاةَ ماثلةً والضَّوْءَ يعتزلُ صَدِيقَه الفَجْرُ .

وتلك هي نِعْمَتِي - أنْتِي أَعَاشِرِ الكَارِثَةِ وَأَنْ لِّلتَّارِيخِ بَيوضاً حَائِثَةً تَحْتَبِي بَيْنَ
أُورَاقِي . الذَّرَّةُ تَبْتَكُرُ الحَاسَةَ والأَدْمَغَةَ والمَقَابِرَ ، وَأَنَا كَمَنْ يَعِيشُ فِي عَصْرِ
مَنْ الهَشِيمِ ، وفي أَذْنِيهِ هَدِيرُ الحَجَرِ وعَصْرِهِ ، -
الآخِرَةُ متاعٌ للدُّنْيَا ، والإنسانُ دودٌ على عُودِ .

كَلَّا ، لستَ أَيُّهَا الوجهُ إِلَّا قَنَاعاً ، -

هَلْ يَجْرِي نَهْرُ التَّارِيخِ مُعَاكِساً نَهْرَ الأَيَّامِ؟ هَلْ لِّلنَّهَارِ
هُوَ الآخِرُ بَاطِنٌ وظَاهِرٌ؟ ولِمَاذَا القَصِيرُ فِي الذَّهْنِ طَوِيلٌ فِي
الجَسَدِ ، والقَصِيرُ فِي الجَسَدِ طَوِيلٌ فِي الذَّهْنِ؟ أَلِهَذَا
سُمِّيَتِ الشَّيْخُ ، أَيُّهَا الزَّمَنُ ، وَأَنْتَ فِي المَهْدِ؟

إِذْ أَفْهَمُ هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ وَأَسْمَعُ مُحَالَهَا ، أَنْشَغِلُ بِشَمِّ الحَيَاةِ وَرَشْفِهَا ،

بِاخْتِضَانِهَا وَتَقْبِيلِ قَدَمَيْهَا . أَفْصَحُ عَمَّا أَزَاوِجُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
دَمِي وَعَمَّا يَلْتَبَسُ بِأَجْزَائِي . أَتَعَلَّمُ حِلَاوَةَ الدَّبِيبِ وَغَزَلَ العَقْلِ
وَعِزَّ المُجَاهَرَةِ . أُنَبِّذُ اسْتِفْهَامَ صَجَرِ الكَلَامِ الَّذِي يَسْكُنُ فِيهَا ،
وَأَخْذُ يَخْتَنِقُ حَرْفًا حَرْفًا . وَأَقُولُ : فَلَاكُنْ قَوْسًا تَصِلُ بَيْنَ
نُسُجِ المَدِينَةِ ورَأْسِهَا ، وَبَيْنَ إِثْرَةِ الدَّمِ وَخِيوطِ المَجْرَاتِ ، قَوْسًا

تُطَلِّقُ سَهَاماً لِنَسِيَانٍ هُوَ وَخَدَهُ الذَّاكِرَةُ ،
ثُمَّ يَطْيِبُ أَنْ أَخْتَرَقَ نَوَاةَ التَّارِيخِ وَأَبْدَلَ عِطْرَ الْأَشْيَاءِ ،
مُتَفَوِّهاً بِاسْمِ الْقَاهِرَةِ كَأَنَّنِي أَتَحَدَّثُ مَعَ الْحُبِّ وَرَحِيقِهِ الْأَوَّلِ .

— «أفندم» ، صوتُ يَاسْمِينٍ وَنُشْبَةِ النَّارِ دِينَ ،
ما هذا الفَرْخُ ،
وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ
لِأَنهَا نَفَرْتِي تَنِي : «أَنَا الشَّمْسُ» ، وَرَبِّمَا تَعَرَّفْتَ عَلَيَّ فِي يَمَامَةٍ بِنَتْنِيلِ أَحْزَانِي؟

وَتَمَّةٌ رَاقِدُونَ تَحْتَ أَحْزَانِهِمْ فِي مَا يُشْبِهُ الْغَضَبَ ، فِي مَلَكُوتِ أَوْهَامٍ
وَهَوَاجِسٍ .

الضُّوءُ نَفْسُهُ يَعْرِجُ ، أَوْ هَكَذَا شُبُّهُ لِي . وَأَسْمَعُ الْفَجَرَ يَتَسَاءَلُ : كَيْفَ أَوَاصِلُ
شُرُوقِي؟ وَقُلْ مَنْ الْجَالِسُونَ حَوْلَ مَائِدَةِ الْوَعْدِ ، وَالشَّمْسُ تَقْرَعُ أَسْنَانَهَا حَوْلَ
أَذَانِهِمْ؟ سَيْفٌ عَلَى لِسَانِي ، رُمَحٌ بَيْنَ عَيْنِي . أَهْوُ ثُلُجَ التَّارِيخِ يَنْهَمِرُ
عَلَى كَتْفِي؟ أَهِيَ أَفْرَانُ الذِّكْرِى تَتَأَجَّجُ؟ وَهَلْ سَتُظْمِرُ السَّمَاءُ عَسْكَراً
وَشَيَاطِينَ؟

أَقُولُ وَقَوْلِي رِسَالَةٌ . ثُمَّ أَلُوذُ بِالنَّيْلِ ، مُضْغِياً إِلَى صَمْتِهِ — عَالِياً ، كَأَنَّهُ نَشِيدُ
لُغَةٍ لَا تُسْمَى .

5

أَخْلَمُ وَأَطِيعُ آيَةَ الشَّمْسِ ، —
لَا الرَّائِدُ لَا شَرَابُ الْأَتْرَجِ لَا مَاءُ الْوَرْدِ

الحَيَّة

«يأخذُ جلدَها يحرقُه ويبخرُ أحواله» - في قَبَابٍ في مقاصيرٍ في
نوافذَ

في أفاريزٍ في خلواتٍ في تكايا في نقوشٍ في أشكالٍ ثلاثيةٍ
مربعةٍ

خُماسيةٍ مثمَّنةٍ أسطوانيةٍ
في زهرةٍ كَتَانٍ يتعبُ القمرُ ويخرجُ من المشهد ، -

كُرسيٍّ يجلسُ فوقَه الصُّراخُ ، - ... / يجلسُ الشَّمسُ في قمقمٍ أصفر
الرَّايَةُ هيَ الرَّايَةُ ، واليومُ الذي يَصِلُ
لا يحملُ إلاَّ الجُوعَ .

سِتِّي زينبُ سيدي الشَّافعي سيدي البدوي
أنوارٌ تنطبعُ فيها الصُّور

لا تَقَعُ في شَبَكَةِ الشَّهْوَةِ
لا تَقْتُلْ عقلَكَ

لا تَشْرَبْ خمرَ العَفْلةِ
عُدْ إلَي صِبَاكَ عَنْ أَيَّهَا القُدَيْسُ الشَّيْخُ
صَوْتِي خَزَائِنُ والكَلَامُ يَعمرُ خَزَائِنَ أُخْرَى
... / يُفْرِغُ نَفْسَهُ
لكي يَمْتَلِئَ بِمَلَاكَ أَنْثَى .

كَلَامٌ

يَنْزِلُ عَلَى نَاقَةٍ مِنَ النُّورِ
مِنْ ثِقَلِ الْكَلَامِ ، يَتَدَلَّى بَطْنُ النَّاقَةِ حَتَّى يُلَامِسَ الْأَرْضَ .

ارْكَبْ يَا عَسَلْ !

خُذْ نَسْرًا وَبَطْنًا وَدِيكًا وَطَاوُوسًا قَطِّعْهَا وَخَلِّطْهَا اجْعَلْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
جِزْءًا مِنْ هَذَا الْخَلِيطِ وَأَتْرُكْ مَنَاقِيرَهَا بَيْنَ أَصَابِعِكَ أَدْعُ كُلًّا مِنْهَا
بِاسْمِهِ وَضَعْ أَمَامَهُ حَبًّا وَمَاءً انْظُرْ - هَا هِيَ الْأَجْزَاءُ تَتَطَايَرُ بَعْضُهَا
إِلَى بَعْضٍ وَالْأَبْدَانُ تَسْتَوِي أَدْعُ الْآنَ تِلْكَ السَّمَاءَ لِتَأْمَرَ كُلَّ بَدَنٍ أَنْ
يَنْضِمَ إِلَى رَقَبَتِهِ وَرَأْسِهِ وَأَتْرُكْ لَهَا أَنْ تُعْطِيَ لِكُلِّ مَنَقَارَةٍ وَانْظُرْ - هَا هِيَ
مِنْ جَدِيدٍ تَأْكُلُ الْحَبَّ وَتَشْرَبُ الْمِيَاءَ

حَوَّلَ

شَجَرَةٌ تَحْمِلُ الْقَمَحَ وَالْعِنَبَ الْعُنَابَ وَالتِّينَ وَبَقِيَّةَ الشَّمَارِ اقْطِفْ مَا
شِئْتَ مِنْهَا تَقْطِفْ رَدِفَ السَّمَاءِ

كَذَبَ الْهَذْهُدُ وَصَدَقَتِ الْحَيَّةُ

- (غَرِيبُ ! يُضَيِّفُ إِلَى الْكَوَاكِبِ اللَّوْبِيَاءَ ، وَالِى الْبُرَاقِ عَصَا مُوسَى)
وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ، يَجْلِسُ الزَّمَنُ كَشَيْخٍ لَا يَنْطِقُ إِلَّا رَمْزًا ،

وَأَنَا

يَسْتَوْلِي الْقَمَرُ عَلَى طَبَاعِي

وَقَلْبِي يَتَخَلَّجُ فِي جَوْفِي ، -
فَتَرِي عَطْرَكَ وَاغْمَسِيْنِي فِيهِ ، الْبَسِيْنِي وَاعْتَقِلِي أَوْصَالِي
مَرْمُوزَاتُ الدُّنْيَا هَارِيَةً
وَالْأَشْيَاءُ نُبُوءَاتُ خَرَسَاءَ

وَأَحْتَفِلُ بِكَ ، يَا مَدِيْنَتِي ، بِكُلِّ مَا لَكَ وَفِيكَ وَعَنْكَ وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ
أَحْتَفِلُ وَأَقُولُ لِلْأَزْمَنَةِ كُونِي لَيْلَةَ الْغَطَاسِ لِكُلِّ لَيْلٍ -

«أُسْرِجَ مِنْ جَانِبِ الْجَزِيْرَةِ وَمِنْ جَانِبِ الْفُسْطَاطِ
أَلْفَا مِشْعَلِ
غَيْرَ مَا أُسْرِجَ أَهْلُ مِصْرَ :
آلَافٌ مِنَ النَّاسِ ، مُسْلِمِينَ وَنَصَارَى ، فِي زَوَارِقَ ، فِي
دُورٍ تُجَاوِرُ النَّيْلَ ، عَلَى الشَّطُوطِ
لَا يَتَنَاقَرُونَ الْحَضْرَ ،
أَظْهَرُوا كُلَّ مَا امْكَنَهُمْ
مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ مِنْ آلَاتِ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مِنَ الْجَوَاهِرِ
مِنَ الْمَلَاهِي وَالْعَرَفِ وَالرَّقْصِ
إِنَّمَا أَحْسَنُ لَيْلَةٍ تَكُونُ فِي مِصْرَ وَأَشْمَلُهَا سُوراً
لَا تُغْلَقُ بِهَا الدُّرُوبُ
يَغْطِسُ أَكْثَرُهُمْ فِي النَّيْلِ

ويقولون إنه أمانٌ من المرض . . . » (المسعودي : مروج الذهب)

ولم يكن مكاناً لكافور

ولم يكن أحدٌ حارساً على الهواء ، -

أوه - ما هذا العالم الذي نفخوا بين سافيه الرُّبُقى
جَمْدَار أميرُ شَكَار جُوْكَندَار إِسْتَادَار
جَمَقْدَار بِشْمَقْدَار

طبولٌ أبواقٌ مَزَامِير

- ما رأيك في هذا العالم أيتها الخنفساء؟
- ما تقول في حُظوظنا ، أيها النسر؟

الآفة من فوق ، -

والتاريخُ غيومٌ تضحكُ في سماءٍ تجرُّها الرِّيح .

6

بينَ هِيرُودُوتَ وشَامْبَلِيُون ، بينَ الإسْكَندَرِ ونَابْلِيُون ، تُرْخِي مَصْرُ جَدَائِلَهَا
على كِتْفَيْ المتوسِّط ، - تمنحُ وجهها لحكمة الرِّيح ، وتقرأ سيرة الموج /

وفي الشوارع التي تهاجر بين المَاضِي والمَاضِي ، كنتُ أواكبُ سُرَادِقَاتِ
تَصِلُ القِلَاعَ بالقِلَاعِ ، السِّيفَ بالسِّيفِ ، الخِيَالَ بالخِيَالَ :
محاربون فُرسَانٌ - قِرْمَزٌ وأرجوان ، يخرجُونَ ، بعدَ استِخَارَةِ الشَّافِعِيِّ ،
ويدخلُونَ ، يأتُونَ ويذهبُونَ بينَ القَرَاةِ والمَقْطَمِ ، عربٌ ، يونانٌ ، يهودٌ ، أتراكُ
طُولُونِيّونَ ، إِنْخِشِيدِيّونَ ، أَيُوبِيّونَ ، شِراكِسَةُ ، أَكرَادُ ، بَرْبَرٌ . يتَراوُونَ كَمَثَلِ
تَقاطِيعَ فِي وَجْهِ القَاهِرَةِ فِي وَقْتِ - كَرَسِيِّ مِنَ الزَّئْبِقِ وَكُلِّ يَمْضِغِ البِلَادِ
بِأَسْنَانِ الْآخِرِ فِي حُمَّى سُلْطَانٍ فِي رَقَاتِقَ
مِنَ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ،

وَمِنَ السَّقُوفِ تَسْقُطُ مَلَائِكَةُ بَزِيّ الْجُنُودِ

وفي الأَزَقَةِ حَيْثُ كَانَتْ تَسْرَأَى أَطْيَافُ تَدخُلُ مَعْنَا فِي حِوَارٍ ، كُنَّا نَسْمَعُ
نَفَرَ رَحُو يَكْرَرُ : «جَفَّتِ الحَقُولُ ، فَاضَتْ الضَّرَائِبُ ، زَادَ المَوْظِفُونَ» ، وَنَسَالَ
أَبِي أَوْدَ السُّؤَالِ نَفْسَهُ : أَيُّهَا الحَكِيمُ ، أَيْنَ مَنْ يُقَالُ عَنْهُ : «يَرعى النَّاسَ
جَمِيعاً وَلَا شَرَّ فِي قَلْبِهِ؟»

وَمَا رَأَيْكَ فِي القَوْلِ : «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَفَاوَتْوَا ، فَإِذَا تَقَارَبُوا هَلَكُوا» /
ثُمَّ يُشَبِّه لِسَمْعِنَا صَوْتَ المَتَنَبِّيِّ وَنُضِيفُ أَصْوَاتَنَا :

أَفْ لِهَذَا التَّارِيخِ الَّذِي يَكْسُونَا . تَارِيخُ كَمَثَلِ أَصْلَعٍ مَأْخُوذٍ بِجَمْعِ الْأَمْشَاطِ .
وَنُكْرَرُ : أَفْ لِمَنْ يَكْتُبُهُ ، - إِنَّهُ كَمَنْ يَذْبَحُ دَجَاجَةً مُوَكَّدًا أَنَّهَا غَزَالَةٌ . وَكُنَّا
نُنشِدُ

بصوت واحد : مأوى لمن تشرد ، سلام لمن هزم . ونرى إلى الجنود يطلعون
من الشقوق والأنقاض في قطع الزجاج والفخار والثقود في أشلاء النقوش
والقناديل ، ثم يرتفعون أسواراً بمهايمز من فولاذ ، وتروس من الحديد .
وكانت أحصنتهم أقواساً ، وفوقها يد الشمس ترقص اللجم . وفي حقل
السما ، كانت أجسام كوكبية تركض بيضاء كأرانب حقلنا ، حيث كانت
الشمس تُخاصم ظلي ،

أجسام كوكبية

تنبت حولها أسنة وأنياب ، تختفي بولادات أخرى تحت براقع وعباءات /
توقف
أنت أيها الطيف وابتنس لهذه الطبيعة غير الميتة ، توقف والتقط لصخرائك
ثمرة ما ، —

واليقين أن أنفاسنا تتصاعد عالية متحدة بقرص الشمس . واليقين أننا
نرى هاروت وماروت يتكثان على عصا موسى في الغورية وأم الغلام ، وليس
السحرة غرباء عن ذلك الدخان الذي يطلع من مباخر غير مرئية ونقرأ
فيه : «خير نساكم السواجر الخلابات»

هاتي يدك أيها العاشقة . الشمس هنا لا تشعب ، (وأحب أن أخيا
شحاذاً بين العشاق على أن أموت أميراً بين الموتى)

... / وأخذنا نُطْلِقُ في فضاء القاهرة يَمَامَاتٍ بَعْدَ أَنْ نُعْطِهَا بِالْمِسْكِ وماء
الوردِ .

شهرزاد على قَدَمَيْكَ تُرْفِرُفُ يَمَامَةٌ من ليل إيزيس .

إليّ ، سيّدتِي ، حَكِيمَةٌ أَنْتِ ، وَأُسُسْتُ لِحَكْمَةِ الْأَرْضِ . انْظُرِي فِي عَيْنِي .
أَلَيْسَتْ أَكْثَرَ نَفَادًا مِنَ الضُّوءِ ؟ قُولِي أَلَا تَرَيْنَ فِيهِمَا سَفَرًا نَحْوَكِ إِلَيْكَ ،

حَيْثُ أَبْنَاؤُكَ يَسْتَنْسِقُونَ ، يُهَيِّثُونَ مَحَارِثَهُمْ لَكِيّ يَقْدُوا الْمَطَرُ إِلَى حَقُولِهِمْ ،
يَهَيِّثُونَ حَقُولَهُمْ لَكِيّ تَتَّسِعُ لَبِوَتُهُمْ ، يَهَيِّثُونَ بِيَوْتَهُمْ لَكِيّ تَتَّسِعُ لِلْأَسَاطِيرِ ،
يَهَيِّثُونَ

الْأَسَاطِيرَ لَكِيّ تَتَّسِعُ لَكَ ،

إليّ سيّدتِي ، وَعَهْدًا لِإِيْزِيسَ : سَيَخْرُجُ مِنْ حُنْجُرْتِي نَيْلٌ آخَرُ يَخْرُجُ عَلَى
سُلْطَةِ الْغَيْمِ .

7

انتبه! يُمكنُ زهرةٌ من الكلام أَنْ تُخْفِيَ غَابَةً مِنَ الْقَتْلَى
تَعْلَمُ طَاعَةُ الْمَوْتِ تَسْتَلْزِمُ فَوْضَى الْحَيَاةِ
فَكِّرَا الْإِنْسَانُ تَنَاجٍ - لَا مِنَ الطَّيْنِ لَا مِنَ الْقِرْدَةِ ، بَلْ مِنَ الْخُبْزِ أَحْشَانُكَ ،
الزَّمَنُ يُنْزِعُ
أَحْصَيْنَتْهُ فِي

وَلَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ بَيْنَ الْأَذْنَيْنِ ، بَلْ بَيْنَ الْفَخْذَيْنِ ، -

مِيدَانُ الْحُسَيْنِ ، -

صَوْتِي غِبَارُ وَالزَّمَنِ أَكْدَاسُ حَطَبٍ ، وَلَا نَارَ

فِي خُطَوَاتِي . وَاسْمَعُ فِي حَيِّ أُمِّ الْغُلَامِ زَفِيرَ الْعَالَمِ ، -

سَاحَةُ الْحُسَيْنِ ، - تَمْتَلِئُ يَدَايَ بِالْأَيْدِي ،

رَأْسِي وَطَنٌ وَقَلْبِي فُصُولٌ فِي لَحَظَاتٍ تَبْتَكِرُ غَيُومًا تَبْتَكِرُ النَّارَ

الْأُولَى فِي حُبِّ

طُوفَانٍ وَالْأَرْضُ لَا تَتَّسِعُ السَّمَاءُ كُلُّهَا تَنْزَلُ عَلَى شِفْتِي

- شِمَالُكَ يَا وَلَدًا يَمِينُكَ يَا سَيِّدَا افْتَحْ عَيْنَكَ يَا عَمًّا

حَمْدًا لِهَذَا الْعَالَمِ ، - عِنْدَهُ مِنَ الْأَرْضِ صَبْرُهَا

وَعِنْدَهُ مِنَ النَّيْلِ أَحْصَانُهُ .

ماذا يقدرُ

أن يفعلَ

رأسُ كلمةٍ

يتدحرجُ قربَ

رأسِ الحسينِ؟

... وَكَانَتْ أَهْدَابُ خَانَ الْخَلِيلِي تَكْبَرُ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْنَا ،

فِيمَا يَرْسُمُ حَيِّ الْحُسَيْنِ طَبِيعَةً مِنْ خَلَائِقٍ تَنْدَرُجُ فِي أَبَابِيلِ

الشُّكْلِ . فَجْأَةً ، يَنْبَجِسُ شَيْءٌ مَا . أَوْهًا -

لَمْ يَكُنِ الْوِثْنُ يَوْمًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُلُوهَةِ . عَفْوُكَ نَفَرْتِي ، -

لَا يَزَالُ الشَّعْرُ يَجْهَلُ كَيْفَ يُحْصَدُ الْقَمْحُ الَّذِي زُرَعَ فِيكَ ،

ماذا يعني

عصرُ يَبُوقِهِ

الكلامِ؟

عَفْوِ الْأُنْثَى الَّتِي تَهْبِطُ عَلَيْنَا مِنْ قُبَّةِ بَنْتِهَا بِجَسَدِهَا وَتَهْبِطُ
مَعَهَا نَارٌ أَعْلَى مِنَ الْهَرَمِ ، - وَاشْتَغِلْ سَلاماً أَيُّهَا الرَّفِيقُ
الْعَاشِقُ ، وَابْتَهِجِي أَنْتِ الْمَأْخُودَةُ بِغَسْلِ السَّرَاوِيلِ . وَالشُّكْرُ
لِلْمَنَادِيلِ الَّتِي رَافَقَتْ نَوْمَنَا وَتَحَوَّلَتْ إِلَى كُتُبٍ وَدَفَاتِرِ .

ماذا يعني
رجالٌ يُنْفَخُونَ
في زجاجٍ
فكري؟

تَسِيرُ وَتَسْمَعُ فِي الْغُبَارِ وَقَعَ الْخُطُواتِ الَّتِي سَبَقَتْكَ . كَيْفَ
يُمْكِنُ لِمَنْ يَتَحَدَّرُ مِنْ دَمِ الْحُسَيْنِ أَنْ يُعْطِيَ رَأْسَهُ لغيرِ
الْحَلُمِ؟ أِهْ ، نِفَرْتَارِي ، - لَوْ رَأَيْتِ عَيْنِي تِلْكَ الطِّفْلَةَ الَّتِي تَبِيعُ
أَيَّاتِهَا عِنْدَ مَسْجِدِ الْحُسَيْنِ ، لَتَقَدَّمْتُ نَحْوَهَا وَقَدَّمْتُ
أُضْغِياتِكَ .

كيف تنبأ
وانت في
المعركة؟

وَشُبُّهُ لِي أَنَّ الرُّوحَ تَسِيرُ فِي حَيٍّ أَمِ الْغُلَامِ ، كَمِثْلِ امْرَأَةٍ
مُحِبَّةٍ . كُنْتُ الْمَحُ عَلَى جِدْرَانِ يَنْفِيَا الزَّمَنَ شَقِيقَهَا عِيوناً
تَخْرُجُ مِنْهَا أَطْيَافٌ تَسِيرُ بِأَقْدَامِ أَطْفَالٍ . كُنْتُ أَرَى أَشْخَاصاً
أَتَقَنُوا لَعِبَةَ الْأَرَاجِيحِ لِأَنَّهُمْ دَائِماً فَوْقَ الْهَاوِيَةِ . وَلَيْسُوا بِحَاجَةٍ
إِلَى النُّجُومِ ، لِأَنَّ لَدَيْهِمْ فَجْراً آخِراً قَبْلَ الْفَجْرِ . كُنْتُ أَرَى
أَشْخَاصاً تَتَعَبُ أَجْسَادَهُمْ لَكِنْ أَفْكَارَهُمْ هِيَ الَّتِي تَرُشِحُ
عَرْقاً . كُنْتُ أَرَى أَشْخَاصاً لَا يَنَامُونَ اللَّيْلَ إِلَّا بَيْنَ أَهْدَابِهِمْ .
وَكُنْتُ أَرَى عَتَبَاتٍ لَا تُرَى نُقُشٌ عَلَيْهَا :

«أَيُّهَا الْعَايِرُ ، هَلْ تَعْرِفُ كَلِمَةَ السَّرِّ لِلدَّخُولِ إِلَى نَفْسِكَ؟»

أفكارَ تجربها المأذنُ - في مساجدَ قديمةِ الرأسِ ، حديثةِ الرُكبةِ -
 في مدينةٍ وُلدتْ مع الماءِ - في مساجدَ - أسوار لا تعتمدُ إلا على أنفاسِ
 ترتفعُ أعمدةُ يُقالُ إنها آهاتُ المصلّين - في أفقٍ : كلُّ شيءٍ فيه فَقَدَ
 وظيفتهُ ، ولا يزال

كلُّ شيءٍ يجلسُ حيثُ هو - بين جذرانٍ : لِكُلِّ جدارٍ وجهانِ مثلَ جَانُوسٍ ،
 في بلادٍ بوجوهٍ لا تُخصى - في تاريخٍ أوثانٍ : أقدمُ لك أيُّها الخالقُ الذِّكْرُ
 ذبيحةً أنثى ، وغفرانك إن لم تقدرْ أن تهضمَها - في عالمٍ لستِ أنتِ
 الفقيرُ إليه ، بل هو الفقيرُ إليك - في نظامٍ ، كثيراً كانَ الإنسانُ فيه كُرسياً
 للإنسانِ - في

تاريخٍ يأكلُ بيدَ الموتِ - في عصرٍ يجلسُ إلى مائدةِ الحاضرِ ويقتلُ
 على غَنِيمةِ الغابرِ ، ولا ملجأَ لأهله غيرَ تلكِ الثُّقوبِ التي يخفرونها في
 حظيرةِ الذاكرةِ ،

أجسادُهم في إقليمٍ ورؤوسُهم في إقليمٍ ، والكونُ ورقةٌ ، لا قرارَ له ولا عمقَ -
 في مقاصيرَ تطوفُ حولها نساءٌ لكلِّ منهنَّ رفيقٌ أعلى ، وكلُّ منهنَّ تَعْتَقِلُ
 بِاسْمِهِ اللَّيْلَ بين فخذيها - في سديمٍ يرقدُ الشَّرْقُ والغربُ فيه على وسادةٍ
 واحدةٍ ، - حول

هيكَلُ هَوْدَجٍ يغطيه كِشْمِيرٌ أزرقٌ ، واللَّحظَاتُ أنابيبٌ يخرجُ منها دخانُ
 الملائكةِ - في أعشابٍ يُسْتَقَطَرُ منها أكسيرُ القرائحِ ، حيثُ تُقْبَلُ الجوامعُ
 وَجْهَ الفضاءِ وتفتقُ المأذنُ ثيابه ، -
 وأنتِ يا صديقي المُصَلِّي ، -

رَجَاءٌ لا تخفضُ رأسَكَ ، لئلا يسقطَ الأفقُ .

مقهى الفيشاوي -

أذكرُ ، لي موعدٌ مع سقيفةِ ذلك الجحيم ،
أذكرُ ، الموتُ يُوقِظُ ملائكةَ شيوخاً في زوايا هذا المسجد ،
أذكرُ ، الموتُ يسكّرُ ويكتبُ على شاطئ النّيل مازجاً قطنَ المساء بكتّان
الفجر ،
أذكرُ ، الموتُ يَضَعُ مقاعدَ كأنّها رسومُ سفنٍ على صَفحةِ النّيل من أجل
زوّار يسكنون

في أشعة الشمس ،
أذكرُ ، الموتُ وراءَ الهرمِ أمامه ، لكنّ الأحياءَ سَحَابٌ والموتى قَمَحٌ
أذكرُ ، كان خَوْفُو يَبْتَسِمُ ، كأنّه لا يزالُ يروّضُ الموتَ ، أو كأنّ الموتَ فراشةٌ
ترفرف على قنديلِهِ .

يُومئُ لي بابٌ ذاهِبٌ إليه أَخَذَ اللذةَ أغسلَ جسدها داخِلاً فيها خارجاً مِنّي
ويكونُ اسمُنا المكانَ ثَمّةً هُنا الآن السّاعةَ اليومَ إيلافاً لتاريخٍ لا يكتبُهُ القتلُ
لحاكمٍ مَحْكُومٍ بالحبِّ مَوْقِظاً في دَمِي الطّينَ ، ما قبلَ تاريخِهِ إيقاعُ الأنهارِ
الغاباتِ المَدَنُ الغناءَ الأسطورةَ الطّفلَ الضّياعَ في أسرةٍ أذْرى أعناقٍ أسنهرُ في
موجةٍ أنامُ في وَرْدَةٍ مُصْغِيّاً /

«وأصرفُ وجهي عن بلادٍ غدا بها

لِسَانِي مَعْقُولاً وَقَلْبِي مُقْفَلًا
وَجَدْتُ بِهَا قَوْمَ سِوَايَ فَصَادَقُوا
بِهَا الصَّنْعَ أَغْشَى وَالزَّمَانَ مُغْفَلًا»
(أبو تمام)

«وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أَمْلَاكِهِمْ مَلَكًا
إِلَّا أَحَقُّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ»
(المتنبي)

«ضَاقَتْ عَلَيَّ نَوَاجِيهَا فَمَا قَدَرْتُ
عَلَى الْإِنَاخَةِ فِي سَاحَاتِهَا الْقُبُلُ»
(العقيلي)

إلى أَحَدِ أَسْمَائِي ، -
أُنْفِخَ كِتَابَ الْحِكْمَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنْبَشُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَخْطُوطَاتِ اللَّاشَعُورِ

إلى آخَرٍ مِنْ أَسْمَائِي ، أَكَادُ أَنْسَاهُ ، - مَنْ سَيَفْقَهُمْ أَتْنِي أَعِيشُ فِي جَنَاحِي
يِمَامَةٍ وَأَطِيرُ فِي فَحٍّ؟

هكذا أكتب القاهرة مكتوباً بها ، مُعْطِياً لِكُنْفِي أَحْزَانَهَا . ومن هذه الورقة
التي أُمِسِكُ بها الآن ، تَخْرُجُ نَفَرَتَارِي فِي يَدَيَا قَرِيبَانِ وَبَيْنَ نَهْدِيهَا زَهْرَةٌ
لَوْتَسٍ ، وَأَسْمَعُ شِعْرِي يُوشِوشُنِي : لَا أَرِيدُ أَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ الْآنَ ، لَقَدْ
شَيَّخْتَنِي أَنْتِصَارَاتِي .

ثُمَّ أَنْطَلِقُ مَعَ أَشْبَاحٍ تَنْطَلِقُ مَعَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ فِي الشَّوَارِعِ تَتَمَدَّدُ بَيْنَ الْعَيْنِ
وَالْعَيْنِ أَصْدَافاً وَدَعَا خَوَاتِمَ رُسُوماً مَرَايَا جَدَائِلَ عَقُوداً أَرْوَقَةً
قَنَاطِرَ غُرَفاً مَوَائِدَ قَوَارِيرَ حَشْدَ أَقْلَامٍ وَمَحَابِرَ أَلْغَازٍ وَرَقٍ وَجِبْرِ ،

وَتِلْكَ هِيَ الْأَبْدِيَّةُ تَتَوَسَّدُ أَغْنَاقَ الْكَلِمَاتِ .

أَشْبَاحُ / وَطَنُ تَحْتَ بَشَرَةِ الزَّمَنِ - زَنْبِيلٌ ، يَحْمِلُهُ مَاءُ النَّيْلِ ثَوْلَدٌ فِيهِ
السَّمَاءُ . مَا أَكْرَمَكَ أَيْتَهَا الْقَاهِرَةُ ، ابْتِكْرِي وَارْمُزِي : هَذَا عَمَلُكَ .

رَأْسِي جَدِيدٌ وَأَخَافُ أَنْ أَقُولَ مَا أَقُولُ . . . مَعَ ذَلِكَ : السَّمَاءُ هُنَا امْرَأَةٌ - مِرْآةٌ
لِهَذَا الذَّكَرِ - الْكَوْنِ . وَانْظُرُوا : فِي الْمَحَطَّاتِ فِي الْمَفَارِقِ عَرَبَاتٌ قُطِرَ خِيُولُ
مِنَ الْفَصَائِلِ كُلِّهَا فَرَسَانٌ مِنَ السَّلَالَاتِ جَمْعَاءَ
لِقَاحٍ وَأَعْرَاسٍ / الصَّهِيلُ أَخٌ لِلصَّفِيرِ وَالْآلَةُ عِجْلٌ مُسَمَّنٌ فِي تَارِيخٍ : أَمْثَلَةٌ
بَطَرٌ ، وَالتَّفَكُّكُ احْتِفَالٌ
وَالْعَجَبُ أَنَّ الْغُبَارَ حَبْرٌ أَحْمَرُ .

لِمَاذَا يَتْرُكُ لِي التَّارِيخُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ ، أَحَبُّ دِفَاتِرِهِ إِلَيْهِ ؟
لِمَاذَا أَحْلَمُ وَأَطِيعُ آيَةَ الشَّمْسِ ؟

السَّيِّدُ يَاسِينَ / تَلِيمَه : « جَاءَ التَّارِيخُ يَلْبَسُ قُبْعَةً وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ
عِظَامِ الْقَتْلَى

أَخَذَتْهُ الصَّاعِقَةُ ، وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا ضَوْضَاءَ الشُّوَارِعِ »
حُثَاتَه : « تَارِيخٌ يَلْتَقِطُ جَنِينَهُ مِنْ ثَوْرَةٍ لَمْ تُحْصِنْ فَرْجَهَا »
لَكِنْ تَسْتَطِيعُ إِيْزِيْسُ أَنْ تُعْطِيَكَ سَبْعَةَ أَجْسَادٍ لِرُوحِكَ الْوَاحِدَةِ ، أَنْ تُفِيضَ
عَلَيْكَ يَوْمًا لَا تَعْرِفُهُ الْفُصُولُ ، فِيمَا تَسْأَلُ أَيْنَ جَابِرِ عَصْفُورٍ فِيمَا تُصْغِي لِأَمِّ
كَلْثُومٍ أَوْ غَيْرِهَا مِمَّا تُحِبُّهُ فِي حَدِيقَةِ الذَّاكِرَةِ ، فِيمَا تَتَرَصَّدُ هَبْوَطَ لَيْلٍ آخَرَ
عَلَى الْعَصَلِ الْعَاشِقِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْسُوكَ بِحَرِيرٍ أَسْوَدَ أَنْ تَأْخُذَكَ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا
لِكَيْ تُقَابِلَ الْقَمَرَ الْآخَرَ الَّذِي يَتَمَدَّدُ فِي عَقْدَةٍ مِنَ الْأَجْنَحَةِ وَلِكَيْ تَرْضِعَكَ
الثَّذِي الَّذِي تَحْلُمُ بِهِ وَلَا تَجْرُؤُ أَنْ تُفْصِحَ عَنْهُ ، -

الْخِرَاطُ لِرِزْقِ اللَّهِ : « كَيْفَ تَحْوِلُ الْخَبْزَ إِلَى لَوْنٍ ، وَاللَّوْنَ إِلَى فِضَاءٍ جَنْسِيٍّ ؟ »
الْكَفَرَاوِي وَمَطَرُ : « يُخْلَطُ الذَّكَرُ بِوَرَقِ الْغَارِ ، وَتُخْلَطُ الْأُنْثَى بِالْوَرْدِ »
الْغَيْطَانِي : « أَنَا الْعَاشِقُ وَسُكْنَانِي فِي كَبِدِ الْحَبِّ »
اعْتِدَالُ : « الْحَبُّ الْمَاءُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَا نَقْدَرُ أَنْ نَطْفُو فَوْقَهُ »

رَمَضَانُ : « كَشَمْسٍ أُولَى يَسْطَعُ فِي الْمَدِينَةِ الشَّعْرُ ، وَكُلَّ خَلِيَّةٍ فِي جَسَدِ
الْقَصِيدَةِ بَيْتٍ كَرِيمٍ »
طَهَ : « رَأْسِي مَلِكِي بِمُشَاةِ التَّارِيخِ ، وَلِكُلِّ طَائِرٍ قَدَمَايَ . . . »

وكان الطين الذي يُواكب النبل حَبِراً آخرَ يَتَهَيَّأُ لكتابة الحُقُول . وكانت
إيزيسُ تخيطُ الجبلَ إلى الجبل والنجمَ إلى النجم ، فيما
تُطَمِّئُنِي : لَيْسَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ إِلَّا طِفْلاً وَلَدَ فِي التَّيِّهِ وَطَنِي أَنَّهُ سَيَحْظِي
بِغَزَالَةٍ مَا .

9

مِنْ هَذَا الْغَامِضِ الَّذِي أَعْرِفُهُ
مِثْلَكَ ، وَمِثْلِكَ لَا أَسْمِيهِ ، مِنَ النَّيْلِ جَارِيًا فِي حَالَاتٍ تُتَوَرَّ الحُقُولَ مِنْ
سَوَادِكَ اللَّقَاءِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالضَّوْءِ مِنْ حُزْنِكَ الْجِسْرِ بَيْنَ الْهَاقِيَةِ وَالذُّرُوتِ مِنْ
عَرَافَاتِكَ وَعَرَافِيكَ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ اخْتَصَمُوا بِتَأْوِيلِ الرَّؤْيَا مِنْ خُبْرِكَ الذَّرَّةِ
الشَّمِيرِ الشُّوفَانِ وَمَا تَيْسَّرُ مِنَ الْقَمْحِ مِنَ الْبَاعَةِ الْمُتَجَوِّلِينَ الْغُرَبَاءَ الْمُتَشَرِّدِينَ
بَيْنَ مَقْهَى مَحْفُوظٍ وَمَقْهَى
الْغِطَانِي ، مِنَ الْأَبْوَابِ وَالسَّاحَاتِ وَالزَّوَايَا وَالْمَمَرَّاتِ مِنَ الْحُرُوفِ السَّرِيَةِ الَّتِي
تَتَنَاقَرُ بَيْنَ جَابِرِ عَصْفُورٍ وَأَدُونِيسَ ، مِنَ الصَّبْحِ الَّذِي يَتَصَاعَدُ فِي الْمِيَادِينِ
كَأَنَّهُ
يَجِيءُ مِنْ عَصْرِ آخِرٍ بِهَوَائِكَ نَفْحَةً نَفْحَةً

بِشَمْسِكَ خَيْطًا خَيْطًا ،

أَبْتَكِرُ قَمِيصًا آخَرَ لِيُوسِفَ وَامْرَأَةً الْعَزِيزَ وَأَضْيِقُهُ إِلَى جَسَدِ التَّحَوُّلِ ، هَامِسًا :
لَأَنْكَ السِّرَّ ، لَا يَعْرِفُ الشَّعْرُ أَنَّ يُقَدِّمَ لَكَ إِلَّا الشَّعْرَ .

أَحْلُمُ وَأَطِيعُ آيَةَ الشَّمْسِ ، -

لحظةً كَانَ القَمَرُ يَهْبِطُ فِي حَوْضِ الْأَثْنَى ، كُنْتَ تُصْنَعِي إِلَى مُنَاجَاةٍ تَتَأَرَّجُ
أَبْرَاجُهَا بَيْنَ الثَّوْرِ وَالْعَقْرَبِ ، وَتَشُقُّ طَرِيقَهَا فِي اتِّجَاهِ أَغْوَارِكَ ، حَتَّى اللَّهَبِ
الَّذِي يَسْكُنُ فِي كَلِمَاتِكَ ، حَتَّى قَرَارَةِ الْمَوْجِ - الصَّوْتِ .

إيزيس / القَاهِرَة ، -

أَكْتَبِكَ فَجْراً يُوَقِّظُ النَّائِمَةَ أَثْنَا ،
أَكْتَبِكَ إِكْسِيراً ضِدَّ زَمَنِ لَا يَهْدُ سَعَالَهُ ، زَمَنِ تُحَزِّزُهُ خَنَاجِرُ الْفَتَكِ
وَاللَّغَةُ حَوْلَهُ حِرَابِ ،
أَكْتَبِكَ اسْتِثْوَاءً عَلَى كُرْسِيِّ يَتَوَسَّطُ سُرَادِقَ الْكَوْنِ ، وَلَهَباً مِنْ سُلَالَةِ
الْكَوَاكِبِ ، وَتَكُونُ لُغْتِي قَدْ اسْتَبَدَّتْ بِقِيَمِ الصُّورِ ، وَأَكُونُ أَعْلَنْتُ : حِبَالُ
صَوْتِي النَّيْلُ ، وَنَبْرَاتِي الْفُصُولُ ،

هَكَذَا أَنْفَذْتُ إِلَيْكَ مُؤْتَلِفاً مُخْتَلِفاً ، وَأَسْقِطُ عَلَى وَجْهِكَ أُنْدَاءَ الْمَعْنَى ،
هَكَذَا أَكْتَبُكَ جَسداً - نَشِيدَ مَاءٍ تَنْشِي وَمِلءَ أَعْضَائِي أَنْكَسِرِي مَوْجَةً
مَوْجَةً ،

كُونِي لِي الْأَرْضَ مُسْتَلْقِيَةً أَكُنْ لَكَ الْهَوَاءَ قَائِماً وَسَمِّينِي بِأَسْمَائِكَ ،
امْتَزَجَتْ حَنْجَرَتِي بِصَوْتِكَ وَأَشْيَائِهِ حَمداً لِمِفْتَاحِكَ لِلْعَتَبَةِ لِلْقَمَحِ عَلَى

الْعَتَبَةِ لِحُطَّوَاتِكَ حَوْلَ الْعَتَبَةِ لِمَسَائِهَا لِغَلَالَتِكَ لَأَرْجُوَانِ أَبْنُوسٍ غَابَةِ تَتَسَعُ
بَحْرٍ يَهْدِرُ لِلْحَالَةِ النَّبَاتِيَّةِ فِيكَ لِلْجُوعِ الْعِيدِ الذَّرَاعِينَ الْمُخْمَلِ الْمُسْتَطِيلِ
الدَّائِرِي الْقَوْسِ النُّشُوءِ الرُّعْشَةِ اللَّيْلِ سَحَرًا مُحَيَّرًا ، حَمْدًا ، -

أَحْلُمُ وَأُطِيعُ آيَةَ الشَّمْسِ .

(باريس ، خريف 1988)

يد الحجر ترسم المكان

(وقيم البتراء)

1

لا أقولُ نثرًا لا أقولُ شِعْرًا
بل أكتبُ رقيقاً

[في الرقيم خمسة أقوال :

اللوح

الدواة بلغة الروم

القرية

الوادي

الكتاب (لسان العرب)]

أسمعُ حركةً في فهرسِ البَراء أسمعُ نبضاً في قفصِها الصَدريِّ أهو
الحجرُ يتفتَحُ وينمو؟
لا توقظوا الحجرَ من نومه لا تعكروا بحيرةَ أحلامه
انظروا للحجرِ جسدٌ ورَدُّ
أصغوا كأنَّ الحجرَ ينمي البشرَ وإلى نفسه انتماؤه

2

أسمعُ حركةً في فهرسِ البَراء أهي أرواحُ سُفلى أم هو حَفيظُ الفَلَك؟
كيفَ أندمجُ في هذهِ الأشعةِ وأكونُ جزءاً من هذا الأثير؟
هلُ سأجدُ في قاموسِ الجبرِ ما يشرحُ ذلكَ
الشكلَ تلكَ الدوائرَ هذهِ الخطوطُ؟
منَ يُعلمني أنَ المسَّ السَّماء؟

3

اَحْمِلُوا ذَاكِرَةَ الصَّحَرَاءِ فِي طَرِيقِكُمْ إِلَى الشَّقِّ

[ويقال : السَّقِ

أَهْوَ جِسْمٌ وَاحِدٌ

شَقٌّ نِصْفَيْنِ

لا يلتقيان؟]

حَيُّوا صُخُورَ الْجِنِّ قَبْرَ الْمِسَلَّاتِ وَادْخُلُوا قَاعَةَ الْاِحْتِفَالِ
بِالْمَوْتِ الْآخِرِ الْحَيَاةِ الْآخَرَى يَطِيبُ لِلْمَخْمَلِ الْأَحْمَرِ أَنْ يَسِيرَ مَعَكُمْ
وَيَطِيبُ لِلْأَبْيَضِ الْبِنْفَسَجِ
وَيَسِيرُ مَعَكُمْ ذُو الشَّرَى

[حَجَرٌ أَسْوَدٌ

هُوَ نَفْسُ الشَّمْسِ]

بِمَحَارِبِهِ الَّتِي تُلَوِّحُ لَكُمْ مُسْتَلْقِيَةً فِي أَخْضَانِ الصَّخْرِ يَتَفَجَّرُ مَاءُ السَّرِّ
أَنْتَى تُوْجِّهْتُمْ وَلَا حَاجَةَ إِلَى آيَةِ عَصَا
وَلَنْ تَضْرِبُوا آيَةَ صَخْرَةٍ
تَتَذَكَّرُونَ الْأُمَّ الْأُولَى نَاقَةَ صَالِح

[أخرجها صالح من الصخر علامة على نبوته

كانت تطوف المدائن السبع توزع حليها

لم تؤمن ثمود
غرزت سكاكينها حيث تنام الناقة - تمرقت
خواصرها ومن أحشائها خرج طفل تحول إلى
صخرة
يقال لا يزال الناس يسمعون أنين الأم
وابنها حتى اليوم]

تستعيدون ما قاله قم السماء وتسمعون هاتفاً :
من هذه الناقة - الصخرة
خرجت البتراء

[سمّاها اليوناني
أرابيا بترايا]

وأخذت البتراء ترسم نفسها بالحجر والذهب وما يلفظ من المعادن في
حرب

بين اللغة وأختها الطبيعة
بين القلم واللون والمنقش صفاً
والبازلت والغرائب والمزمر صفاً آخر
حرب تفرق بين النجوم وتوحد بين اللغات
أخيائاً كانت الغيوم تتدخل وتتدخل الجبال والبحار -
ويكون العنبر ساحة
والبخور هالات

كَمْ كَانَتْ طَيِّبَةً لَهْجَةُ الْفَجْرِ وَهُوَ يَنْتَصِرُ لِأَهْلِ الْبَتْرَاءِ

[كانوا يتكلمون

الارامية واليونانية إضافة إلى اللغة الأم

انشقوا عن العرب آخذين بثقافة

أرام في الزراعة والصناعة وحرفة اليد

«تَمْعِدُوا وَلَا تَسْتَنْبِطُوا» (عمر بن الخطاب) :

تَسْبِهُوا بِمَعْدٍ لَا بِالنَّبِطِ / وَيُرَوِّى كَذَلِكَ :

«نَحْنُ مَعَاشِرُ قُرَيْشٍ مِنَ النَّبِطِ مِنْ أَهْلِ

كُوَيْلٍ رَيْثَا» (ابن عباس)

وَقِيلَ فِي كُوَيْلٍ رَيْثَا وَلِدَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ]

وَمَا أَسْعَدَ الْحُرُوفَ الَّتِي كَوَّنَ بِهَا كَلِمَاتِهِ فِيمَا كَانَ يَخْضَعُ بِاسْمِهَا الْحَارِثُ

[سُمِّي «محبّ اليونان وحاميهنَّ»

فَقُشَّ اسْمُهُ تَمَجِيداً فِي الْمَدْرَاسِ

مَعْبُدُ ذُو الشَّرَى]

وَأَنْظَرُوا إِلَى عَرَبِ الْفَجْرِ تَنْزِلُ الشَّمْسُ مِنْهَا
تَنْهَضُ

كُلَّ يَوْمٍ تَمْسَحُ جَبِينَ النَّهَارِ وَتَسِيرُ

لِتَكْتُبَ تَارِيخَهَا فِي مَوْكَبٍ مِنْ أَحْصَنِ الضُّمُوءِ

[سَطَعَ هَذَا الضَّوْءَ
عَلَى عَمْرُو بْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ
وَاصْفَاءُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ :
«أَعْرَابِيٌّ فِي حَبُوتِهِ
نَبْطِيٌّ فِي حَبُوتِهِ /
هُوَ عَرَبِيٌّ عَطَاءٌ ، نَبْطِيٌّ حَذَقًا وَمَهَارَةً]

4

إِنَّمَا الشَّمْسُ تَسْتَيْقِظُ عَارِيَةً حَتَّى مِنْ قَمِيصٍ نَوْمِهَا تَنْظُرُ إِلَيَّ مِنْ شَقْوَقِ
نَافِذَتِي فِيمَا

أَنْهَضُ وتقول ناري اليومَ سَلامٌ وَبَرْدٌ وَكَانَ النَّهَارُ قَدْ بَدَأَ
يَتَسَلَّقُ سَلَامَ الْحَجَرِ

تَحَسَّنْتُ حَنْجَرَتِي - هَلْ سَأَقْدِرُ أَنْ أَقُولَ مَا لَمْ أَعْرِفْ أَبَدًا كَيْفَ
أَقُولُهُ؟

صُخُورٌ تَنْتَقِشُ كَمَا يَخْطُرُ لِلْعَيْنِ - وَجُوهًا أَعْنَأُ
أُثْدَاءً أُرْدَأُ

شُمُوعًا قَنَادِيلَ وَسَائِدَ أُسْرَةٍ مَنَادِيلَ
أَضِيفُوا إِلَى الْعُلُومِ عِلْمًا آخَرَ - كَيْفَ يَلْبَسُ الْحَجَرُ الْغَوَايَةَ ، كَيْفَ يَشْتَهِي
وَيُشْتَهَى فَاتِحًا صَدْرَهُ بِاسِطًا ذِرَاعِيهِ وَكَيْفَ يُهَيِّئُ
سَرِيرَهُ

وَيُخِيلُ إِلَيْكَ أَنَّكَ تَسْمَعُ أَهْلَ الْبَتْرَاءِ يَتَحَدَّثُونَ مَعَكَ فِي
الْأَبْوَابِ وَالتَّوَاظِدِ فِي الْأَوْدِيَةِ وَعَلَى الدَّرَوَاتِ تُوقِنُ أَنَّ

مَا مَضَى هُوَ الْبَاقِي أَنَّ الزَّمَنَ الَّذِي يَطْفُو بَيْنَ قَدَمَيْكَ دَحَانٌ غَابِرٌ
وَحِينَ تَرَى إِلَى الْخَلِيقَةِ الَّتِي كَوَّنَتْهَا الْأَزْمِيلُ وَتَرَى أَعْضَاءَهَا الْمَقْطَعَةَ
تَسْأَلُ صَارِخاً : مَنْ لَطَّخَ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ؟ مَنْ شَوَّهَ
وَسَجَنَ وَنَفَى؟
وَمَا أَغْمَضَ حُزْنَ الْلِقَاءِ بَيْنَ مَنْفَى الْبَشَرِ وَمَنْفَى الْحَجَرِ
أَيُّهَا الطَّاغِيَةُ ، هَلْ حَقًّا كَانَتْ مَعَكَ يَدُ اللَّهِ؟
صُخْرٍ — مُحِيطٌ مِنَ اللَّوْنِ وَالضَّوءِ :

قُلْ الْحَجَرُ مَسْكُونٌ بِالْغَيْبِ
وَقُلْ لِلسَّمَاءِ ضَعِيَ يَدُكَ عَلَى كِتْفِي
هَلْ سَتَكُونُ ، أَيُّهَا الْمُحِيطُ ، النَّجْمَ الَّذِي رُمِيتُ بِهِ
وَاسْتَنْرَتْ؟ هَلْ سَتَكُونُ الْأَكْثَرُ إِطْمِئْنَاناً
إِلَيَّ وَالْأَكْثَرُ وَثُوقاً بِي — أَنَا الْمَاخُوذُ
بِرَّيْمَا
وَبِالْهَشَاشَةِ
وَبِالظَّنِّ؟
أَسْأَلُ وَأَتَقَدَّمُ —
كَيْفَ يُمَكِّنُ إِلَّا أَتَى بِالرَّيْحِ؟

5

فِي نَفَقِ تُنْسِكُ بِهِ السَّمَاءُ مِنْ رَأْسِهِ وَتَبْتُ فِيهِ لِأَلَاءِهَا
كَانَ الْأَحْمَرُ النَّبِيذُ الَّذِي تَلْبِسُهُ الصَّخْرَةُ - الْخَزْنَةُ

[تَسْهَرُ عَلَيْهَا نِسَاءٌ يَحْرُسْنَهَا :
قَطَعَتْ كُلُّ مَنْهَنٍ ثَدْيَهَا
الْأَيْمَنُ لَكِي يَسْهَلُ عَلَيْهَا
فِي الْحَرْبِ اسْتِخْدَامُ الْقَوْسِ]

يَضْعُ أَبْهَى تَيْجَانِهِ وَكَانَ وَجْهُ الْحَجَرِ وَوَجْهُ إِلَافَةٍ عَلَيْهِ
(خَبَّاتٍ إِسْمُهَا) يَتَهَا مَسَان :
مَنْ الْعَابِرُ وَمِنْ أَيِّ غُبَارٍ يَجِيءُ ؟
وَحُمِيَّ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ :
أَكْتُبْ آخَرَ قَصَائِدِكَ عَلَى آخِرِ وَرَقَةٍ
مِنْ هَذَا الْبَرْدِيِّ الْآخِرِ
وَاقْرَأْ «مَا أَنَا بِقَارِيءٍ» .

6

إِلَى الْمِذْرَاسِ أَخَذَنِي الْقَلَمُ النَّبْطِيُّ الْأَرَامِيُّ :
ذُو الشَّرَى حَجَرٌ - عَمُودٌ
[مِنْ الْحَجَرِ - الشَّرَاةُ
«أَشْرَقَ يَهُودُ»]

فِي صَبَابٍ مِنَ الْبُخُورِ وَالصُّنْدُلِ
وَحَوْلَهُ مِنْ حَوْلِهِ ، -
حَجَرٌ دَائِرَةٌ
حَجَرٌ قَضِيبٌ
حَجَرٌ وَسَادَةٌ
حَجَرٌ رَحِمٌ
حَجَرٌ مِعْرَاجٌ

يَاسْمِهِ تَنْسَجُ الْقُوَّةُ دُرُوعَهَا الْحُمْرَ ذُو الشَّرَى عِنَانٌ لِرَأْسِ الزَّمَنِ
لَا يَجِيءُ الزَّمَنُ إِلَّا بَيْنَ خُطَوَاتِهِ ذُو الشَّرَى شَرٌّ فِي عَصَلِ التَّارِيخِ بِهِ
يَحْمَلُ الْفِكْرُ مَصَابِيحَهُ وَيُوغِلُ فِي الْمَادَّةِ
مَرُثِيٌّ بِغِيَابِهِ
تَخْرُجُ مِنْهُ كَوَاكِبُ تَشْحَدُ الْبَصِيرَةَ
وَتَعْلُو بِالْبَصَرِ
لُجٌّ يَزْحَزِحُ الشَّوْاطِئَ ذُو الشَّرَى شَاطِئٌ يُطْمِئِنُّ اللَّجُّ

نَحْوُ سَيِّدَةِ الْمَاءِ - اللَّاتِ

[لَا يَقْدِرُ الْعَقْلُ
أَنْ يَتْرَكَ دِفْءَ تَهْدِيهَا]

تُخَاطِبُهُ يَا هُوَ يُخَاطِبُهَا يَا هِيَ

وَأَصْنَعُوا إِلَى خُطَوَاتِ الْعُزَى

[نَجْمَةُ الصَّبَاحِ
كوكَبُ الحُسْنِ]

وَانْظُرُوا إِلَى الْفَجْرِ يُسْرِجُ لَهَا أَجْمَلَ أَفْرَاسِهِ
لِلْأُنْثَى هَذَا الْمَكَانِ

[«كُلُّ مَكَانٍ لَا يُؤْتَتْ
لَا يُعْمَلُ عَلَيْهِ» (ابن عربي)]

لِلْأُنْثَى هَذِهِ الْعَجْرَةُ لِمَاءِ الدَّمُوعِ لِلْعُزَى
لِلْأَتِ تَسْتَضِيْفُ إِيزِيسَ فِي قَصْرِ الْبِنْتِ
وَسَبِيلِ الْخُورِيَّاتِ
لِلسَّرِّ هَذِهِ الْعَجْرَةُ لِهَرْمِسَ

[هَلْ يَكُونُ هَرْمِسُ
إِلَّا الْكُتَيْبَةُ ذَلِكَ الْإِلَهَ
النَّبْطِيُّ الْغَامِضُ؟
أَتَكُونُ الْكِتَابَةُ اشْتِقَاقَهُ الْأَوَّلُ؟]

وَحْيٍ مِنْ جِهَةِ الْمَكَانِ :

يَرْقُدُ الزَّمَنُ بَيْنَ الْمَشْكَاةِ وَأُخْتِهَا
تَنُورُوا أَحْلَامَهُ سَابِجَةً بَيْنَ يَدَيِ
أَبْدِيَّةٍ بَاطِنَةٍ وَرَاءَ سَتَائِرٍ مِنْ
أَنْفَاسِ الْمَادَّةِ
وَاقْرَأُوهُ - مُسْتَسْلِمًا لِلْبَثْرَاءِ كَأَنَّمَا

فَوَضَّ أَمْرُهُ إِلَيْهَا

وَحْيٍ مِمَّا وَرَاءَ الْجِهَاتِ :

بَيْتُ النَّبَوَةِ يَتَقَيُّ
زَيْتُونَةٌ «لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ» .

7

أ - بَيْتُ ذِرَاعِ ذِرَاعَانِ

يَنْهَضُ الْجِسْمُ فِيهِ كَأَنَّهُ يَنْهَضُ فِي إِنْاءٍ يَتَسَعُ لَوُرْدَتَيْنِ
إِحْدَاهُمَا زَائِرَةٌ كَأَنَّمَا مُقِيمَةٌ وَالْأُخْرَى مُقِيمَةٌ كَأَنَّمَا زَائِرَةٌ
لَا تَعْشَقُ الْبَيْتَ بَلْ مَجِيئُهَا إِلَى الْبَيْتِ
قَدْ لَا تَسْمَعُونَ الْكَلَامَ الَّذِي بَاحْتَا بِهِ
غَيْرَ أَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَلْتَصِقُ عَلَى الْجُدْرَانِ

الشَّبِيهَةُ بِأَوْرَاقِهِمَا كَأَنَّهُ غَيْمَةٌ مِنْ رَمَادٍ
قَمَرٌ يَدْخُلُ عَتَبَةَ الْأُقُولِ وَلَا تَقْدِرُ
الْشَّمْسُ أَنْ تَصِلَ حَتَّى إِلَى قَدَمِي ذَلِكَ
الظِّلُّ الَّذِي لَا يَبَارِحُ الْبَيْتَ كَأَنَّ الظِّلَّ
نَفْسَهُ بَيْتٌ دَاخِلُ الْبَيْتِ

ب - بَيْتٌ

لَا يَجِدُ مَنْ يُعْنَى بِهِ غَيْرَ الْغُبَارِ وَالرَّيْحِ
لَكِنَّ الْغُبَارَ الَّذِي لَمْ يَسْ رَمَّةً كَا حِلَّ الْمَرْءِ
لَكِنَّ الرِّيحَ الَّتِي لَا تَزَالُ تَتَرَدَّدُ فِي حُنُجْرِهَا
تَنْهَدَاتُ النِّسَاءِ اللَّائِي كُنَّ يَتَحَلَّقْنَ
حَوْلَ قَامَةِ اللَّاتِ

ج - بَيْتٌ

شُعْرَاءُ يَقْرَأُونَ قِصَائِدَهُمْ فِيمَا يَتَكُونُونَ عَلَى خَوَاصِرِ
كَرِيمَةٍ إِنَّهَا الْمَرْأَةُ تُعَلِّمُ كَلِمَاتِ الْحُبِّ لَا لِلسَّرِيرِ
وَحْدَهُ بَلْ أَيْضاً لِعَتَبَةِ الْبَيْتِ وَسَقْفِهِ وَجَدْرَانِهِ .
حَقّاً كَأَنَّ الْمَرْأَةَ وَالشَّاعِرَ فِي سَرِيرِ الْحُبِّ لَيْسَا
شَيْئاً آخَرَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

حَقًّا الْحَبُّ نَفْسُهُ هُوَ الشَّرْعُ
عَجَبًا لِلذَّهْرِ كَيْفَ يُنْتِجُ هَذَا الْعَصْرَ!

[والعصر]

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ]

8

مَدَى مُحِيطٌ يَأْخُذُكَ بِمَوْجِهِ وَيَأْخُذُكَ بِأَعْمَاقِهِ تَقُولُ الْمَكَانُ يَهْيِمُنُ
عَلَى الزَّمَانِ تَقُولُ الْمَكَانُ جَرَّةُ الْأَنْوَةِ وَتَشْعُرُ أَنَّ الْكَلَامَ يَتَكَسَّرُ
عَلَى شُطْرَانِ شَفْتَيْكَ وَتَرَى إِلَى الْأَلْهَةِ يَجْلِسُونَ مَعَ أَصْدِقَائِهِمْ
مِنَ الْبَشَرِ فِي قَاعَةٍ وَاحِدَةٍ يَسْتَقْبِلُونَ زَوَارَهُمْ

[في القاعة بقايا زوارٍ ومستقبلين وجوه
لم يبقَ منها غيرُ ما استطاع الحجرُ أن يُخْبِتَهُ :
أجسامٌ بلا سيقانٍ ولا رؤوسٍ أكفٌ -
عناقيد امرأةٌ نصفُها الأعلى لبوّة
فَمَ كَأَنَّهُ يَصْرُخُ : لَا تَشَوْهُوا شَفَتِي
رَأْسَ نَسْرِ عِيُونُ مَهَا قُرُونُ مَا عِزَ
خِيُولُ أَطْفَالٍ رِجَالُ نِسَاءِ
اسْتَبْلَيْتَ حَيَوْنَهُمْ وَمَا بَيْنَ أَفْخَاذِهِمْ نَجُومٌ وَصُلْبَانُ
لَنْ تَجِدَ أَيُّ هِلَالٍ رَيْمًا كَانَ الْهِلَالُ
اكَتَفَى بِالْعَطَائِنِ الْكَلَامَ لَكِيْ نَقُولُ مَا نَقُولُ
رَيْمًا كَانَ حَسَنًا أَنْ نَفْتَقِدَهُ ثَمَّةَ أَهْلَةٍ
لَا تُحْصَى مِنْ سَمَاءِ أُخْرَى تَخْرُجُ إِلَيْكَ فِي
كُلِّ خُطْوَةٍ تَخْطُوهَا]

وَتُصْغِي إِلَى خُطْوَةِ الْغُرَابِ تُمْلِي عَلَيْكَ نَقُوشاً غَيْرَ مَرْتِيَّةٍ :
أَعْطِ ذَاكَرَتَكَ لِلْحَجَرِ
وَنَمِّ بَيْنَ شَفَتَيْهِ

الْحَجَرُ مَاءٌ ثَانٍ
يَنْتَصِرُ الْحَجَرُ مِنْهُزِماً

الْحَجَرُ فِي الْبُتْرَاءِ
رِثَةً لِلْمَادَّةِ

إِنْ كَانَ عَلَى الْعَقْلِ أَنْ يَكْسُو الْعَالَمَ
فَعَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ عَارِياً كَالْحَجَرِ

عُرِّيَ الْحَجَرُ ثَوْبٌ لِلْكِتَابَةِ
وَعُرِّيَ الْعَقْلُ ثَوْبٌ لِلْمَعْرِفَةِ
طَابَ لِي فِيمَا أُرُودُ هَذَا الْإِنَاءَ الْمُسْتَطَرَقَ الْحَجَرَ - الْبَشَرَ أَنْ
أَسْتَعِيدَ تَحْتَ شَمْسِ الْبُتْرَاءِ سِحْرَ الْبَيَانِ وَالْمَجَازِ

[«خَمَّرَ اللَّهُ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً» /
«يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ
فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»]

ذَلِكَ أَنَّنِي كُنْتُ الْمَسُّ تِلْكَ الطِّينَةَ بِيَدَيَّ وَكُنْتُ أَرَى إِلَى الْمَوْتِ
يُذْبِحُ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ
وَطَابَ لِي أَنْ أَكْرَرَ : مَا أَخَذْتُ هَذَا الْقَدِيمَ .

9

وَخِي مِنْ جِهَةِ أَوْغَارِيَتِ :
مِنْ الْحُرُوفِ الَّتِي اخْتَصَنَتْهَا الصَّخْرَةُ — الْبَشَاءُ
جَاءَتْ الْحُرُوفُ الْكُوفِيَّةُ
وَلَيْسَتْ إِلَّا نَقْشًا آخَرَ لَصَوْتِ أَرَامَ
وَالسَّلَامِ لِلضَّادِ

لِلْقَلَمِ النَّبْطِيِّ الْأَرَامِيِّ
سَلَامٌ لَهُ حَيْثُ وُلِدَ وَحَيْثُ أَقَامَ
وَحَيْثُ هَاجَرَ

10

إِلَى أَوْغَارِيَتِ يَأْخُذُنِي الْيَوْمَ هَذَا الْقَلَمُ
(هَلْ سَيَأْخُذُ مَعَهُ الْمَعْنَى وَيُوزَعُهُ عَلَى فُقَرَاءِ الشَّكْلِ؟)
لَا بِلِسَانِهِ يَتَكَلَّمُ الْحَجَرُ هُنَا بَلْ بِأَرْدَافِهِ لَهُ جُذُورٌ كَالشَّجَرِ لَهُ أَطْفَالٌ
يَلْعَبُونَ مَعَ النُّجُومِ وَالشُّهُبِ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ
السَّمَاءُ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ مَا يَقْطَعُونَ

قلتُ : السَّمَاءُ لَكِنْ كَيْفَ سَيَعْلَمُنِي هَذَا الْقَلَمُ أَنْ أَنْقِشَ أَوْ أَكْتُبَ
 سَمَاءٌ تَبْدُو كَأَنَّهَا الْآخِرَةُ؟ أَنْ أَرْسَمَ تَحْتَهَا حَاضِرًا لَا أَكَادُ أَرَاهُ
 إِلَّا مَحْمُولًا عَلَى حَصَاةٍ سَوْدَاءَ تُدْخِرُهَا يَدُ اللَّهِ؟ وَأَنْ أَقُولَ مَاضِيًا
 تَجْرَهُ الرِّيحُ؟
 وَالطِّينُ هُنَا يَرْسُمُ الرُّوحَ لَا طِينُ سُومَرٍ وَبَابِلَ وَأَرَامَ بَلْ طِينُ
 قُرَيْشٍ بَيْنَ الْوَاكِحِ شَاعِرٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ قَدَمِهِ الْيُسْرَى
 وَغَيْرِ أَسْمَاءٍ غَامِضَةٍ لِبَعْضٍ مِنْ كُتْبِهِ بَيْنَهَا قَاضٍ : رَأْسُ
 عَلَى طَبَقٍ
 لِلْمَوْتِ هُنَا حَيَاتُهُ السَّرِيَّةُ الْآخَرَى

وَيُحْكِي مِنْ هُنَا يَمُرُّ اللَّهُ كُلُّ يَوْمٍ
 إِلَى أَيْنَ تَقُودُنِي أَيُّهَا الْقَلَمُ؟
 وَمَاذَا تَفْعَلِينَ بِي أَيُّهَا الْأَبْجَدِيَّةُ؟
 بَلَوْتَنِي لِأَقُولَ بِكَ الْمَحْوُ
 لِأَسْأَلَ : هَلْ ضَيَّعَ التَّارِيخُ حَقِيقَةَ أَوْرَاقِهِ الْخَاصَّةِ؟
 هَلْ سَنَظَلُّ نَشْرَبُ مَاءً لَا نَقْدِرُ أَنْ نَرَاهُ؟
 إِلَى مَتَى تُؤَخِّدُ الشَّمَارُ مِنَّا ... نَحْنُ الَّذِينَ
 نَمْلِكُ الْجَذُورَ؟

مَاذَا تَفْعَلِينَ بِي أَيُّهَا الْأَبْجَدِيَّةُ؟

هَلْ بِقَدَمَيَّ هَاجَرَ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ؟
هَلْ بَعَطَشَ إِسْمَاعِيلُ وَتِيهِه؟
هَلْ كَتَبْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَتْفِيًا غَيْرَ شَجَرَةِ الْجَحِيمِ؟

قُلْ أَنَا الْغَرِيبُ وَأَتَقِنُ هَنْدَسَةَ الْمُنْفَى
قُلْ خَيْرٌ لِي أَنْ أَرْقِصَ مَعَ هَذَا الْعُبَّارِ
وَقُلْ سَأَكْتُبُ آخَرَ قِصَائِنِدي
عَلَى آخِرِ وَرَقَةٍ
مِنْ هَذَا الْبَرْدِيِّ الْأَخِيرِ .

11

بُلْبُلٌ فِي شَجَرَةٍ عَرَعَرٍ
[يَعْمِيرُ الْعَرَعَرُ مُضَافًا إِلَى السَّكْرِ]
نَحْصِلُ عَلَى شَرَابِ الْجِنِّ
وَالْعَرَعَرُ رَائِحَةٌ تَجِيءُ مِنَ الْأَعَالِي

لَا لِلشَّجَرَةِ يُغْنِي بِلْ لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ نَعْبُرُ بِأَكْرَأَ بَيْنَ الْعُصْنِ وَالْحَجَرِ
وَأَنْتِ أَيْتَهَا الْفَرَّاشَةُ الَّتِي خَرَجْتَ لِتَوَّهَا مِنْ قَصْرِ الْبَيْتِ ، أَلَيْسَ
لَكَ فَرَسٌ غَيْرُ هَذَا الْهَوَاءِ الَّذِي يَتَصَبَّبُ عَرَقًا؟ أَلَيْسَ
لَكَ بَيْتٌ غَيْرُ هَذَا الْقَفْصِ الَّذِي لَا تَكْفُ عَنْ نَسْجِهِ مُحَابِرُ
الْوَلَوِّ وَإِبْرُ الْمَوْتِ؟

وَحْيٍ مِنْ جِهَةِ اللَّاتِ :

حُبُّ

أَنْ نَكْتَشِفَ

مُحِيطُ الْمَعْنَى

بِسَفِينَةِ النَّوْمِ .

وَحْيٍ مِنْ جِهَةِ الْمَرْئِي :

أَعْطَيْتُ لِلرَّيْحِ أَنْ تَقُولَ الْكَلَامَ الْآخِرَ

لِلْمَاءِ أَنْ تَحْتَوِيَ النَّارَ

أَعْطَيْتُ لِلجَنَاحِ أَنْ يَقْسِمَ الْفَضَاءَ قِسْمَيْنِ -

وَاحِدًا لِلشَّهيقِ وَآخَرَ لِلزَّفِيرِ .

وَحْيٍ مِنْ لَا جِهَةَ :

مِنْ التُّرَابِ وَالْحَجَرِ

لَا مِنَ الْوَرَقِ

يَجِيءُ الْكِتَابَ

كَمَثَلِ مَا أُوحِيَ ، -

سَأَرَى بَعَيْنِ التُّرَابِ وَأَسْمَعُ بِأُذُنِ الْحَجَرِ

وَلَنْ أَعُولَ إِلَّا عَلَى مَا يَسْكُنُ جَسَدِي .

صَبَاحُ الْخَيْرِ أَيُّهَا الْجَدَّةُ الطَّيِّبَةُ

هَلْ بُنِيَ بَيْتُكَ مِنْ جَسَدِ الْأَرْضِ أَمْ مِنْ جَسَدِ السَّمَاءِ؟
الآنَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ذِرَاعَيْكَ قَوْسٌ قُرْجُ كَأَنَّهُ يَتَدَلَّى
مِنْ أَعْنَاقِ غُيُومٍ بَلَوْنِ الدَّمِ يَضَعُ رَأْسَهُ
عَلَى الْقُدْسِ وَقَدَمَيْهِ فِي نَهْرِ الْأَرْدَنِ ، -

- كَلَّا ، لَنْ أَصْغِيَ إِلَيْهِمْ

- مِيلُوا قَلِيلًا إِلَى تِلْكَ الْقَاعَةِ الَّتِي يَتَفَتَّتُ فِيهَا مِسْكُ التَّارِيخِ
وَلَسْتُ أَرَاكَ بِعَيْنِي وَخَدَهُمَا
أَرَاكَ بِشَهِيقِي وَزَفِيرِي

بِالْمُحْظَةِ الَّتِي جَفَّتْ مِنْهَا وَبِالَّتِي أَنَا فِيهَا
وَبِتِلْكَ الَّتِي تَجِيءُ فِي تَبْضٍ مَا يَجِيءُ
كَأَنَّكَ بَعْضٌ مِنِّي وَكَأَنِّي بَعْضٌ مِنْكَ

هُؤَذًا أَنَا ، وَقَدْ اتَّحَدْنَا ،

مَحْمُولٌ بِكَ إِلَى الْأَيَّامِ الْأُولَى مِنَ الْخَلِيقَةِ الَّتِي اغْتَسَلَتْ بِمَاءِ الْأَرْدَنِ
وَأَدْخَلَ مَعَكَ عَالَمًا يَمْتَدُّ بَيْنَ الْحَجَرِ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانِ وَلَا حُدُودَ لَهُ
غَيْرِ الْهَوَاءِ وَالضُّوءِ

- كَلَّا ، لَنْ أَصْغِيَ إِلَيْهِمْ

— مِيلُوا قَلِيلاً إِلَى تِلْكَ الْقَاعَةِ الَّتِي يَتَفَتَّتُ فِيهَا مِسْكُ النَّارِخِ

أَيْتَهَا الْجَدَّةُ الطَّيِّبَةُ

مَا هَذَا السِّرُّ الَّذِي يَغْلِبُ الشَّرْعَ؟ صَدَقْتَ
لَا بِالشَّرْعِ يُفَسَّرُ الْكُونُ بَلْ بِالْحُبِّ

وَهَا هُوَ جَارِكُ الْبَحْرِ الْمَيِّتُ يَصْعَدُ بَطِيناً فِي اتِّجَاهِ يَنَابِيعِهِ
مَأْزُهُ مَرِيضٌ وَلَا رَاحَةَ لِهَذَا الدِّخَانِ الَّذِي يَتَبَخَّرُ مِنْ أَحْشَائِهِ
فِي الطَّرِيقِ جَحِيمٌ وَحَوْلَهَا يعلُو كُرْسِيُّ اللَّهِ

— إِنْ أَعَزَّتْ أَذُنُكَ لِغَيْرِ مُوسِقَاهُ أَنْطَقَا صَوْتُكَ
يَصْعَدُ الْبَحْرُ الْمَيِّتُ لَا تَزَالُ الدَّرْوَةُ فِي الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الطَّرَفِ
الْأَقْصَى كَنَزْتُ الْيَأْسَ وَلَيْسْتُ الْجِرَاحَ لَكِي أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَمْلَ غَيْرَ أَنْ الْخَرِيفَ يَغْزُو الْكَلَامَ وَفِي الْخَرِيفِ
يَتَكَلَّمُ الْغُصْنُ بِخُنْجَرَةٍ جَفَّتْ فِي الْخَرِيفِ تَطْفُو أَوْرَاقُ
الْلِّقَاءِ عَلَى وَجْهِ الْمَوْتِ

— بَلَى

سَأَكُونُ أَنَا نَفْسِي رَبِّعِي الْخَاصَّ
وَسَأَكْتُبُ آخَرَ قِصَائِدِي
عَلَى آخِرِ وَرَقَةٍ

مِنْ هَذَا الْبَرْدِيِّ الْأَخِيرِ

الْمَيِّتُ الْبَحْرُ يَصْعَدُ

وَفِيهَا أَهْمِسُ أَيْتَهَا الْجَدَّةُ الطَّيِّبَةُ اخْتَضِنِينِي ، مَلَوْحاً
بِالْوَدَاعِ أَنْخِيلَ حَيَوَانَ الْمُسْتَقْبَلِ
أَنْخِيلُ ذَلِكَ الْجَسَدَ الْخِلَاسِيَّ الَّذِي يَتَمَلَّمُ فِي
أُسْرَةِ الْحَجَرِ
أُصَادِفُ رَأْسَ التَّارِيخِ
وَأُخْطِئُ
وَلَيْسَ خَطَايَ إِلَّا تَرْدَا لِيَتَذَجِّينَ الدَّهْرَ

بَلَى

سَأَكْتُبُ آخِرَ قِصَائِدِي

عَلَى آخِرِ وَرَقَةٍ

مِنْ هَذَا الْبَرْدِيِّ الْأَخِيرِ .

(عمّان - باريس 1991/10/18-1992/1/30)



... إِذَنْ أَدْعُو إِلَى تَوَاطُؤِ الْهَمْسِ وَالشَّمْسِ ، الْعُنُقِ وَالْأُفُقِ
إِذَنْ ، أَشْبَهَ غُمْدَانِ بِالنَّهَارِ ، وَبَلْقَيْسَ بِاللَّيْلِ ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا الْهَدِيلُ .

1

شَجَرُ أَيَّامِهِ عَارٍ ، وَالْجَذْرُ الَّذِي نَمَاهُ يَأْخُذُ شَكْلَ الصُّخْرَاءِ ، وَهَآ هُوَ التَّارِيخُ
يُلَفُّ بِالسَّرَاوِيلِ ، وَالْوَطَنُ يُكْسَى بِالرَّمْلِ لَكِنْ هَذَا الظَّاهِرُ لَا يَعْرِفُ
مَنْ هُوَ يَعْرِفُهُ بَاطِنٌ لَمْ يَحِنْ ظُهُورُهُ بِالْغَيَْابِ يَمْتَحِنُ
وَيَسْتَقْصِي ، وَبِاسْمِ الْحُضُورِ يَسْنُ شَفَرَةَ الْكِتَابَةِ وَيَحْزَرُ هَذِهِ الْأَرْضَ .

إِنِّهَا مُهَرَّةٌ الْحَبْرِ تَخْبُ فِي سُهُولِ الْحُلْمِ ، لَكِنْ لِأَخْلَامِهِ طَبِيعَةُ
الْجِبَالِ مَحَارَاتُ وَقَوَاقِعُ يَلْقُظُهَا مَوْجُ الذَّاكِرَةِ الزَّبَدُ يَنْعَقِدُ أَسَاوِرَ
فِي مِغْصَمِ الشَّاطِئِ ، وَالصُّخْرُ صَنَارَةُ الْهَوَاءِ وَرَأَى أَنَّ
لِأَيَّامِهِ جَسَدًا تَمْسَحُهُ الرِّيحُ بِرِيشِهَا ، وَأَنَّ ذَرَبَهُ غَابَتْ تَحْتَرِقُ

كَيْفَ يَحْزَرُ هَذَا الْأَفُقَ الَّذِي يَلْتَمِهُهُ مِنْشَارُ الرُّغْبِ؟

قال أنسلخ من أنقاضِي وأرْمِي نُرْدِي النَّبِيَّ ، -

«علي أحمد سعيد ، اسمُ يَمَانِي» ،

سَمِعْتُ هَذَا مِرَاراً والنَّفْسُ الَّذِي بَقِيَ مِنْ قَصْرِ غُمْدَانٍ يَعْرِفُ

اسْمِي والحَجَرُ الَّذِي نُصِبَ لِعَشْتَرٍ يَتَذَكَّرُ اسْمِي لِي فِي ثَرَابِ الْيَمَنِ

عِرْقُ مَا طِينَتِي قَابِلَةٌ وَغَرِيزَتِي حُرَّةٌ ، -

أنا الأسطورةُ والهواءُ جَسَدِي الَّذِي لَا يَبْلَى

هَكَذَا ذَهَبْتُ مَعَ ظَنِّي الْجَمِيلِ أنسلختُ من أنقاضِي ورَمِيتُ نُرْدِي

النَّبِيَّ /

هُودًا أَتَوَهَّجُ مَعَ رَامِبُو بَيْنَ جَمْرَةِ عَدَنَ وَتَبَارِيحِ الْمُنْدَبِ عَارِيًا

مِنِّي مَكْسُوءًا بِهَا أَضِيعُ فِيهَا وَتَتَضَوَّعُ فِيَّ -

عَدَنُ / قَدَمَاهَا مَوْجٌ

جَذَعُهَا بِرَاكِينٍ فَجَرُّهَا يَطُوفُ سَاحَاتِهَا بِقَمِيصٍ مِنْ نَارٍ وَحِينَ يَقْرَعُ

بَابَكَ مَحْمُولًا عَلَى أَجْنِحَةِ النُّوَارِسِ تَنْهَضُ وَتَجْلِسُ مَعَ شَمْسٍ تَجْمَعُ

بَيْنَ حِكْمَةِ الْغُرَابِ وَعُذُوبَةِ الْبَجْعِ تَرَى إِلَى الْبَوَاخِرِ تَتَلَوَّرُ قَبَابًا تَكْتَنِزُ

الْمُحِيطَ وَمِنْ كِتَابِهَا مَفْتُوحًا عَلَى مَدَى الزُّرْقَةِ تَسْمَعُ كَلِمَاتٍ لَمْ

تَأْلُفْهَا تُفْرِغُهَا عَلَى صَفْحَاتِ الشُّوَارِعِ رَافِعَاتٍ وَعَرَبَاتٍ / مَحَابِرَ وَأَقْلَامَ مِنْ

مَعْدَنٍ آخَرَ وَكُنْتُ أَسْمَعُ كَلِمَاتٍ أُخْرَى تَتَسَاقَطُ عَلَى الْأَرْضِيفَةِ / يَمْتَلِئُ

وَجْهُهَا بِالْجِرَاحِ وَلَا شِفَاءَ لِرُضُوضِهَا وَبَيْنَ أَسْلَاقِ الْحَدِيدِ وَأَسْلَاقِ الْقَنْبِ

يَتَصَاعَدُ الصَّنَبُ :

عَمَالٌ يَفْتَحُونَ خَزَائِنَ الْمَوْجِ
عَمَالٌ يَفْرِغُونَ وَيَفْرِزُونَ
عَمَالٌ يَحْزِمُونَ وَيُكْوِمُونَ

وَتَرَى إِلَى الْعَرَقِ يَتَدَخَّرُ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَأَغْنَاهُمْ وَتَتَمَرَّى فِيهِ كَأَنَّكَ
تَتَمَرَّى فِي مَاءِ عَالَمٍ جَدِيدٍ وَتَرَى إِلَى طُيُورِ الْبَحْرِ تَتَكَتَّبُ وَتَهْجُمُ
تُرِيدُ أَنْ تُشَارِكَ فِي هَذِهِ الضَّجَّةِ الْخَالِقَةِ وَتُنْسِيكَ طَلَاسِمَ التَّقْنِيَةِ
الَّتِي تَكْتَسِبُ الْمَدِينَةَ طَلَاسِمَ كُنْتَ تَتَوَسَّلُهَا فِي طُفُولَتِكَ لِتَقْرَأَ الْغَيْبَ

... / وَأَخَذَتْ عَدَنَ تَتَرَأَى قَصِيدَةً لَمْ تُكْتَبْ وَكَانَ رَامِبُو قَدْ حَاوَلَ ، -
اسْتَخْرَجَ حَبِيراً آخَرَ مِنْ كِيمِيَايَها ، لَكِنْ خَانَتْهُ كِيمِيَاءُ الْعَصْرِ .

3

أَتَحَدَّثُ مَعَ عَدَنَ وَتُوحِي إِلَيَّ صَنْعَاءَ تَسِيرُ مَعَكَ الْأَوَّلَى وَتُقْبِلُ إِلَيْكَ
الثَّانِيَةَ فِيمَا تَجْلِسُ حَوْلَهُمَا الْجِبَالُ كَمَثَلِ شَهْبٍ هَذَا السَّيْرِ .

صَنْعَاءُ - تَسْنُدُنِي أَشْجَارُ السَّدْرِ تُظِلُّنِي أَشْجَارُ الْعَرَعَرِ
تَحْضِنُنِي بُيُوتُ أَغْشَاشٍ تُوَكِبُنِي مَدْرَجَاتُ سَلَالِمٍ
وَحِينَ أَنْخَفِضُ فِي تِهَامَةٍ وَالْتِمِيسُ بِعُشْبِ الْأَقَالِيمِ تَتَخَطَّفُنِي
نباتاتٌ تَتَأَلَّفُ مَعَ الصَّخْرِ وَنباتاتٌ تَعْشَقُ الْمُلُوحَةَ وَتَنْفَجِرُ

أَمَامِي الْأُودِيَّةُ حُقُولاً قَيْضِيَّةٌ - وَهِيَ الْمِيَاهُ أَمَّهَاتٌ يُرْضِعْنَ
النَّخِيلَ وَالْأَثْلَ الْأَرَاكَ وَالطَّلَحَ وَيُرْضِعْنَ حَشَائِشَ لَا
تَفْقَهُهَا اللُّغَةُ

صَنَعَاءُ ، - أَسْتَسْلِمُ لِمَهْرَةِ الْحَبِيرِ وَالْقَبِي رَأْسِي عَلَى خَاصِرَةِ
أَخْلَامِيهَا : هَلْ أَهْمِسُ لِبَلْقِيسِ أَنْ تَكْسِرَ عَقْرَبَ الْوَقْتِ ؟
هَلِ الذَّاكِرَةُ بَلْقِيسُ هَلْ بَلْقِيسُ النَّسِيَانُ ؟ هَلْ بَلْقِيسُ
نَجْمَةُ الْعَصَبِ هَلْ هِيَ أَنْبِيءُ الْقَصَبِ ؟ هَلْ هِيَ الضُّوءُ تُفْرِزُهُ
شَمْسٌ لَا تَتْرُكُ أَثْرًا لِحُطُوتِهَا ؟ هَلْ هِيَ الْحَنَانُ يَذْفُقُ عَارِيًّا
وَأَغْرَزَ كَمَاءَ الْيَنَابِيعِ ؟ هَلْ هِيَ الْمُنْجَلُ يَخْصُدُ
الظَّلَامَ ؟ السُّؤَالُ يَجْمَعُ وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَرَوْضُهُ

لِي فِي تُرَابِ الْيَمَنِ عِرْقٌ مَا ،

وَالْخَرِيفُ الَّذِي يَتَسَاقَطُ مِنْ أَعْضَائِي وَرَقٌ يَكْتُبُهُ مَهَبُ
الْمَرَارَاتِ يَتَسَاقَطُ فِي خَيْطٍ يَجِيءُ مِنْ جَنَائِنَ عُلِّقَتْ بِقَدَمِي
كَوَكَبٍ تَائِهٍ ، جَنَائِنَ تَتَعَكَّسُ فِيهَا الْفُصُولُ وَتَعُومُ أَشْلَاءُ النَّهَارِ
وَاللَّيْلِ جَنَائِنُ أَجْهَدُ فِيهَا أَنْ أُعَرِّيَ الرَّقِيمَ وَالْكَهْفَ أَنْ أُلَامِسَ
نَصْلَ اللَّقَاحِ حَيْثُ يَرْقُدُ غُبَارُ الطَّلَعِ أَجْهَدُ أَنْ أَكْتَشِفَ وَحْدَةَ
الشِّفَاهِ بَيْنَ الزُّهْرِ وَالنَّحْلِ وَأَنْ أَنْقُشَ الْجَانِبَ الْآخَرَ مِنْ عُمَلَةِ السَّرِّ

لِي فِي تُرَابِ الْيَمَنِ عِرْقٌ مَا ،

هَلْ يُجْدِي هَذَا الْجَيْشُ الَّذِي أَتَقَدَّمُهُ فِي جَبِينِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَيْثُ
يَخْرُجُ طَائِرُ الرُّعْبَةِ نَحْوَ سَمْتِ مِنَ السَّرْخَسِ ودَوَارِ الشَّمْسِ؟ هَلْ
يُجْدِي ذَلِكَ الْحَزْنَ الَّذِي أَصْقَلُ صَفَائِحَهُ بِأَهْدَابِي؟ خَيْرٌ لِي أَنْ أَتَوَتَّرَ
قَوْسًا لِسَهْمٍ أَحْتَارُ فِيهِ مِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ خَيْرٌ لِي أَنْ أَرْسُمَ خَرِيطَةً
أَحْشَائِي وَأَتَنَقَّلَ بَيْنَ ثُخُومِهَا فِي هَذِيانِ أَهْنِدِسُ عِمَارَاتِهِ وَأَقْرِضُ
عَلَيْهَا ضَرْبَةَ الْمَفَاتِيحِ

هَكَذَا أَطْعِمُ كَأَثْنَاتِي خُبْزًا آخَرَ وَأَغْيِرُ آدَابَ الْمَائِدَةِ وَحِينَ يَجْلِسُ
الزَّمَنُ إِلَيْهَا أَعْدَلُ جُلُوسَتَهُ مَاسِحًا كَتِفَيْهِ بِخَنَانِ شَيْخٍ يَمُوتُ ثُمَّ
أَمْلَأُ الْكُؤُوسَ بِخَمْرَةِ الْفَجِيعَةِ وَأَنَادِمُ الرَّفُضَ

لي فِي تُرَابِ الْيَمَنِ عِرْقٌ مَا ،
أَفْدَامُ حَدِيدٍ تَسْقُفُ الْمَكَانَ نِسَاءً يَنْقُشْنَ قُبُلَاتِهِنَّ عَلَى شَفَتَيَّ
عَصْرِ يَتَغَطَّى بِالْإِسْمَنْتِ

لَيْسَ لَدِي يَزَنٌ إِلَّا أَنْ يُغَالِبَ أَسْوَاراً
يُحْتَضِرُ وَرَاءَهَا الْأَسْرَى وَالْأَنْ يُسْتَطْلَعَ الدُّرُوبُ فِي آثَارِ خُطُواتِهِمْ
لَيْسَ لَهُ إِلَّا أَنْ يُكَرَّرَ قِرَاءَاتِهِ لِابْتِجَادِ الْعُبَارِ

صَنَعَاءُ ، نَوَافِذُ بِلُطْفِ الطُّفُولَةِ مَمَرَاتُ كَأَنَّهَا الْكِتَابَةُ وَبَيْنَ الْخَطِّ
وَالْخَطِّ فَوَاصِلُ وَحَرَكَاتُ تَوَشُّوشٍ ، -
لِلقَنَاطِرِ خَيُولُ وَهَذَا الْقَوْسُ حَاجِبَانِ وَثَمَّةُ أَقْمَارٍ تَقْفِزُ مِنْ أَعَالِي

البُيوتِ وَمِنْ أَطْرَافِ الْمَآذِنِ يَنْكَسِرُ شِعَاعُهَا وَيَلْتَنِمُ غَلَائِلَ وَعَبَاءَاتٍ
وفي الأَزَقَةِ الْمَرْصُوفَةِ بِأَسْنَانِ تَارِيخٍ شَيْخٍ كُنْتُ أَتَخَيَّلُ وَقَعَ قَدَمِي
مَمْلُوءاً بِأَشْبَاحِ لَهْنٍ هَيْئَةُ الْكَوَكِبِ .

4

- «حَقَّ الْعَشْرِينَ بِعَشْرِهِ ، يَا بَلَّاشَ يَا بَلَّاشَ» / يُكَرِّرُ طِفْلٌ نِدَاءَاتِهِ يَسْحَبُ
خُيُوطَ صَوْتِهِ بَيْنَ سُوقِ الْبَزِّ وَسُوقِ الثُّحَاسِ فِيمَا يَرْفَعُ مِرَاتَهُ الصَّغِيرَةَ فِي
اتِّجَاهِ شَمْسٍ تَتَسَكَّعُ بَيْنَ الْأَرْجُلِ وفي أَرِيحٍ مِنَ الْبَهَارَاتِ تَتَشَابَكُ
الْأَسْوَاقُ أَوْرِدَةً وَشَرَايِينَ فِي هَذَا الْجِسْمِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ وَاقِعٍ وَلَا حُلْمٍ

صَنَعَاءُ ، - أَخَذْتُكَ بَيْنَ ذِرَاعِي نَمَشِي مَعَ رِجَالٍ يَرْفَعُونَ
النَّهَارَ مِظْلَةً أَحْزَانٍ مَعَ نِسَاءٍ يَحْمِلْنَ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ
هُمُومًا بَلَوْنَ الزَّبِيبِ وَلَيْسَ لِأَقْدَامِهِنَّ إِلَّا شَهْوَةٌ وَاحِدَةٌ :
أَنْ تَقْبِلَهَا الرِّيحَ

قَنَادِيلُ وَجَامِعُ أَرْوَى يَتَكَبَّرُ عَلَى رِيَاضِيَّاتِ سَبَأٍ قَنَادِيلُ
انْطَفَأَتْ وَلَهَا شَرَارَةُ الْوَحْيِ أَقْرَأُ أَسْرَارَهَا مَتْنًا مَتْنًا وَأُزْجِي
الْهُوَامِشَ وَالتَّفَاصِيلَ ثَمَّةَ عَصْفٍ مَا وَأَسْأَلُكَ
أَيُّهَا الْقَنَادِيلُ أَيْنَ السَّاهِرُونَ وَمَنْ يُمَسِّكُ بِالرُّنَادِ؟

أَوَّلُ السُّوقِ / مَهْلًا - لَيْسَ هَذَا مَاءً بَلْ دَمٌ لَيْسَ هَذَا جِدَارًا بَلْ

الْعَمُودُ الْفَقِيرِيُّ لِرَجُلٍ قَالَ مَرَّةً كَلًّا
أَجَزُ السُّوقِ / امْرَأَةٌ كَوَكَبُ ابْنُوسِي يَسْبِجُ فِي أَثِيرِ التَّنْهَدَاتِ
- «الآن نلتقي بعد؟»

تَرَكْتُ اللَّيْلَ يَنَامُ عَلَى عَتَبَةِ بَيْتِهَا فِيمَا كَانَتْ نَجْمَةً تَنْهِيًا لِكَيْ تَفْتَحِمَ غُرْفَتِي
وَتَقْرَأَ جَسَدَهَا عَلَيَّ
وَكَانَتْ الْأَسْوَاقُ تَهْدِرُ وَتَمُوجُ فِيمَا كُنْتُ أَسْتَعِيدُ قَوْلَ الْهَمْدَانِيِّ:
«لَا تَلْحَقْ بِحَسَنَاءَ صَنْعَاءَ امْرَأَةٍ مِنَ الْعَالَمِ» .

أَتَحَدَّثُ مَعَ صَنْعَاءَ وَأَتَجَوَّلُ فِي عَدَنَ ،
صَيَّادُونَ يَرْسُمُونَ ظِلَالَهُمْ عَلَى الْبَحْرِ حَضَرُ وَبَدَاءَ
يَسْتَنْطِقُونَ جَسَدَ الْمَادَّةِ وَيَرْجُونَ ذَاكِرَةَ الشَّوَاطِئِ تَنْفَرُ أَخْلَامُهُمْ أَخْصِيَّةً
تَصْهَلُ ، -

فَرَسُ شَهْوَةٍ
شُعَاعُكَ أَيُّهَا التَّارِيخُ وَقِشْرُكَ تُعَاكِسُ شَهَوَاتِنَا لَكِنَّ سِلَاحَكَ
صَدَأٌ وَنَحْنُ صَوَانُ الرُّغَبَاتِ نَخْتَارُكَ أَيُّهَا الصَّوَانُ بَيْنَ مُلْكِ
الصُّحْرَاءِ بِكَ تَسْمِينَا انْشِقَاقًا بِكَ فَكُنَّا بِكَ تَمَاسَكُنَا
وَأَنْتَ فِينَا شَقِيقُ اللَّمَاءِ (الصَّوَانُ مَاءٌ جَامِدٌ الْمَاءُ
صَوَانٌ سَائِلٌ)

أَقُولُ عَدَنَ وَصَنْعَاءَ وَأَضْمِرُ هَذَا الْمَرْكَبَ - الْمَهْدَ /

«... نَحْنُ أَسِيَا وَأَفْرِيقِيَا مَغْسُولَتَيْنِ بِمَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ مَكْسُوتَيْنِ
بِسَعْفِ الْبِيدَايَاتِ وَلَسْنَا مِنْ عَصْرِ الْمَعْدِنِ بَلْ مِنْ عَصْرِ الْإِنْسَانِ»

أقول عَدَنٌ وَصَنْعَاءُ وَأَغْنِي هَذَا الْمَرْكَبَ - المهد /
- كَيْفَ لِعُمْدَانٍ أَنْ يَظْلُ شَابًا مُنْذُ آلَافِ السَّنَوَاتِ ؟
- كَيْفَ أَجِيبُ وَأَنَا «حَصْنَتُ عُمْدَانٍ بِمُبْهَمَاتٍ؟» (كَلِيلُ الْهَمْدَانِي)
صَنْعَاءُ، - مِنْ هُنْتِهِمَا رَأَيْتُكَ فِي صُورَةٍ وَالْآنَ تَتَحَوَّلِينَ أَنْتِ الشَّوْبُ يُفْتَقُ
وَيُزْتَقُ بِرَفَقَةِ الْهَذَبِ وَمَا أَغْرَبَ الْخَلِيطُ الَّذِي يُنْسَجُ هَذِهِ اللَّحْظَةُ /

سُوقِ الْحَرِيرِ، -

امْرَأَةٌ مِنْ جِنِّ سَبَا تُوْثِيهَا تَعْرِيشُ بَطْرِ وَتَخْرِيمُ
شَهَوَاتٍ حَافِيَةً وَكُمَاهَا طَائِرَانِ
لَوْحٌ: «أَبْكَارُ النِّسَاءِ كَلِمَاتُ الْخَيْلِ
لَا يَسْمَعْنَ إِلَّا عَنْ صَهِيلٍ وَمُغَالَبَةٍ» (بَلْقِيسُ)

سُوقِ الْحَبِّ، -

نَقْشٌ: «هَذَا الْعَالَمُ لَا يَخْلُو فِي عَيْنِي
وَمَا لَا يَخْلُو فِي الْعَيْنِ لَا يَخْلُو فِي الْقَمِ» .

سُوقِ الذَّهَبِ، -

لَوْحٌ: «كُلَّ قَرِيبٍ شَاسِعٍ» .
نَقْشٌ: «يَزْهَدُ الْعَاقِلُ كَأَنَّهُ الْمَوْتُ
وَيَعْمَلُ كَأَنَّهُ الْأَبَدُ» .

سُوقِ الْفِضَّةِ ، —

نَقْشُ : «يُوقِنُ الصَّائِغُ لِيُصْلَحَ نَفْسَهُ
وَيَتَّقِنُ لِيُصْلَحَ الدُّنْيَا» .

سُوقِ الْقَاتِ ، —

رُقْعَةٌ : «تُدْرِكُ يَدَايَ مَا لَا تَرَاهُ عَيْنَايَ» .

سُوقِ الْعِطَارَةِ ، —

رُقْعَةٌ : «يَذْهَبُ عَنِّي مَا أُرِيدُ وَيَأْتِينِي مَا لَا أُرِيدُ» .

سُوقِ الزَّيْبِ ، —

نَقْشُ : «أَنَا رَاعِي الْحَيِّ فَإِذَا سَكَرْتُ ضَاعَ» .

سُوقِ الْحَنَاءِ ، —

لَوْحٌ : «مَا لَوْنُ الرَّبِّ؟» (بَلْقِيس)

لِي فِي تُرَابِ الْيَمَنِ عِرْقٌ مَا ،

أَهْبِطُ مَعَهَا إِلَى الْبِدَايَاتِ كَيْ أَحْسِنَ اكْتِشَافَ مَا يَأْتِي
شَقَائِقُ نَعْمَانِ

سِلَالُ عِنَبٍ تَنْهَضُ مِنْ أَسِرَّةِ الثَّلَالِ نَهْدَانٍ يَسْتَعْجِلَانِ
وَوَرَاءَهُمَا يَتَفَتَّتُ فَنَخَارُ الْأُزْمِنَةِ شُكْرًا لِلْحَيِّ

الْمُزْدَوِجِ شُكْرًا لِحِكْمَةِ صَوَانٍ يَسْتَوِيهِمْ أَنَّهُ صَدِيقِي

وَأَنْتَ حَازِرِي أَنْ تَبْتَرِدِي — أَعْطَيْكِ يَا أَسْرَارِي

صَنْعَاءُ ، — حَقًّا تُقْلِنِي الرِّيحَ أَتَعْلَمُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَمَنْطِقَ كُلِّ شَيْءٍ

تَسِيرُ مَعِيَ الْجِبَالُ وَتَجْلِسُ وَرَائِي الْجِنَّ .

«نُونُ وَالْقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ»

«تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمَوْنُ

دَمَوْنُ إِنَّا مَعَشَرَ يَمَانُونُ

وَإِنَّا لَأَهْلُنَا مُحِبُونَ» /

اهْبِطْ ، أَيُّهَا الشَّاعِرُ ، إِلَى الْكَثِيبِ

الْأَحْمَرِ فِي أَسْفَلِ وَادِي الْأَحْقَافِ ، وَاسْأَلْ قَبْرَ هُودَ : مَنْ أَنْتَ ، وَمِنْ آيِنِ؟

لَيْل / عَلِي

أَقْسِمُ بِهَذَا الْوَادِي ، كُنْتُ اسْتَطِيعُ مُتَوَكِّلاً عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ ، أَنْ

أَتَسَلَّقَ الْقَضَاءَ وَأَنْ أَخْتَرِقَهُ ،

وَلَسْتُ سَاحِرًا وَلَا أَدْعِي النُّبُوَّةَ .

كَانَتْ أَطْرَافِي قَدْ امْتَلَأَتْ بِلَيْلٍ حَضْرَمُوتَ ، وَازَيْتَتْ حَوَاسِي

وَكُنْتُ اسْتَيْقَنْتُ أَنَّ اللَّيْلَ فِيهَا لَيْسَ مَغِيبًا لِلشَّمْسِ وَأَنَّ السَّمَاءَ

فَوْقَهَا لَيْسَتْ قُبَّةُ الْأَرْضِ بَلْ ثَوْبُهَا الَّذِي يَلْتَصِقُ بِجَسَدِهَا -

سَيْنَ ذَاتِ حَمِيمٍ عَشْتَر

يَا لِلْجَسَدِ - هَادِرًا بِنَشِيدِ الْبِدَايَاتِ

لَا تَتَّسِعُ لِخُطَوَاتِهِ سَاحَةُ الْوَقْتِ ،

يا للَجَسَدِ مَوْجاً يُرَحِّضُ شَطَانَ التَّارِيخِ ؛

إِنِّهَا النُّجُومُ تَهْبِطُ إِلَيَّ ،

وَهَا أَنَا أَتَشَرُّدُ مَعَهَا

يَحْرِسُنِي التَّرَابُ نَفْسُهُ ،

وَسِلَاحُهُ الْخَطُّ الْمُسْنَدُ ، وَالتَّقُوشُ ، وَالتَّمَاثِيلُ ،

وَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ كِنْدَةٍ يُدَنِّدُنْ أَمْرُ الْقَيْسِ

شَفَتَاكَ ، فَاطِمُ ، عَسَلُ دَوْعِن

نَهْدَاكَ تَمَرٌ مَدِينِي

وَلَطَنِي أَنْ هَذَا الْمَدَى الَّذِي يَنْسَعِجُهُ الْمَدْرَقْدُ فَهَمُ طِينَتِي

وَأَنْتِ ، يَا فَاطِمُ ، سَأَسْمِيكَ فِي هَذَا الْوَادِي

بِاسْمِ تَجْهَلُهُ الشُّفَاةُ

وَأَنْتِ يَا جَسَدِي ، سَأَكْتُبُ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ رَسَائِلَ شَوْقِكَ إِلَيَّ الْمَعْنَى .

أَهْبِطُ أَثْنَهَا الشَّاعِرُ

الْفَضَاءُ بَيْتُ تَسْقِفُهُ أَحْلَامُ النِّسَاءِ

وَالْقَمَرُ يَتَسَلَّقُ الْجُذُرَانَ ،

وَيُوضِوُصُ مِنَ النِّوَاغِدِ ، —

وها هي الأرقّة والحقول تسهر كمثلِ الكتُب التي تختصر الطبيعة .

سيؤون تريم شيبام

أبواق من عالم آخر تصدح تحية للعناصر
الأيام تنزل على سلايمها كمثلِ الأطفال ،
ومنذ أن تصل الشمس إليها ،
تجلس على عتباتها وتتنهد كأنها لا تريد أن تنهض

أهبط أيها الشاعر ، -

أظن أن ذاكرتي تسيل في وادي الأحقاف
أظن أن الزمن ينكسر بين يدي كمثلِ قضيب يابس
أظن أن الجبال التي تظلل أحمد بن عيسى المهاجر ، جاءت تشاركنا
الدان في فندق سيؤون ، ذلك المساء ، وترقص في طرب شبيه
صوفي ،

أظن أنني قلت : لا شك أنني سليل موسيقى خرجت مرة
من حنجرة السماء ، ثم أثرت ألا تعود
- أيتها الموسيقى ،

أهلاً بك على هذه الأرض ، في دار هجرتنا الدائمة .

والآن ،

جاءت الشفافية تخمّلني وتتعالى أقدرُ أن أتحوّل أن
أتماهى ومثلما كنتُ الطيّع أقدرُ الآن أن أكون الأمر أقولُ
لكلّ طينة كوني صورةً لكلّ صورة تكوّنني أعطي للأشياء
حركاتي وأهوائي يمتلئ كلّ شيء بضياء هذه الخليقة وأكونُ
قد عريتُ الزمن /

رَمَيْتُ ثِيَابَهُ الْحِجَازِيَّةَ فِي خِزَانَةِ بَلْقَيْسِ
وَنَثَرْتُ أَيَّامَهُ النَّجْدِيَّةَ فِي مَارِبَ وَمَا حَوْلَهَا
وَأَكُونُ قَدْ أَجْرَيْتُ عَلَيْهِ مَاءَ تَكْوِينِ آخَرَ ،
وَكَسَوْتُهُ بِأَنْفَاسِ لُغَةٍ ثَانِيَةِ -

هكذا أتكلّمُ بِطَرِيقَةٍ تُجَسِّدُ

أَصْدِقَائِي شُعْرَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ (أَفْصِدُ شُعْرَاءَ الْبَصِيرَةِ وَالْهَيْامِ
وَالرَّغْبَةِ) أَقُولُ لِكَلِمَاتِي أَنْ تَنْتَشِي فِي مَكَانِهَا بَيْنَ شَفْطَيُ
وَهَذَا الضُّوْءِ الَّذِي يَجِيئُهَا مِنْ أَشْيَاءِ الْوَاقِعِ أَغْرِبُهَا بِالسَّفَرِ فِي
وَحْشِيَّةِ سَقُوطٍ لَيْسَ إِلَّا صُعُوداً آخَرَ
حَيْثُ نَرَى لِلرَّغْبَةِ جَسَداً يُولَدُ فِي الْجَسَدِ
حَيْثُ نَقْدُرُ وَرَاءَ كُلِّ حِجَابٍ أَنْ نُحْيِيَ امْرُؤَ الْقَيْسِ ،

وَنَسْتَشْفَ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ،
وَحَيْثُ نَسْمَعُ الْحَجَرَ وَالْمَاءَ يَتَحَدَّثَانِ دَائِمًا عَنْ يُوسُفَ وَامْرَأَةِ
الْعَزِيزِ ، —

«نُونٌ وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ»

«تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دُمُونٌ
دُمُونٌ إِنَّا مَعَشَرَ يَمَانُونٌ
وَأَتْنَا لَا أَهْلَنَا مُحِيطُونَ» /

سَلَامًا حَضَرُمُوت —

أَيَّتُهَا الْعَيْنَانِ السُّودَاوَانِ فِي هَذَا الرَّأْسِ الْأَزْرَقِ الَّذِي سُمِّيَ السَّمَاءَ ،
أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي تَغْتَسِلُ بِعَسَلِ دَوْعِنَ ،
حِزَامُهَا بِحَرِّ الْعَرَبِ
وَحَلْخَالُهَا الْمَوْجِ .

6

... / إنها ساعة المَقِيلِ ، — أُرِيطُ مُحَيَّلَتِي بِتِلْكَ الْخَضِرَةِ وَأُخْلِي جِسْمِي
مِنْ دَبِيبِ الْهَوَاجِسِ
مَاذَا؟ فِي قَرَارَاتِي وَخَزْ
«نَاسٌ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ثَمَنُ الرَّأْسِ مِنْدِيلٌ وَلَا شَيْءَ

إِلَّا السَّلَاحُ وَالصَّبَاحُ /

هَلْ أَجِيءُ مِنْ دَاءٍ لَا يَشْفَى؟

وَحَيْلَ إِلَيَّ أَنَّنِي أَسْمَعُ صَوْتًا يَلْفِظُهُ قِيءُ الصَّخْرَاءِ يَتَحَدَّثُ عَنْ قَمَرٍ
صِنَاعِي اسْتَقَالَ مِنَ الْجَاذِبِيَّةِ عَنْ مَسْتَوْصَفَاتٍ لِلنِّسَاءِ
الْأَلْيَاتِ عَنْ فَنَادِقٍ وَأَعْرَاسٍ لِلْقَطِطِ
وَقَرَأْتُ لِي جُذُوعَ بَشَرِيَّةٍ مَبْشُورَةٍ تَلْتَمِشُ حَوْلِي تَارَةً وَتَتَمَرِّقُ تَارَةً فِي
أَحْشَائِي وَكُنْتُ كَمَنْ يَسْبَحُ فِي شَرْقٍ تَتَّقِبُهُ بَحِيرَاتُ الدَّمِ
وَشُبَّهِ لِي أَنَّنِي فِي مَهْرَجَانِ أَغْنَاكِ تَحْتَفِلُ بِذَبْحِهَا دُونَ أَنْ تَذَرِي
وَتَمْتَنَتْ: أَنْ تَكْتُبَ هُوَ أَنْ تُهَرَّبَ الْكَلَامُ /

لَنْ تُغَرِّبَنِي أَيُّهَا الْمَلَائِكُ وَالشَّيْطَانُ أَغْلُلُ مِنْ أَنْ
يُوسَّسَ إِلَيَّ عَيْنَايَ تَفِرَّانِ إِلَى الْأَمَامِ وَقَدَمَايَ
نَشْوَةً وَرَقْصَ الْإِيْقَاعِ الْإِيْقَاعِ وَلْتَرَقْصَ فَوْقَ
رَمَادِ هَذِهِ الْأُزْمِنَةِ

هَكَذَا ذَهَبْتُ مَعَ ظَنِّي الْجَمِيلِ فَجَاءَتْ رَأَيْتُنِي اسْتَسْلِمُ لِأَلَقِ لَحْظَةٍ تَنْضَحُ
بِرَائِحَةِ عُودِ يُوَاخِي بَيْنَ النَّسْيَانِ وَالذِّكْرِ وَأَصْغِي إِلَى حَكِيمٍ يُمْلِي -
- «كَلَّا»، لَنْ تَجِدَ الطَّبِيعَةَ زُهْرًا جَدِيدَةً إِلَّا فِي
جِرَاحِنَا كَلَّا لَنْ يَخْطِي تَارِيخُنَا بِنَبْضِهِ إِلَّا فِي
مَنْفَاتِنَا» .

وَحَسِبْتُ أَنَّ آسِيَا الْعَجُوزَ تَجْلِسُ فِي رِوَاقِ أَرْوَى
وَالْفُصُولَ تَتَبَادَلُ قُمْصَانَهَا بَيْنَ ذِي يَزَنٍ وَعَشْتَارِ .

... / إنها ساعة المَقِيل ، -

أَيْتُهَا الْإِيْقَاعَاتُ الطَّالِعَةُ مِنَ الْأَوَائِلِ أَمْتَرِجُ بِكَ وَأُضِيفُ بِصِيرَتِي إِلَيْكَ
أَتْرُكُ لَأَوْتَارِي أَنْ تَصْهَرِكَ طِينَةٌ ثَانِيَةٌ وَمِنْ هَذَا الرِّوَاقِ الَّذِي نَزَعَاهُ أَصْدِقَانِي
وَأَنَا نَكْتُبُ لَتِلْكَ الْجِهَةِ الْمَطْمُوسَةِ مِنْ عُرُوبَةِ الْقَلْبِ لِأَوْلَيْكَ
الْمُسْحُوقِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ يَتَقَاسَمُونَ الرِّغِيفَ لِأَوْلَيْكَ الثَّانِيَيْنِ يَسْقُطُونَ
وَهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِالْأَعَالِي يُشَارِكُونَ الْحُقُولَ كَابَةِ الْجَذْبِ وَيُصَادِقُونَ
الْهَوَاءَ لِأَوْلَيْكَ الْمُنْبُذِينَ يَنْتَعِلُونَ الْأُودِيَةَ وَيَلْتَحِفُونَ الْجِبَالَ

... / إنها ساعة المَقِيل ، -

تَهْتَضُ فِي قَصَائِدِنَا أَبْوَابُ وَشُرُفَاتِ نَكْتُشِفُ زَوَايَا مِنْ جَسَدِ صَنْعَاءَ
لَا تَزَالُ عَصِيَّةً عَلَى الصُّورِ نَسْمَعُ كَلِمَاتٍ فِي حُجْنَجَرَةٍ عَدَنٍ لَا شَوَاطِيحَ لَهَا
- بِلَادَ نَاقَةٍ تَرَعَى أَغْشَابَ الْفِقْهِ /
الصَّخْرَاءُ تَأْبُوتُ يَتَنَقَّلُ عَلَى رُؤُوسِنَا وَاللُّغَةُ بَبْغَاءُ فِي قَفْصِ الرُّغْبِ

- كَيْفَ نَخْتَرِقُ هَذَا الرِّبْعَ الْخَالِي؟ أَيْنَ لَقْمَانُ وَحِكْمَتُهُ؟ هَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَجْدِلَ
شَعْرَ السَّمَاءِ أَعِنَّةً لِيُخْبِرُونَا؟ أَنْ نَصْرُخَ بِالنَّجُومِ مُدَى أَيْدِيكَ إِلَيْنَا؟ هَلْ عَلَيْنَا
أَنْ نَشُقَّ الْقَمَرَ؟

- مِنْ أَيْنَ لِنَمْلَأَ أَنْ تُغْرِيَ نَسْرَأُ؟

- تُناضِلُ كَمَنْ يُقَاتِلُ الْغُبَارَ كَمَنْ يَكْتُبُ أَبْجَدِيَّةَ الرَّمْلِ

كَمَنْ يَرُضِعُ ثَدْيِي الْحَجَرِ

- الْوَطَنُ قُرْنٌ يُطْبَخُ فِيهِ مَنْ يَجِيءُ لِإِيلَافٍ مَنْ يَرُوحُ

- لَيْتَ السَّمَاءَ تَمَرَّ إِذْ كُنَّا أَكْلَنَاهُ وَاسْتَرَحْنَا

- مَا أَنْتَ وَمَنْ أَيْتُهَا الشَّجَرَةُ؟

- رُبَّمَا كُنْتُ حَبْلَ سُرَّةٍ بَيْنَ رَحِمِ الْيَأْسِ وَسَرِيرِ الْغَيْبَةِ رُبَّمَا

كُنْتُ لُغَةً يَلُودُ بِهَا الْحَيُّ فِي حِوَارِهِ مَعَ الْمَيِّتِ رُبَّمَا كُنْتُ

لُونًا يُوحِدُ بَيْنَ قَوْسٍ قَزَحٍ وَقَوْسِ الْأَيَّامِ رُبَّمَا كُنْتُ إِكْسِيرًا

يَتَرَكُ لِكُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَسْبَحَ فِي شِعْرِهِ الْخَاصِ

- إِذْ مَا شَكْوَاكَ أَيُّهَا الْقَاتُ الصَّامِتُ؟

- ... أَنْ صَدِيقِي الْوَقْتُ أَقْلُ اخْضِرَّارًا مِثِّي /

هَكَذَا نَسْتَنْبِتُ قَاتًا آخَرَ لَا مِنَ الْأَرْضِ

لَا مِنَ الثَّبَاتِ بَلْ مِنَ الصَّبْوَةِ وَانْفِجَارَاتِهَا ، -

نَشْوَةٌ : حِينَ تَأْسُرُكَ الْعَاصِفَةُ اسْتَسْلِمَ ،

لَكِنْ كُنِ الْوَتَرَ الَّذِي يَعْزِفُ الرِّيحَ ،

حِكْمَةٌ : الْغُبَارُ حِكْمَةُ الْيَدِ وَالْعَتَبَةُ غَرِيزَةُ الْقَدَمِ .

أَمْثُولَةٌ : أَرْضَعَتِ الشَّمْسُ عَدَنًا وَنَسَجَتْ لَهَا غَلَائِلَ لَا تَخْرِقُهَا أَظْفَارُ الدَّهْرِ .

شَطْحَةٌ : النُّجُومُ فِي صَنْعَاءَ قَطِيعُ
وَالْقَمَرُ رَاعٍ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ وَرَاءَ سِيَاجِ الْفَضَاءِ .

مُكَاشَفَةٌ : لَكَيْ لَا تَتَعَثَّرَ فِي طَرِيقِكَ أَوْ تَسْقُطَ
قُلْ لَقَلْبِكَ أَنْ يَتَرَجَّلَ وَيَمْشِيَ أَمَامَكَ .

لي في تُرابِ الْيَمَنِ عِرْقٌ مَا /
مَنْ أَجَلٍ شَوَارِعَ تَرْتَسِمُ شَامَاتٍ فِي وَجْهِ النَّهَارِ
مِنْ أَجَلٍ لَيْلٍ يَلْبَسُ النُّجُومَ فَلَانِدَ وَأَفْرَاطاً
مِنْ أَجَلٍ أَرَاغِينَ تَضْحَكَ وَتَبْكِي فِي سِرِيرَةٍ كُلِّ شَيْءٍ
مِنْ أَجَلٍ غَرَابَةٍ تُهَيِّمُنُ عَلَى أَحْشَائِي
مِنْ أَجَلٍ أَيْدٍ تَنْسُجُ الْبِكَاءَ خِيَاماً لِلْحُلُمِ
مِنْ أَجَلٍ مَجْهُولٍ أَنْغْرِسُ فِيهِ وَتَنْغْرِسُ أُرُومَةَ الْخَلْقِ ،
أَقُولُ فِي تُرابِ الْيَمَنِ
لي عِرْقٌ مَا ،

وَأَنْتَمِي إِلَيْهِ
بَلَدًا بَلَا عُمُرٍ
كَأَنَّهُ وَجْهُ اللَّهِ .

هكذا تنضجُ في خَايِبَةِ الزَّمَنِ يَكْتُبُ دَمْنَا مَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تَمْحُوهُ
 أَيْدِينَا وَكَيْفَ أَكُونُ الْمُفْرَدَ وَمَا أَنَا، إِنْ لَمْ أَلْبَسِ الشَّخْصَ
 كُلَّهُمْ إِنْ لَمْ أَكُنْ هَذَا الْجَمْعُ؟ انظُرُوا إِلَى الْمَشْهَدِ يَتَحَرَّكُ فِيهِ
 الْخَلِيفَةُ وَالْإِمَامُ الْقَاضِي وَالْفَقِيهُ الْمُشَرِّعُ وَالشَّرْطِيُّ الْأَمِيرُ وَالْجُنْدِيُّ
 أَغْنِي يَتَحَرَّكُ الْمُتَمَرِّدُ وَالْمُرْتَدُّ الشَّائِرُ وَالْعَاشِقُ الْخَارِجُ
 وَالشَّاعِرُ الصَّغْلُوكُ وَالْفَارِسُ

وَبَيْنَ سَوْرَةِ الْقَلْبِ تَتَفَطَّرُ شِعْرًا وَسُورَةِ الذَّهْنِ تَتَلَأَلُ نَظْرًا
 أَكْتُبُ وَأُعْلِنُ: كِتَابَتِي غَوَايَةُ، - وَأُكْرِرُ: لَسْتُ الْجَوْهَرَ لَسْتُ النَّوْعَ
 النَّقِيَّ أَنَا جَوَاهِرُ وَأَنْوَاعُ مَزِيَجُ قَمَرٍ وَشَمْسٍ فِي
 لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ

وَلَحِينَ أَضْحَكُ

أَضْحَكُ لِكَيْ أَنْفَصِلَ بِفَرَجٍ عَنِ الْمَاضِي (مَارَكْس)
 مُغْلِنًا حَقِّي فِي أَنْ أَكُونُ مُتَنَاقِضًا (مَنْطِقِي أَكْثَرُ شُمُولًا مِنْ
 مَنْطِقِكُمْ الظَّاهِرِي)

وَأَنْتِ أَيُّهَا الطُّوفَانُ يَا صَدِيقِي تَقَدَّمَ

هكذا تنضجُ في خَايِبَةِ الزَّمَنِ وَتَسْتَنْبِتُ قَاتَا آخَرَ، -

صَنَاعَةٌ / «الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يُوْجَدُ لَا مِنْ حَيْثُ يُوْلَدُ»
 عَدَنُ / «الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يَنْبُتُ لَا مِنْ حَيْثُ يَنْبُتُ»

صَنَعَاءُ / الْجَسَدُ ثَقَافَةُ اللِّغَةِ وَالْحَيَاةِ أَنْ تُعَاشِرَ الْمَوْتَ
 عَدَنُ / «لِمَاذَا» هِيَ الْبِدَاهَةُ «كَيْفَ» هِيَ الْمُسْكِلَةُ
 صَنَعَاءُ / أَضَلُّكَ وَأَنَا الْهَادِي
 عَدَنُ / هَلْ أَشْتُمُ الْفَلَكَ؟
 صَنَعَاءُ / «الصَّدَاقَةُ رَضَاعٌ ثَانٍ»
 عَدَنُ / لَا سُلْطَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ سُلْطَانُ
 مَوْتَ أَنْ تَحْيَا بِأَفْكَارٍ مَاتَتْ الْأَفْكَارُ لِكَيْ تَمُوتَ مِنْ أَجْلِكَ
 وَأَنْتَ أَيُّهَا الطُّوفَانُ يَا صَدِيقِي تَقْدُمُ .

7

الْأُفُقُ جَائِعٌ وَأَنَا فِي خَلِيجِ عَدَنٍ أَخْبِزُ عَرَقِي
 أَشْجَارُ الْمُرَيْمَةِ تَبْنُ وَتَكَادُ أَنْ تُجَنُّ وَكَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ
 تَتَجَنَّبَ الْفُؤُوسَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ نَعِيقِ الْغُرَبَانِ؟
 أَسْنِدُ جِسْمِي عَلَى الْغُرُوبِ أَوْحَدُ بَيْنَ مَشَاعِرِي وَلَعِبِ الْمَوْجِ
 أَقُولُ لِلرَّمْلِ الَّذِي يَشْرَبُ الْمِلْحَ وَلَا يَرْتَوِي : مِنْ أَيْنَ لَكَ ، أَيُّهَا
 الضَّمَامُ ، هَذِهِ الْمَعِدَةُ؟
 يَا صَدْرِي ، يَا صَدْرًا بِالْآلِفِ الطَّبَقَاتِ - اكَتَنَزَ بِهَذَا النَّسِيمِ الَّذِي يَهْبُ
 فِي أَحْضَانِ الْخَلِيجِ الْعَدَنِيِّ لَوْحٌ لِنَلْكَ الْمَرَائِبَ غَيْرَ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي

تَعْمُرُ أَفْقَ الْمَاءِ وَأَوْسَعُ فِي أَثْحَاثِكَ الْمَرَافِيْ
تُوشِوْشُ الْخَالِيْجِ وَهِيَ تَغْتَسِلُ بِرُطُوْبَةِ الْمَسَاءِ
كَيْفَ يَحْمِلُ عَلَى كَتَفَيْهِ عِبَاءَ الشَّوَاطِيْ

حَقًّا ، لَكِيْ تَدْخُلَ فِي إِيقَاعِ الْيَمَنِ ،
يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ يُعْنِي الْبُكَاءُ الضَّحْكَ ، وَكَيْفَ يَنَامُ الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ
عَلَى مِخْدَةِ وَاحِدَةٍ ،
يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تَكُونُ فِي اللَّحْظَةِ نَفْسُهَا النَّهَارَ وَاللَّيْلَ ،

وَكَيْفَ يَتَحَوَّلُ الْعُبَارُ فِي خُطَوَاتِكَ إِلَى صَيَادٍ لِلْوَقْتِ ،
يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ يُكْسَرُ الْحَجَرُ كَمَا يُكْسَرُ الْجَوْزُ .

... / أَرْضُ تَكْتُبُ أَعَاجِيْبَهَا بِحَبْرِ الْمَادَّةِ الْبَحْرُ فِيهَا يَخْرُجُ مِنَ الصُّدُورِ
وَالْأَيْدِي النُّجُومُ تَطْلُعُ مِنَ الْبُيُوتِ
سَمْعًا ،

مَا الَّذِي يَقُولُهُ هَذَا الْحِزَامُ الْفِضِّي لِيَخْصِرَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ؟
مَا هَذِهِ الشَّمْسُ الَّتِي تَنْزَلُ خَفِيَّةً فِي مَلَأَةِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ؟
مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ الَّتِي تَتَحَوَّلُ إِلَى قُبَلٍ تَرْتَسِمُ هَالَاتِ هَالَاتٍ حَوْلَ
جَسَدِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ؟
كَلَّا ، لَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ النَّهَارِ الَّذِي يَعْرِفُ وَحْدَهُ كَيْفَ يَلْبَسُ لَيْلَ هَذِهِ
الْمَرْأَةِ .

نَفْهَمُ الْآنَ كَيْفَ تَسْتَنْدُ امْرَأَةً يَمَانِيَّةً إِلَى دُمُوعِهَا فِيمَا تَمْسَحُ الْغُبَارَ
عَنْ وَجْهِ الْأُفُقِ وَكَيْفَ تَلْقِي التَّارِيخَ عَلَى كَتْفِهَا كَمَنْدِيلٍ أَخْضَرَ نَعْرِفُ
الْآنَ كَيْفَ تُزْفُ عَرَائِشُ الْبَحْرِ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ نَعْرِفُ اللَّقَاحَ الَّذِي
يُوحِّدُ وَيَعْدُدُّ نَعْرِفُ كَيْفَ يَعْمَلُ الْجِبَلُ لِكَيْ يُصْبِحَ سَمَاءً وَكَيْفَ تَعْمَلُ
السَّمَاءُ لِكَيْ تُصْبِحَ شَجَرَةً نَقْدِرُ الْآنَ أَنْ نُسَمِّي الذَّاكِرَةَ سَفِينَةً وَأَنْ نَقُولَ
الْلَّيْلُ نَبْعٌ وَالنَّهَارُ إِبْرِيْقٌ وَنَزْعَمُ أَنَّ التَّارِيخَ كَثِيرًا مَا يَأْخُذُ هَيْئَةً شَاعِرٍ ضَيْفٍ
يَأْسِرُهُ الْغِنَاءُ الْيَمَانِيَّ

إِنَّهَا الْمَادَّةُ نَفْسُهَا تُطْلِقُ أَفْرَاسَ الْمُخَيَّلَةِ فِي الْجِهَاتِ الْخَفِيَّةِ مِنْ كَوْكَبِ
الْحَيَاةِ أَسْمَعُ أَجْرَاساً تَتَدَلَّى مِنْ أَعْنَاقِ الْأَشْيَاءِ أَكْتَشَفُ
الْأَسْمَاءَ الْمَرْقُومَةَ فِي كِتَابِ الْمَجْرَةِ أَرَى الْفَضَاءَ عَتَبَةً لِرَأْسِ
يَبْحُثُ عَنْ وِسَادَةٍ فِي مَجْهُولٍ مَا ،
وَلَسْتُ أَتَحَدَّثُ عَنْ الْغَيْبِ أَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الْكَوْنِ الصَّغِيرِ -
الْإِنْسَانِ وَعَنْ شَهْوَتِهِ لِكَيْ يَحْتَضِنَ الْكَوْنَ الْكَبِيرَ وَيَلْبَسَ اللَّانْهَيَاةَ

إِذَنْ مِنْ إِشْعَاعِ الْبَشَرِ وَمِنْ مَرَائِبِ الظَّنِّ أَخُذْ هَذِهِ الْحِكْمَةَ : لَيْسَ الْإِنْسَانُ هُوَ
الَّذِي يَنْوُءُ بَلْ الطَّرِيقُ وَسَوْفَ نَتَلَا فِي هَذَا الْكُسُوفِ الْعَرَبِيِّ
نَفْتَحُ طَرِيقاً آخَرَ وَنُطْلِعُ شَمْسَنَا الثَّانِيَةَ

الْلَحَظَاتُ تَزْدَهَرُ ضِدَّ الصَّخَرَاءِ وَالْأَشْيَاءُ انْفِجَارٌ صَوْتِي

الجَسَدُ أَكْبَرُ مِنْ مَكَانِهِ وَالْعَيْنُ أَوْسَعُ مِنْ فَضَائِلِهَا ، -

نَصْغِي لِكَيِّ تَقُولُنَا مَوْجَةً أَوْ يَبْثُنَا السَّحَرُ نَدَى فَوْقَ
مُخْمَلِ الْأَرْضِ أَوْ يَحْمِلُنَا الصَّبَاحُ مَاءً وَخُبْرًا وَمَنْ
يَسْأَلُ الْوَرْدَةَ مَاذَا يَقُولُ عِطْرُكِ أَيَّتُهَا الشَّاعِرَةُ؟ هَكَذَا لَنْ
يَسْأَلَكَ أَحَدٌ: مَاذَا تَقُولُ أَيُّهَا الشَّاعِرُ؟

وَبَيْنَ الْعَرَبِيِّ الَّذِي يَلْتَهُمُهُ الْعَرَبُ وَالْعَرَبِيِّ الَّذِي يَلْتَهُمُهُ الْعَرَبُ سَيَكُونُ مَكَانٌ
لِتَارِيخٍ آخَرَ ، -

انظُرُوا إِنَّهَا السَّهْلُ تَتَدَثَّرُ بِغُبَارِ الطَّلَعِ
لِأَنَّهَا الْبَرَاغِمُ تَتَخَلَّلُ فِي أَغْرَاسِ اللَّقَاحِ
«بَلَى ، لَا تَزَالُ هُنَاكَ جَنَاتُ» (مونتيرلان)

... أَنْغِمِ فِي نَوَايَايَ وَأَهْيِي حُرُوبِي ، -
مُنْخَدِرُ التَّارِيخِ يَنْعَكِسُ أَعْطِي نَشْوَةَ الْحُلُمِ لِبَصِيرَةٍ
الْعَمَلِ أَغْتَرِبُ لِأَعْرِيفِ نَفْسِي أَهْجُنُ
الْأَصَالَةِ (أَنْ تَبْدَعَ هُوَ أَنْ تَهْجُنَ) وَأَسْأَلُ مَنْ قَالَ الْعَيْنُ هِيَ
وَحْدَهَا الْبَصَرُ؟ مَنْ قَالَ اللِّسَانُ هُوَ وَحْدَهُ الْكَلَامُ؟ مَنْ قَالَ
الْيَدُ لَا تُفَكِّرُ؟

وَأَقُولُ الْجَسَدُ إِمْلَائِي وَشَرْعِي التَّحَوُّلَاتِ ، -
اِفْتَحِي صَدْرَكَ يَا مَلِيكَتِي ..

... إِذَنْ فِي انفِجارِ التَّحَوُّلِ تَبْدُو الْحَيَاةُ اسْتِعَارَةً وَالْحَقِيقَةُ مَجَازاً
إِذَنْ أَشْبَهُ غُمدَانِ بِالنَّهَارِ وَبِالْغَيْسِ بِاللَّيْلِ وَأَنَا بَيْنَهُمَا الْهَدِيدُ .

(بيروت ، 10 آذار 1983)

البداعة

1

اجلسوا لَكِيْ اَقصُّ عَلَيْكُم نَبَأَ الدُّخَانِ .

2

تَسْكُنُ الْمَدَاعَةُ وَحِيدَةً فِي بَيْتِ الْكَلَامِ
تَخْضَعُهَا قَصَبَةٌ تَصِلُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ .

فِي أَسْفَلِ قُطْبِهَا
حَيْثُ يَعُومُ طَيْفٌ لِلتَّرْجِسِ - الْاسْمُ الْعَرَبِيُّ لَزَهْرَةِ الْأَنَا ،
يَحْلُمُ التَّارِيخُ هَانِئاً
تَحْتَ هِلَالٍ تَقُوسَ فِي شَكْلِ وَسَادَةٍ تَتَكَيَّأُ عَلَيْهَا الْقَصَبَةُ
لِلْقَصَبَةِ جَسَدٌ لَيْسَ لِهَذَا الْهِلَالِ ، وَلَيْسَ لَهَا ،
هُوَ لِشَخْصٍ آخَرَ -
حَرَكَ شَفَتَيْكَ قَدْ يَكُونُ أَنْتَ ،
تَنْتَهِي الْقَصَبَةُ إِلَى الْجَوْزَةِ (اسْمُهَا كَذَلِكَ الْحَبَّةُ ، وَالتَّارِجِيلُ ،
وَالرَّمَانَةُ) ،
ظَاهِرُهَا حَدِيقَةُ أَلْوَانٍ وَزَخَارِفُ وَنُقُوشُ ،

باطِنُهَا يَمَامَةٌ تَحْمَلُ بُحَيْرَةً شَبَهَ سَوْدَاءَ
لَا أَرَاهَا ،

لَكِنْ يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَتَنِي أَرَى فِيهَا جَبَلًا مِنَ الدُّخَانِ
وَأَرَى حُورِيَّاتٍ وَأَسْرَةً ،
وَلِلْقَصْبَةِ طَرْفٌ هُوَ الْمَشْرَبُ يَتَقَطَّرُ فِيهِ الْبُورِيُّ - بَيْتُ التَّبَعِ ،
لِهَذَا الطَّرْفِ مَبْسَمٌ
حِينَ تَطْبِقُ شَفَتَيْكَ عَلَيْهِ ، تَتَذَكَّرُ التَّذِي وَالرُّضَاعَ ،
سَائِلًا نَفْسَكَ : أَلَسْتُ هَذَا الْمَزِيَّجَ مِنَ النَّارِ وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ ؟
ثُمَّ يَطِيبُ لَكَ أَنْ تُوشِوشَ جَسَدَكَ : أَنْتَ نَفْسُكَ جُزْءٌ مِنْ هَذَا النَّسِيجِ الَّذِي
يَجْمَعُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

3

يَأْخُذُكَ شَطْحُ الْعَيْنِ (هُنَا لَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ بَلْ تَنْخَطِفُ)
فِي جَمَادٍ يَلْبَسُ أَدَمِيَّةَ الْحَرَكَةِ ،
لَا تَكَادُ تَخْلُصُ مِنْ هَذَا الْغَزْوِ بِالْعَيْنِ حَتَّى يَغْزُوكَ شَطْحُ التَّامُّلِ : مَشْهَدٌ
لِتَارِيخٍ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ ابْتَدَأَ وَمِنْ أَيْنَ
أَيَّةٌ بِصِيرَةٍ
هَذِهِ الَّتِي رَأَتْ وَرَسَمَتْ أَيَّةُ يَدٍ هَذِهِ الَّتِي نَفَذَتْ وَلِمَنْ كَانَتْ الشَّفَتَانِ
الَّتَانِ قَبْلَنَا ذَلِكَ الْمَبْسَمَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى ؟
مِنْ هَذَا الْمَشْهَدِ ، تَنْبَثِقُ الْمُخَيَّلَةُ أَتِيَّةٌ مِنْ عُمُقٍ غَيْرِ مَرْتِيٍّ حَيْثُ تَتَلَاؤُ
الْمَادَنُ وَأَشْجَارُ النَّخِيلِ الْغِزْلَانُ وَالْفُ نَاقَةٌ وَنَاقَةٌ الْقُصُورُ وَالْقِلَاعُ

الدُّرُوبُ والقَوَافِلُ حَيْثُ لَا مَكَانَ لِلْمَكَانِ وَحَيْثُ الزَّمَنُ طِفْلٌ لَا يَفَارِقُ
سَرِيرَةَ أَهْوَى الشَّرْقِ أَمْ هُوَ الْكِسَانُ الَّذِي أَقْلَتَ مِنْ يَدِ الْخَالِقِ دُونَ أَنْ
يَكْتَمِلَ أَثَرُ أَنْ يَظَلَّ عَالِقاً بِشَهْوَةِ الْبَدْءِ؟
فِي السَّحَابِ الَّذِي يَتَبَخَّرُ مِنَ النَّارِ جِيلٌ نَجَسُ نَفَرًا الْأَرْضَ - وَسَطَهَا
وَأَطْرَافَهَا . الْقَرَاءُ شَيَاطِينُ رَأْيٍ مَلَائِكَةُ لُغَةٍ يُطْلِقُونَ أَجْنَحَتَهُمْ فِي فُضَاءِ
الْمَقِيلِ

وَبَيْنَ الْكَلِمَةِ وَالْكَلِمَةِ الْفِكْرَةُ وَالْفِكْرَةُ يَتَنَوَّنُ أَغْشَاشاً لَطِيبُورِ التَّارِيخِ
مَا الْغَرْبُ مَا الشَّرْقُ مَا هَذِهِ الْغُرُوبَةُ بَيْنَهُمَا؟

المَقِيل - حلقة 2

- يَتَحَدَّثُ مَعَ النَّسِيَانِ ،
وَهَا هُوَ يُلْتَقِيهِ فِي بَيْتِ الذَّاكِرَةِ .
- فَلَمَّا تَتَّسَعُ شَجَرَةُ الذَّاكِرَةِ
إِلَّا لَطِيبُورِ الْمَوْتِ
- أَلَا يُعَلِّمُنَا الشَّعْرُ أَنْ نُعْطِيَ
تَجَاعِيدَنَا لِلرَّيْحِ ،
وَوُجُوهَنَا لِلْأَفْقِ؟
- الْخَمْرَةُ الْعَجُوزُ لَيْسَتْ عَجُوزاً
- الشَّعْرُ هُوَ كَذَلِكَ يَبْكِي . .
- لَكِنْ لَا يَمْسَحُ دُمُوعَهُ إِلَّا بِمَنَادِيلِ
الْفَرْحِ

المَقِيل - حلقة 1

- لَا شَرْقِيَّةَ لَا غَرْبِيَّةَ
بَلْ نَكْهَةٌ مُسْتَقْبَلُ فِي فَمِ النَّبْوَةِ
- الشَّرْقُ الشَّمْسُ سَافِرَةٌ
وَالْغَرْبُ الشَّمْسُ مُحْجَبَةٌ
- الشَّمْسُ سَرِيرٌ فِي الشَّرْقِ
سَرِيرَةٌ فِي الْغَرْبِ
- شَرْقُنَا لَا يُحِبُّ الْمَرْأَةَ إِلَّا
مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ -
- رُبَّمَا لَكِي يَتَأَلَّفُ مَعَ الْغِيَابِ
رُبَّمَا لَكِي تَكُونُ الْمَرْأَةُ حِجَاباً لَهُ :
مَوْتَهُ قَبْلَ الْمَوْتِ

— لا يُعرَفُ الشَّرْقُ إِلَّا بِغَيْرِهِ : — اللَّيْلُ نَفْسُهُ
 أَتُرِيدُونَ أَنْ تَعْرِفُوا الشَّرْقَ؟
 — الشَّعْرُ هُوَ جَنُونَتَا الْحَكِيمِ .
 — الشَّرْقُ خَامَةٌ وَالْغَرْبُ يَصْقَلُ وَيَجْلُو
 — الشَّرْقُ يَزْرَعُ وَلِلْغَرْبِ الْحَصَادُ —
 — أَيْنَ الشَّرْقُ؟
 —

تَتَحَدَّثُ كَمَنْ يَبْنُونَ أَعْمِدَةً مِنَ الضَّوِّءِ ، فِيمَا يَبْنُونَ سُقُوفاً مِنَ
 الْغَيْمِ لَكِنْ ، وَاحِدٌ هُوَ صَوْتُنَا الْآخِرُ ، — نَحْنُ إِلَى جَانِبِ كُلِّ
 فَرِيَسَةٍ ، بِاسْتِثْنَاءِ وَاحِدَةٍ : الظَّلْمَةُ — مُمَزَّاةٌ وَمَحْمُولَةٌ عَلَى أَسِنَّةِ الضَّوِّءِ
 أَصْوَاتٌ أَصْوَاتٌ أَصْوَاتٌ
 تُحَاوِلُ أَنْ تَشْهَدَ الْأَشْيَاءَ فِي بَرِّيَقِهَا الْأَوَّلِ تَخْفِرُ فِي
 الْأَعْمَاقِ فِي ذَلِكَ الدَّاخِلِ حَيْثُ الْبَشَرَةُ أَكْثَرُ عُُمُقاً وَأَكْثَرُ عُمُوضاً مِنْ
 ذَلِكَ الطَّيْفِ الَّذِي يُسَمِّونَهُ الرُّوحَ
 أَصْوَاتٌ أَصْوَاتٌ أَصْوَاتٌ
 تَتَقَصَّى ذَلِكَ الَّذِي لَا يُرَوِّضُ وَلَا يُمْنَهِّجُ الْوَاحِدَ الَّذِي يَتَنَوَّعُ وَيَتَعَدَّدُ
 وَلَا يَتَنَاهَى الْعَصِيَّ الْقَصِيَّ

ضَعَّ شَفَتَيْكَ عَلَى مَبْسَمِ الْمَدَاعَةِ انْزِلْ فِي جَوْفِ الْوَقْتِ اسْكُنِ اللَّغَةَ
 الصَّامِتَةَ الْآخَرَى انْظُرْ إِلَى الْفَضَاءِ حَوْلَكَ يَفْتَحُ صَدْرُهُ لِسَاعَةِ الْحِكْمَةِ

ثَمَّةُ أَغْرَاسٍ فِي الدِّمِّ كَرِيمَةٍ وَعَاشِقَةٌ وَخَضِرَاءُ وَيَا لَيْلِكَ الْكَوَاكِبِ الَّتِي
تَتَطَايَرُ بَيْنَ الشَّفَاهِ سَائِرَةً عَلَى أَكْتَافِ الْكَلَامِ
بَلَى سَيَشْفَى الْوَقْتُ مَنْ جَرَّاحِ السِّنِّتِنَا وَسَوْفَ نُؤَسِّسُ لِلْحُبِّ كَيْ
يُؤَسِّسَ لِلْغَائِبِ الْقَادِرِ وَخَذَهُ أَنْ يَسْبَحَ فِي جَذُولِ الطُّفُولَةِ وَأَنْ يُوحَدَ بَيْنَ
الْجُذْجِدِ وَالطَّنْبَعِ الَّذِي هُوَ الطَّبِيعَةُ
وَسَوْفَ يُسْعِدُنَا أَنْ الْأَفَقَ لَيْسَ لَهُ كَاحِلٌ وَأَنْ لِلْجُذْجِدِ أُنُوفَةُ الرَّبَابَةِ

ثُمَّ هَا هُوَ الْعُودُ - الْبَخُورُ يُمَدُّ جِسْرَهُ بَيْنَ كَيْمِيَاءِ الْجَسَدِ وَأَثِيرِ السَّمَاءِ
فِيمَا تَنْفَتِحُ خَفِيَّةً بَيْنَ الْبُورِيِّ وَالصَّخْنِ طَرِيقُ صَوْبِ الْأَعْمَاقِ أُسْتُشِفَ
عَلَى ضِيْفَانِهَا أَوْرَاقًا تَشْهَقُ فِي رِيحِ الْهَجَرِ هَرَبًا مِنَ الْوَرَّاقِينَ وَالْكَتَبَةِ
أَوْرَاقًا تَحْمِلُ مُدْنًا مِنَ الْإِشَارَاتِ وَعَوَالِمَ عَلَى وَشَكِ الْأَنْطِفَاءِ
وَتَكَادُ الْكَلِمَاتُ أَنْ تَفِرَّ مِنْ حَبْرِهَا لَكَيْ تَخْتَبِئَ تَحْتَ إِبْطَلِكِ
إِنَّهُ شَرَقُ الْجَسَدِ ،
لَا جُغْرَافِيَةَ التَّرَابِ لَا التَّخَوُّمُ لَا خَاتَمُ الْعُبُورِ
بَلِ اللَّامَكَانُ الرَّحِمُ اللَّانْهَائِيَّةُ لِلطُّفُولَاتِ
إِنَّهُ الطَّرْسُ
أَحْكُهُ وَأَجْلُوهُ وَأَسْتَقْصِيهِ
وَأَسْطَرُّ فَوْقَهُ أَيَّامِي .

تَبِعْ جَمْرَ دُخَانٍ -

أَيْنَمَا وَضَعْتَ حَبْرَكَ بَيْنَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ يَخْرُجُ كِتَابٌ فِي الشَّهْوَةِ
لَا تَكَاذُ أَنْ تَقْلِبَ إِخْدَى صَفْحَاتِهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الْهَبَاءُ
العَرَبِيُّ وَتَصْرُخُ شُكْرًا لِهَذِهِ الْمَدَاعَةِ

بِهَا أَتَذُوقُ طَعْمَ الْحَضْرُورِ فِي دُخَانٍ يَرْقُصُ فِي أَنْفَاسٍ تَتَنَاعَمُ
حَيْثُ أَشَاهَدُ قَطْعَانَ رَغْبَاتِي تَتَسَكَّعُ عَلَى أَرْصِيفَةِ الْفَضَاءِ حَيْثُ أَسْأَلُ
نَفْسِي هَلْ أَرَعَى هَذِهِ الْقَطْعَانَ أَمْ أَتْرُكُ لَهَا أَنْ تَرْعَانِي؟
وَتَدْعُو الْهَدُوءَ وَالتَّامَلَ وَالْحِكْمَةَ إِلَى الْجُلُوسِ مَعَكَ تُصْنِغِي إِلَيَّ أَصْدِقَاءَ
الْمَقِيلِ يَتَجَاذِبُونَ أَطْرَافَ الْمَعْنَى وَكُلٌّ يَدْخُلُ فِي غِيَمِهِ الْخَاصِّ -

أَمَطِرُ ، أَيُّهَا الْمَقِيلُ ، غِيْثَ الْمَعْنَى
لَيْسَتْ الْأَرْضُ لَكِي تَفْهَمَهَا ، بَلْ لَكِي تَتَأَخَى مَعَهَا
وَلَكْ أَنْ تَشْطَحَ -

العقلُ يَدُّ بِلَا أَصَابِعَ ،
والحياةُ أَوَّلُ الْمَوْتِ .

وَيَكُونُ لَكَ أَنْ تَكْتَشِفَ شَهْوَةَ الْحَيَاةِ بِسُخْرِ
يَكْتَشِفُ لِكُلِّ يَوْمٍ شَهْوَتَهُ

وَلَيْسَ أَوَّلُ الشَّهْوَةِ كَأَخْرِهَا وَالْوَسْطُ شَهْوَةٌ مِنْ طَبِيعَةٍ ثَانِيَةِ -

مَسْرُوحٌ بِمَقْعَدٍ وَاحِدٍ
أَنْتَ فِيهِ الْمُثَلِّ وَالشَّاهِدُ ،

والمشهد نَزْدُ فوقَ سرَّةِ الحَيَاةِ .

ثاء / ثوبُ القصبَةِ يتلونُ هُوَ الأحمرُ ، بالأسودِ والأخضرِ . يَتَفَتَّتُ مِنْهُ عَطَرُ
يوشوشُ الهلالِ الذي تتكئُ عليهِ القصبَةُ حيثُ المكانُ سريرُ يتمددُ
فيه الزَّمَنُ هائِثاً

صَاد / صوتُ الماءِ في القصبَةِ مدوّرٌ
يتنقّلُ على ظهرِ هَواءٍ يتنقّلُ في غيمةٍ مِنَ الدُخانِ حيثُ يتصاعَدُ
المقبِلُ محمُولاً في عِرباتٍ تجرّها أحلامُ اليقظةِ .

قاف / القُطْبُ شَكْلٌ لضوءِ عموديٍّ باطنٍ لا يراهُ غيرُ المرِيدِ

جِيمِ راءِ / الجَوْزَةُ الرِّيحُ تخبلُ لكنْ باللذَّةِ
سَريُّكَ مِنْ أهوائي أَيْتها اللذَّةُ ،
ورِضاعُكَ مِنْ تَذيينٍ لا أَسْمِيهما .

قاف / القَفْشَةُ على النَّارِ تَاجٌ مِنَ النُّورِ
القَفْشَةُ على النَّارِ
قَنْزُحَةُ لِطائرٍ نَزَلَ لِتَوِّهِ
مِنْ حَدائقِ السِّرِّ .

أَضَعُ شَفَتَيْهَا بَيْنَ شَفَتَيْ ، عَنِيتُ الْمَدَاعَةَ ، رَامِيًا رَتْنِي فِي جَوْفِ الرَّمَانَةِ
حَيْثُ تُسْتَقْبَلُهَا رِثَةُ هَوَاءٍ يَبْدُو كَأَنَّهُ آخِرُ الْهَوَاءِ الَّذِي تَبَقَى لَنَا مِنْ فَرَادِيسِنَا
الضَّائِعَةِ

تَتَفَتَّحُ لِي فِي كُلِّ خَلِيَّةٍ مِنْ جَسَدِي أَكْثَرُ مِنْ حَاسَّةٍ اسْتَدْرِجُ تَعْبِي
وَالْمَلِمَةُ ذَرَّةُ ذَرَّةٍ مِنْ أَعْضَائِي ثُمَّ أَقْدِفُ بِهِ فِي تِلْكَ الْقَصْبَةِ حَيْثُ
يَتَدَحَّرُ وَيَهْبِطُ لَكَيْ يَغْتَسِلَ فِي رُمَانَةِ الْمَاءِ
فِي هَذِهِ الرَّمَانَةِ يَجِدُ الْجَوْفَ الَّذِي يَتَلَعَهُ مَأْخُودًا بِهَذَا الْغِيَابِ ، خِلَافًا لَجَدْنَا
يُونُسَ (وَلَا أَقُولُ يُونَانَ ، تَجَنَّبًا لِالْتِبَاسِ مُمَكِّنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَطَنِ هُومِيرُوسِ)
وَأَرَى إِلَى تَعْبِي يَنْفَصِلُ عَنِّي بَعِيدًا قَرِيبًا يَتَمَلَّمُ يَتَسَلَّقُ الْقُطْبَ
يَتَصَوَّرُ شَهْوَةً وَجُوعًا إِلَيَّ نَاقِلًا أُنَيْنَهُ إِلَى مَبْسَمِ الْقَصْبَةِ -
«الْحَيَاةُ أَوَّلًا»

وَاجْتَهِدْ أَيُّهَا الْعَقْلُ لَكَيْ تَكُونَ لَائِقًا بِهَا ،
أَفْصِلُ شَفَتِي عَنْ مَبْسَمِ الْقَصْبَةِ وَأَنْهَضُ يَنْهَضُ هُوَ خَارِجًا مِنْ جَوْفِ
الرَّمَانَةِ يَسْبِقُنِي إِلَى أَعْضَائِي يَعُودُ فِيهَا إِلَى التَّيِّهِ
أَنْزَلُقُ مَعَهُ وَأَهْبِطُ أَقُولُ إِنَّهُ الْهَبُوطُ الَّذِي يَرْفَعُ ، يَا نَفْسِي ، لَكِنْ ،
لِمَاذَا لَا أَتَذَكَّرُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، وَأَنَا فِي أَوْجِ الْغَبْطَةِ ، غَيْرِ الْعَذَابِ ؟
كَمَا لَوْ أَنَّ الْفَرَحَ لَيْسَ إِلَّا الْعَتَبَةُ الْبَهِيَّةُ لَقَصُرَ اسْمُهُ الْحُزْنُ .

أَضَعُ بَيْنَ شَفَتَيْ شَفَتَيْهَا ، عَنِيتُ الْمَدَاعَةَ ، بَادِئًا رَسْمًا آخَرَ لَخُطُوطِ

أُخْرَى طُولاً وَعَرْضاً لِهَذَا الْكُوكَبِ الْكُرْوِيِّ الْآخِرِ الَّذِي أَسَمَيْهِ الْحُلْمُ
وَأَنْتَمِي إِلَيْهِ كَأَنَّهُ بُوْبُوْ فِي عَيْنِ الْكُونِ ثُمَّ أَهْمِسُ لِلشَّخْصِ الَّذِي يَشْعُ فِي
ثِيَابِي أَنْظِرْ إِلَى الْقَصَبَةِ فِي ثَوْبِهَا الْأَخْمَرِ فِي كُلِّ خَيْطٍ وَطَنْ وَثَمَّةُ
نَوَافِدُ وَأَبْوَابُ أَنْتَ عِبْرَهَا الْقَرِيبُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَأَكُونُ كَرَّرْتُ عَلَى الشَّخْصِ الَّذِي يَشْعُ فِي ثِيَابِي أَطْبِقُ شَفَتَيْكَ عَلَى شَفَتِي
هَذِهِ السَّمِيرَاءُ قُلْ لَا غَيْبَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي يَتَدَوَّرُ بَيْنَ أَحْشَائِهَا وَقُلْ
لَا تَعْلَمُ الْكُتُبُ أَكْثَرَ مِمَّا تَعْلَمُ شَفَتَاكَ ضَعِ مِبْسَمَهَا فِي مِبْسَمِكَ تَنْفَسِ
الطَّبِيعَةَ اشْرَبْ مَا وَرَاءَهَا اسْتَرْسِلْ فِي أَحْلَامِكَ اسْتَنْفِرِ الْعَرَافَاتِ
اللَّائِي يَنْحَدِرْنَ مِنْ سَبَأٍ وَمَا قَبْلَهَا وَجَاهِرْ بِلَقِيسُ كَلَامُ وَالنَّبَأُ سَبَأٌ .

إِنَّهُ شَغَفِي يُهْرُولُ بَيْنَ الْخَيْطِ وَالْخَيْطِ إِنَّهُ اللَّوْنُ يُجَنِّسُ الْمَكَانَ يَتَبَاطَأُ
جَسَدِي يَتَسَارَعُ حُلْمِي
يَا أَغْضَائِي
هَلْ أَنْتِ السَّفْنُ أَمْ الشَّوْاطِي؟
وَأَسْتَشِيرُ جَوْزَةَ الْمَاءِ
وَيَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ لَسْتُ أَنَا مَنْ يَعِيشُ الْغِبْطَةَ بَلِ الْغِبْطَةُ هِيَ الَّتِي نَعِيشُنِي .

أَيْنَ نَجْمَتِكَ ، أَيُّهَا الْقُطْبُ ؟

أَذْكُرُ القُطْبَ عَمُودَ اللَّذَّةِ ، وقَامَةً وَعِبرَهُ نُوَاكِبُ الْمَسِيرَةِ التي
يَتَأَخَى فِيهَا الْجَمْرُ وَالْمَاءُ . آنَذَاكَ تَجْلِسُ مَعَ الْمَدَاعَةِ كَأَنَّكَ تَجْلِسُ
عَلَى مَقْعَدٍ مِنَ الدِّخَانِ يَحْمِلُهُ صَوْتُ الْقَصَبَةِ كَمِثْلِ خِيَمَةٍ عَائِمَةٍ
تَشْعُرُ كَأَنَّ أَحَدًا فِي هَذِهِ الْخِيَمَةِ يُمَسِّكُكَ مِنْ ذِرَاعَيْكَ وَيَعْلُو ، يَا
لِلْفَرَاغِ آنَذَاكَ - الْفَرَاغِ الَّذِي يَمْتَلِئُ بِنَكْهَةِ الدَّهْرِ يَا لِلْكَسَلِ آنَذَاكَ -
الْكَسَلِ الَّذِي يُقَطِّرُ الْعَمَلَ كَأَنَّهُ خَمْرَةٌ الْأَزْمَنَةِ وَمَا أَغْمَضَ الشَّهْوَةَ
آنَذَاكَ وَمَا أَبْهَاهَا .

أَيْنَ نَجْمَتِكَ ، أَيُّهَا الْقُطْبُ ؟

أَذْكُرُ لَيْسَ لِلْمَدَاعَةِ ذَاكِرَةٌ إِلَّا هَذَا اللَّقَاحَ بَيْنَ الْجَمْرِ
وَالنَّارِ لَا يُلَامِسُ أَيُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ . مَعَ ذَلِكَ يَمْزِجُ بَيْنَهُمَا
نَفْسٌ يَطِيبُ لَكَ أَنْ تَوْمَنَ بِهِ مُوَكَّدًا أَنَّهُ طَالِعٌ مِنْ فَمِ السَّمَاءِ

أَذْكُرُ فِي هَذَا اللَّقَاحِ يُعَلِّمُكَ ذَلِكَ الْفَرَاغُ وَذَلِكَ الْكَسَلُ أَنْ تَبْرِيَ الطَّرِيقَ
بِأَعْضَائِكَ أَنْ تَقُولَ لِلدِّخَانِ أَنْتَ الْغَيْمُ الَّذِي يَقْطَعُ الْمَقِيلَ نِصْفَيْنِ
نِصْفًا لَشَمْسٍ الْمَخِيلَةِ وَنِصْفًا لِقَمَرٍ الْجَسَدِ .

أَيْنَ نَجْمَتِكَ ، أَيُّهَا الْقُطْبُ ؟

أَذْكُرُ الْمَدَاعَةَ كَمِثْلِ امْرَأَةٍ تَعْقِلُ حَوَاسِهَا فِيمَا تَنْتَظِرُ مِنْ يُحَرِّرَهَا

تَبْضَةُ نَبْضَةٍ يَبْطَأُ لَكِنْ بِحُنُوٍّ كَأَنَّهُ الضَّوْءُ وَلَيْسَ مِنْ
 شَاهِقٍ بَلْ مَنْ الْقَدَمَيْنِ وَمَا حَوْلَهُمَا صُعُوداً
 رُبَّمَا آنَذَاكَ تَرَى الْحِلْمَ يَنْزِلُ عَارِياً مِنْ بَيْنِ أَهْدَابِكَ وَيَتَدَثَّرُ بِالْوَقْتِ
 رُبَّمَا تَرَى الْحَبَّ يَقِفُ بَيْنَ يَدَيْكَ مُحْفَوفاً بِحَقَائِبِهِ
 رُبَّمَا تَرَى تِلْكَ الزَّهْرَةَ غَيْرَ الْمَرْثِيَةِ فِي مَاءِ النَّارِجِيلِ تُرِيحُ ثِيَابَهَا عَلَى
 عُنُقِ الْهَيْلَالِ وَتُسْنَدُ سَاقَهَا عَلَى خَاصِرَةِ الْقُطْبِ تَارِكَةً لَتَوْبِجِهَا أَنْ
 يَتَحَرَّرَ مِنَ الْعَادَةِ حَيْثُ يَنَامُ وَيَسْتَيْقِظُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ وَقُلْ
 حَيْثُ لَا يَنَامُ وَلَا يَسْتَيْقِظُ بَلْ يَسْتَسْلِمُ لِخَدَرٍ لَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ
 الْأَرَقِّ وَالنُّعَاسِ

رُبَّمَا هَمَسَتْ أَفْرِشِي لِي سَرِيراً فِي أَعْضَائِي أَيُّهَا الزَّهْرَةُ
 وَخَدِي الْجِهَاتِ كُلِّهَا وَاكْتُبِي أَسْمَاءَهَا عَلَى وِسَادَتِي مَصْهُورَةً فِي
 اسْمِ وَاحِدٍ لَا شَرْقَ لَا غَرْبَ لَا شَمَالَ لَا جَنُوبَ ، بَلْ الْبُورَةُ
 الْعَمُودِيَّةُ الَّتِي تَتَلَاقَى فِيهَا الْأَنْهَاءُ .

أَيْنَ نَجْمَتُكَ ، أَيُّهَا الْقُطْبُ ؟

7

هُوَ ذَا مَاءِ الْجَوْزَةِ يَشْتَعِلُ بِأُخْزَانِي لَكِنْ أُخْزَانِي لَا تَلْبَسُ إِلَّا ثِيَابَ
الصَّمْتِ وَقَلَمًا يُقْرَأُ فِي وَجْهِي إِلَّا غَيْمُ الْأَسْتَلَةِ . وَعِنْدَمَا يُحَاصِرُ عَيْنِي
ذَلِكَ الْأَحْمَرُ ثَوْبُ الْقَصْبَةِ الَّذِي يَأْبَى قَلْبِي أَنْ يَرَى فِيهِ غَيْرَ الْأَزْرِقِ
الْبَنْفَسَجِ أَقُولُ لِلْوَنِ هُوَ كَذَلِكَ بَاطِنٌ وَظَاهِرٌ لَوْلَا ذَلِكَ لَغَصَّتِ
الْحَيَاةُ بِحَبْرِ الطَّبِيعَةِ وَلَكَانَ الْفَضَاءُ ضَيِّقًا عَلَى الرِّيحِ وَأَقُولُ الْمَدَاعَةُ حَيٌّ
كَامِلٌ فِي مَدِينَةِ شَهَوَاتِي وَبِالْأَشْيَاءِ فِي هَذَا الْحَيِّ - لِبَعْضِهَا غُصُونٌ
كَأَنَّهَا الْجَدَائِلُ وَلِبَعْضِهَا نَهْمٌ كَأَنَّهُ تِلْكَ الْمُوقَدَةُ نَارُ اللَّهِ .

8

يَنْبَشِقُ مِنْ مَاءِ الْجَوْزَةِ نَوْرٌ يَمْشِي فِي أَعْضَائِي يَشْطُطُ فِيمَا وَرَاءَ
الْكَتِفِ غُنْقِي سَلَّمَ يَتَسَلَّقُ الْأَفَقَ وَرَأْسِي شَمْسٌ زُرْقَاءُ .

(صنعاء - باريس ، 25 تموز - 10 آب 1990)

المداعة : هو الاسم اليميني للنارجيلة ، أو الشيشة كما تسمى في مصر .

شهوة تتقدم في فرائط الهادة

1

حَدَّثَ هَكَذَا -

سَكَائِينَ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
الْجَسَدُ يَرْكُضُ إِلَى الْأَمَامِ ، وَالرُّوحُ تَتَجَرَّجَرُ وَرَاءَهُ .

حَدَّثَ هَكَذَا -

مَطَارِقُ حَدَّادِينَ يَعْمَلُونَ دَاخِلَ الْجُمُجْمَةِ
خَرَسٌ وَانْقِرَاضُ سَلَالَاتٍ ، -
الْكُتَابَةُ حَمَضٌ لِيَدْيُولُوجِي
وَالْكُتُبُ زِيْزُفُونِيَّاتٌ .

(١)

أَيْنَ سَأَحْفُظُ أَعْيَادِي الَّتِي لَمْ تَمُتْ بَعْدُ؟
كَيْفَ أَحَرِّرُ أَجْنِحَتِي الَّتِي تَنْتَحِبُ فِي
أَفْصَاصِ اللُّغَةِ؟ وَكَيْفَ أَسْكُنُ
فِي ذَاكِرَتِي، وَهِيَ خَلِيجٌ مِنْ
الْأَنْقَاصِ الْعَائِمَةِ؟

(سَمَى اللُّغَةَ امْرَأَةً)
وَالْكِتَابَةَ حُبًّا،
وَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ أَصْدَافِ
الْمُحِيطَاتِ فِي كَلِمَاتِ الْهَذُودِ -
[وَالْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ
غَيْرِ بَلْقِيسَ وَغَيْرِ سُلَيْمَانَ].

هَلْ سَيَنْمُو بَيْنَ كَتَفِي حَجَرٌ أَوْ جَذْرٌ خَشِخَاشٍ؟ هَلِ الْحَيَوَانَاتُ السَّجِينَةُ
فِي، سَتَعْرِفُ آخِرًا طَرِيقَ الْهَرُوبِ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أُدْخَلَ فِي سُبَاتٍ وَأَنْ أَخُونُ
أَعْصَائِي؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَصْنَعَ مِنَ الرُّمْلِ سُدَادَاتٍ لِرِثَّتِي، وَأَنْ أَسْتَلْقِيَ حَجَرًا
أَسْوَدَ فِي أَبْدِيَةِ الطَّاعَةِ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَذْهَنَ جَسَدِي بِزَيْتِ الآلَةِ، وَأَنْ أَمْلَأَ
خُنْجَرَتِي بِنَعَمٍ نَعَمٍ، لَا لَا؟

كَلَّا، لَيْسَ لِي وَطَنٌ
إِلَّا فِي هَذِهِ الْعُيُومِ الَّتِي تَتَبَخَّرُ مِنْ بُحَيْرَاتِ الشَّعْرِ.
أَوَيْنِي، اخْرُسِينِي أَيُّهَا الضَّادُ الضَّادُ - يَا لُغَتِي، يَا بَيْتِي
أَدْلِيكَ تَمِيمَةً فِي عُنُقِ هَذَا الْوَقْتِ، وَأَفْجُرْ بِاسْمِكَ أَهْوَائِي
لَا لِأَنَّكَ الْهَيْكَلُ، لَا لِأَنَّكَ الْآبُ أَوْ الْأُمُّ
بَلْ لِأَنِّي أَحْلُمُ أَنْ أَصْحَكَ وَأَبْكِي فِيكَ

أَنْ أُتْرَجِمَ أَحْشَائِي
أَنْ أَلْتَصِقَ بِكَ وَأَرْتَعِشَ وَتَصْطَفِقَ أُنْحَائِي
كَمِثْلِ نَوَافِدَ بَيْنَ يَدَي رِيحٍ خَرَجَتْ لِتَوَّهَا مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، -

هَكَذَا أَتَحَوَّلُ فِيكَ إِلَى نَفْسٍ يَهْطُ مِنْ فَمِ السَّمَاءِ
وَيَنْفُخُ فِي فَرْجِ الْأَرْضِ ،
هَكَذَا أَحْضُنُكَ وَأَقُولُ - مِنْ جَدِيدٍ
أَنْتِ الْجَسَدُ الَّذِي يُسَمَّى الْغَدَ
وَعَلَى هَذَا الْجَسَدِ يُرْمَى تَرْدُ الثَّارِيخِ .

3

مِنْ أَجْلِ أَنْ أَخْلُقَ مِرَاةً تَجْدُرُ أَنْ تَنْتَسِبَ إِلَيَّ وَأَنْ أَتَمَرَأَى فِيهَا
مِنْ أَجْلِ أَنْ أُبْتَكِرَ فَرَاغاً يَتَسَعُ لَأَهْوَالِي
رُبَّمَا فَكَّرْتُ أَنْ أَلْبَسَ مَعْطَافاً يَنْصِفُ ذِرَاعَ
وَأَنْ أَمْشِيَ بِقَدَمٍ نِصْفٍ خَافِيَةٍ .
رُبَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَشُقَّ شَرِيانَ غِيَمَةٍ لِكَيْ أَرَوْيَ عَطَشِي
رُبَّمَا تَمَتَّمْتُ : الْوَطْنَ - وَاکْتَفَيْتُ بِأَنْ أَرَوْيَ تَارِيخَ دُرُوشِ
يُشْرِفُ عَلَى الْمَوْتِ كَاسِيَا قَبْرِهِ بِصَوْتِي .
أَوْ رُبَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَقْتَلَعَ بُرْجَ إِيْفَلْ وَأَزْرِعَ مَكَانَهُ شَجَرَةً يَاسْمِينٍ شَامِيٍّ
وَرُبَّمَا ارْتَأَيْتُ أَنْ أَدْعُو مِنْ جَدِيدِ آدَمَ لِكَيْ يَبْنِيَ لِحُبِّهِ بَيْتاً عَلَى الْأَرْضِ

وَيَتَعَرَّفُ عَلَى أَبْنَائِهِ ، -
 إِنَّهَا الشَّمْسُ تَمْشِي رَأْسَ الْغُرُوبِ ، وَثَمَّةَ خَمَارَاتٍ تَصْعَدُ فِي بَارِيسَ صُغُودِ
 الْعَذْرَاءِ ، -

أَعْقَدُ جَلْسَةً مَعَ مَلَائِكَةِ الْإِسْعَافِ الْعُضْلِيِّ ، -
 أَتَشَبَّهُ بِالمَاءِ وَأَنْسَكِبُ فِي جُرْنٍ أَحْزَانِي
 أَوْ
 أَتَشَبَّهُ بِالْأَفْقِ وَأَصْعَدُ إِلَى ذُرَّةِ رَغْبَاتِي .
 أَعْرِفُ - نَمُوتُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَنَوَلِّدُ مِرَاراً ، وَلَيْسَ الْمَوْتُ صَالِحاً
 إِلَّا لِكَيْ نَعِيشَهُ ،
 أَعْرِفُ - الْغَيْبُ هَذِهِ الْوَرْدَةُ
 الْغَيْبُ هَذِهِ الْمَرَّةُ
 وَالْوَجْهُ نَفْسُهُ قَفَا السَّمَاءِ .

أَعْرِفُ - غَيْمَةٌ غَيْمَةٌ
 سَتَتَصْعَدُ سَمَاوَاتِي مِنْ جَنَاتِ الْأَرْضِ ،
 وَأَهْلًا بِالتَّارِيخِ وَهَبَائِهِ :
 كَيْفَ يَنَاسُ الرَّاثِلُ وَطَرِيقَهُ الرِّيحُ ؟

لَمْ يَكُنْ وَارِداً أَنْ أَقَابِلَ رِيشَارَ قَلْبِ الْأَسَدِ ، أَوْ لُويسَ الرَّابِعَ عَشَرَ ، أَوْ حَتَّى
نَابُلْيُونُ ، هَكَذَا وَجَدْتَنِي حُرّاً

أَلْبَسُ الضَّبَابَ ، وَاسْتَمْتَعُ بِرُؤْيَا كِلَابٍ تَفْتَرِشُ نُهُودَ النِّسَاءِ .
لَكِنْ ، لَا أَذْكُرُ أَنَّنِي لَمَحْتُ نَجْمَةً وَاحِدَةً تَرْقُصُ أَوْ تَقْرَأُ أَوْ تَمْشِي كَمَا كَانَتْ
تَفْعَلُ النُّجُومُ عَادَةً فِي أَيَّامِ طُفُولَتِي ،
كُنْتُ مُضْطَرّاً أَنْ أَتَخَيَّلَ نُجُومَ قَصَابِينَ وَأَنْ أَهْتَدِيَ بِهَا ،
فِيمَا أُطُوفُ الشُّوَارِعَ ، وَأَسْمَعُ أُنِينَ الْبَشَرِ يَهْدِرُ
حَوْلَ السَّيْنِ ، وَلَا مَصْبَ لَهُ .
إِلَى الْمَقَهَى جَاءَ - (الدُّومَاغُو ، أَظُنْ) ،

جَاءَتْ مَعَهُ كَنيسةُ السَّانِ - جِيرْمَانُ
جَاءَتْ سَمَاءٌ بِعَمُودٍ فَقْرِيٍّ مَسْلُوكِ
جَاءَ جَانُ جِينِيهِ يُقْنِعُهُ أَنْ يُصَالِحَ اللَّهَ لِسَبَبِ لَمْ يُقْنِعْهُ :
(أَنْ يَكْتَشِفَ جَحِيمَ الْجَنَّةِ)
جَاءَتْ أَرْضٌ لَا تُرِيدُ أَنْ تَرَى السَّمَاءَ
جَاءَ مُشْعِبْدُونُ يَتَسَلَّقُونَ النُّجُومَ
جَاءَتْ أَصْوَاتُ مَلَأَى يَقْرَأَاتِ
الْغَيْبِ فِي الْعَالَمِ
الثَّالِثِ الْعَرَبِيِّ ، -

(ب)

(في أولي ،
يَبْدُو الْعَالَمُ الثَّالِثُ فَيَلَا أَعْرَجَ
يَهْبِطُ مِنْ مِظْلَةٍ تَبَثَّ مَا يُشْبِهُ
هَذَا الْكَلَامَ : «بَارِيسُ تَغْفِدُ أَحْلَافًا
جَدِيدَةً مَعَ الْكَوَاكِبِ ،
وَتَتَعَلَّمُ ثَوْرَةَ الشَّمْسِ» .
ثُمَّ يَتَحَوَّلُ الْفِيلُ ، بِقُدْرَةِ مَا ،
إِلَى جَذْوَلٍ مِنَ الدَّمِ
يَتَشَرَّدُ فِي الْبُيُوتِ وَالْحَوَانِيتِ .)

[(كَيْفَ أَزَيْنُ لِلْعَزَالِي أَنْ
يُنَوِّرَ عَقْلَهُ بِضَوْءِ
نَيْتَشْه ؟
مَعَ ذَلِكَ ، سَأَذْكُرُهُ :
مُنْذُ النِّشَاءِ ،
تُسَافِرُ إِلَى الْعَالَمِ ،
وَلَمْ تَصِلْ بَعْدُ .)]

5

فِي الْمَقْهَى
كُنْتُ أَسْمَعُ الضَّجِيجَ لَا مَبَالِيَا
فِيمَا أَقْرَأُ نَيْتَشْه وَأَحْسِبُهُ طُوفَانًا ، —
حَقًّا ، يَنْبَغِي أَنْ أُذْعِنَ لِطُوفَانِ الْمَعْنَى
يَنْبَغِي أَنْ أَصَادِقَ الشَّمْسَ مَائِلًا كَدَوَارِ الشَّمْسِ
يَنْبَغِي أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِنِيلُوفَرِ الرَّغْبَةِ فِي بُحِيرَةِ الْجَسَدِ
يَنْبَغِي أَنْ أَفْرَغَ نَفْسِي كَطِفْلَةٍ أَهْيَاهَا لِلْمُسْتَقْبَلِ .

هَلْ رَأَيْتَ الشَّاعِرَ - يَخْتَلِطُ وَجْهَهُ
بِالصَّبَاحِ
خَالِطاً قَدَمَيْهِ بِاللَّيْلِ؟
هَلْ رَأَيْتَهُ - يُسْنِدُ ظَهْرَهُ عَلَى الضُّوءِ ،
وَيَحَاوِلُ
أَنْ يُشْعِلَ الْمَاءَ؟
هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ تَتَحَوَّلُ أَوْرَاقُهُ تَيْجَاناً
لِلرَّيْحِ؟

(ت)
(... فِي مَكَانٍ - لَهُ شَكْلٌ طَائِشٌ
الْهَوَاءِ .
خَيْثُ الزَّمَنِ كَلِمَاتٌ - جُودِرَ أَنْ يَكَادُ
المَلَاطُ
الَّذِي يُثَبِّتُهَا يَذُوبُ كَالْحَبْرِ .
... تَمْسُكُ مِنَ الْوَرَقِ لِئَلَّا يَكْشُوتَ -
وَحِيداً .
تَمْتَلِكُ لِحْصَانَهُ - وَحِيداً ،
وَالْهَوَاءُ عِبَادَتُ تَتَلَكَّى مِنْ سَمَاءٍ يَلُونِ
الرَّمَاصِ .)

كَانَ الْجِنْسُ يَأْخُذُ الْعَوَشَ ،
كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ لَأْفُونَتَيْنِ ذِقَابٌ تَكْمُنُ لِطَرَائِدِهَا فِي قُرُورِ الْكَلِمَاتِ ،
كَانَ مُتَشَرِّدُونَ يَتَوَسَّلُونَ أَعْنَاقَ زُجَاجَاتٍ فَارِغَةٍ ، -
بَعْضُهُمْ يَهْجُو مَا لَأَرَمِيهِ ،
بَعْضُهُمْ يَحْلُمُ بِرَأْمِيهِ ،
وَبَعْضُهُمْ يَقْرَأُ الْمَرْكِيزَ دُوسَادَ
وَكَانَ الْحَيُّ السَّادِسَ عَشَرَ يَتَرَاءَى كَمِثْلِ غَابَةِ لَا تَتَحَرَّكُ فِيهَا إِلَّا رُؤُوسُ تَقِيمٍ
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مُتَّحِفًا لِلْأَعْضَاءِ الْجِنْسِيَّةِ ،
وَفِي رَمَادٍ يُعْطِي وَجْهَ الْفَضَاءِ ، كَانَتْ حِبَالٌ صَوْتِيَّةٌ تَدْنِدُنُ بِمَا يُشْبِهُ النَّدِيرَ -
رَأْمِيهِ ،

كَيْفَ أَعْبُرُ هَذَا الْعَالَمَ الْأَبْيَضَ ، - أَنَا الَّذِي جَسَدُهُ النُّبُوَّةُ وَبَيْتُهُ الصَّحْرَاءُ ؟
كَيْفَ أَشْرَحُ بِكَلِمَاتٍ تَجِيءُ مِنَ الْعَالَمِ ،
ضَوْءاً يَجِيءُ مِمَّا وَرَاءَهُ ؟
لَا بُدَّ ، لَا بُدَّ .

سَأَبْتَكِرُ عِلْمَ أَخْلَاقٍ خَاصَّاً بِي ،
سَأَجْعَلُ مِنْ مَوْتِي قَصِيدَةً أَفْتَحُ بِهَا حَيَاتِي .

7

(ث)

(... هَذَا مَا قِيلَ عَنِ الْعَدُوِّ)
يُهَيِّئُونَ غُبَارَهُمُ الذَّرِّيَّ / تُرَدِّدُ صَلَاةَ الْمَوْتَى
وَتَعْقِنُ الْمَبِيعُضَ الزَّمَنِيَّ
مِنَ الْمَاءِ إِلَى الرَّمْلِ - مِنَ الرَّمْلِ إِلَى التَّلَجِ
الْعَالَمُ كُلُّهُ سَمَكَةٌ لِلصَّيْدِ :
الآتُ تَحُولُ الْبَشَرَ إِلَى حَسَاءٍ أَرْجُوَانِي
فِي شَرْقٍ مُؤَثِّثٍ بِالْهَيْةِ لَا تَرَى مِنْهَا
غَيْرَ اضْطِلَافِهَا .
فِي غَرْبٍ لَمْ يَعْذُ يَقْرَأْ إِلَّا أَمْعَاءَهُ
وَأَنْبِيَاءَهُ ،
وَهَا هُوَ يَنْخَسِفُ تَحْتَ أَهْرَاءِ الْبِذَارِ
الْإِلَيْكَتُرُونِي .

الشَّرْقُ جُرْحٌ وَلَمْ تَعُدِ السِّيَاسَةُ إِلَّا تَقِيحاً
لَكِنْ ، سَتُمْطِرُ أَيْضاً فِي الْغَرْبِ
سَتُمْطِرُ فَوْقَ بُيُوتٍ تَنْمُو فِيهَا أَعْشَابُ الدَّيْزَلِ وَالْأُورَانِيُومِ
وَسَوْفَ يَكُونُ الْمَطَرُ مُوحِلاً وَأَسْوَدَ .

8

أوه - كَلْبَةُ السَّيِّدِ تَتَبَوَّلُ عَلَى الْأَنْفَالِيدِ ،
أوه - كَلْبُ السَّيِّدَةِ يَزِرِقُ عَلَى مَخْدَةِ قَوْسِ النُّصْرِ .

9

(ج)

(مِنْ الْجِهَاتِ كُلِّهَا ، تَتَقَاطَرُ هُيُومٌ سَوْدٌ ، -
الْأَعْيَادُ الَّتِي لَمْ تَمُتْ تَكَادُ أَنْ
تَمُوتَ ،
وَالذَّرَّةُ ذُبَابَةٌ تَطِنُ زَاحِفَةً عَلَى
جَبْهَةِ الْوَقْتِ /
يَاللَّيْلُ الْخَبِيرُ السَّرِي - تَأْكُلُهُ الْجُرْدَانُ
الْإِلَيْكُتْرُونِيَّةُ) .

مَيِّتٌ أَعْطَى مَيِّتٌ أَخَذَ ،
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، وَالَّذِي
نَفْسُهُ بِيَدِي ، يَتَّحِدَانِ فِي
جَوْقَةِ الْكَلَامِ - فِي شَفَا
جُرْفٍ هَارٍ
هَلْ هَذَا الْعَالَمُ شَيْءٌ آخَرُ
غَيْرُ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ؟

(ح)

(يَتَّبِعُنِي أَنْ يَتَعَوَّدَ شَاعِرُ الْغَرْبِ ، هُوَ أَيْضاً ،
أَنْ يَتَّكِيَ عَلَى الطَّلَلِ ،
وَأَنْ يَكْتَسِبَ عَلَى الرُّمْلِ .
يَتَّبِعُنِي أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يُوَحِّدُ بَيْنَ الثَّرَيَّاقِ
وَالسُّمِّ
وَأَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَحُلِّمَ مَا
لَا يُمَكِّنُ حَلَّهُ ،
يَتَّبِعُنِي ، هُوَ أَيْضاً ،
أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَشْكُرُ الرِّيحَ) .

وَأَنْتِ ، إِلَيَّ وَلِيْمَةُ الْمِخْنَةِ ، أَدْعُوكَ آيَّتُهَا
السَّيَّارَاتِ الْعُلُويَّةِ إِلَى تَحَرُّكِهَا الْأَظْفَرِ ،
التَّارِيخُ مُتَبَلِّ بِعَظَّارَيْنِ يُزَيِّنُونَ الْأُويَّةَ
وَالْعَمَلُ كُلُّهُ كَسِيفٍ فِي الْمَاءِ .

هنا ، حيثُ تُبْنَى أَعْشَاشُ الْيَسَارِ

وَيَبِيضُ الْيَمِينِ ،

أَرَى إِلَى الْوَقْتِ يَتَكَدَّسُ بَارُوداً

أَبْيَضَ ، فِيمَا أَقْبَسُ الْأَعَالِي

الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَرْقَى إِلَيْهَا طُيُورُ

الْحُلُمِ ، وَفِيمَا يَتَوَضَّأُ جَامِعُ الْحَيِّ

الْخَامِسِ ، دَاخِلاً فِي بَيَاضِ الصَّلَاةِ ،

(خ)

(« مَا هَذِهِ النِّسَاءُ ، مَا هَذِهِ الْكُتُبُ ! »)

يَتَعَجَّبُ النَّائِرُ الضَّيْفُ الَّذِي لَا يَلْبَثُ

أَنْ يَضِيعَ كَمِثْلِ نُقْطَةٍ ، فِي سَطْرِ ،

فِي هَامِشٍ ، فِي زَاوِيَةِ مَا .

— هَلِ التَّصَوُّقُ حَلَقُكَ بِهَذَا

الِاسْمِئْتِ؟ هَلِ تَقْلُصُ طَوَفَانِكَ فِي

هَذَا الْمَقْهَى؟

وَمَاذَا يَحْتَرِزُ لَصُخْرَاكَ ، غَيْرَ الرَّمْلِ ،

هَذَا الْأَطْلَسُ الْقَرَبُ؟

وَلِمَاذَا لَا يُسْمَعُ صَوْتُكَ إِلَّا حِينَ

يَجِيءُ طَالِعاً مِنَ الْقَصَبِ الَّذِي

لَا يَزَالُ يَنْبُتُ حَوْلَ مَا تَبَقَّى لَكَ مِنْ

الْيَنَابِيعِ فِي أَرْضِكَ الْكَرِيمَةِ؟

أَيُّهَا الضَّيْفُ الْغَامِضُ : رَجَاءٌ لَا

تَتَعَجَّبُ أَيْضاً ، إِذْ أَقُولُ لَكَ : اغْمَلْ

قَبْلَ أَنْ يَسْتَضِيْفَكَ الْمَوْتُ ، لِكَيْ

تَمُوتَ ، لَا كَمِثْلِ فَرَّاشَةٍ ، بَلْ كَمِثْلِ

وَرْدَةٍ .

وَفِي الصَّبَاحِ ، إِذْ يَسْعُلُ بُولْفَارُ السَّانِ مِيشِيلُ ،

وَتَلْتَطِمُ أَحْشَاؤُهُ بِأَقْدَامِ الْمَارَّةِ ، يَحْلُو أَنْ

أَرَى السَّمَاءَ تَنْزَلُقُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْ ،

وَأَنْ تَمُوءَ

قِطَّةٌ شَارِدَةٌ فِي أُذُنِ الرِّيحِ ،

وَأَكَادُ لَا أَرَى فِي بَارِيسَ إِلَّا شَخْصَتَيْنِ :

وَاحِدَةً يَحْلُمُ نَائِهَا فِي ذُرُوبِ آيَارِ 68

وَأُخْرَى يَسْتَلْقِي بَيْنَ طَنَافِسِ الْقَرْنِ السَّادِسِ

عَشَرَ .

كَيْفَ أَصَالِحُ إِذَنْ ، بَيْنَ رَمَادِ بَارِيسَ وَشَمْسِنَا

الَّتِي تَقْطُرُ دُمَاءً؟ كَيْفَ الْأَثَمِ بَيْنَ شَاطِئَتِي

بَحْرِنَا الْمُتَوَسِّطِ الْمُشْتَرَكِ ، فِيمَا نَتَعَثَرُ

بأباطرة العَبَثِ ، وَنَخْلَعُ سُلْطَانَ الْمَعْنَى ؟ كَيْفَ
أَوْفَقُ بَيْنَ بَرْجِ إِيْفَلْ وَالْمَسْئَلَةِ الْمِصْرِيَّةِ فِي
سَاحَةِ الْكُونْكَورد؟

أَقْسَمُ إِنَّهُ بَارِدٌ وَشِبْهُ مَيِّتٍ
أَقْسَمُ إِنَّهَا أَجْمَلُ عَاشِقَةٍ ، وَأَنْ قَامَتْهَا
هِيَ الْأَلِفُ الْحَقُّ .
أَقْسَمُ إِنَّ سَرِيرَ الْحَضَانَةِ الْبَشَرِيَّةِ
لَمْ يَعْرِفْ عَرِيًّا أَبْهَى .

10

(د)

1 - (قُلْ جَاءَ الْوَقْتُ بِمَوَائِدِهِ ، -
الْحَيَاةُ حَصَائِثُهَا الَّتِي تُطْلِعُ
وَالْمَوْتُ لَحْمَةُ النَّيْمِ)

2 - (قُلْ الْكَلَامُ خَلِيقَةُ الْوَرَقِ ،
نُبُوَّةُ الرِّيحِ .)

باريس ،

ضَوْءُكَ يَكَادُ أَنْ يَخُونَنِي

(يَجْلِسُ الْقَرْفَصَاءُ /

يَسِيرُ عَلَى عُكَّازَيْنِ) ،

هَلْ أَقُولُ لِبَسَاطَةِ الْمُخَيَّلَةِ أَحْمِلْنِي؟ -

أَهْبِطُ فِي مَوْثَمَاتِزْ ، عَلَى عَتَبَةِ

السَّاكِرِي - كُورْ ، فِي صَخْنٍ يَبْضَوِي

يَحْمِلُهُ خُرُوفٌ مِنَ الْقُلُوسِ ،

أَتَعْرِفُ عَلَى جَاكَ سِيمُونُ الَّذِي رَبَّى الْمَاعِزَ فِي عُرْفَتِهِ ،
أَرَى أَشْخَاصاً كَمِثْلِ السَّيِّدِ يَسُونُ
وَالسَّيِّدَةُ زَوْجَتَهُ «يُزَيِّنُونَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَيُهَيِّئُونَ مَأْتِمَهَا» ،
أُزَوِّرُ مَقْبَرَةً (سِرِّيَّةٌ - خَوْفَ أَنْ تُنْبَشَ الْجُثَّةُ) ،
أَجْلِسُ فِي مَقَاهٍ تُذَكِّرُ بِمَقْهَى الْعُمَيَّانِ
فِي أَرْوَقَةِ الْبَالِيَةِ - رُوبَالٍ ، مَعَ مُتَعَبِينَ
مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ،

(ذ)
يَنْقُشُونَ السَّاعَاتِ كَالْقَطْرِ . (يَاخُذُ السَّمَاءَ مَصْلُوبَةً عَلَى قَامَةِ أُنْدَرِيه بَرُوتُونِ .
وَيَتْرُكُ لِنَجْمَةِ خَائِفَا ضَوْءَ السُّورِيَالِيَةِ
أَنْ تَبْكِيَ عَلَى ذِرَاعَيْهِ .)

بَارِيسُ ، لَمَمْتُ أَنْحَاءَكَ الْمُتَنَاهِرَةَ فِي أَغْضَائِي ،
وَابْتَكَّرْتُ لَكَ جَسَدًا

(ر)
أَلَيْسَ فِينِيْقُ الْمَعْدَةُ بَلِ التَّخَيُّلِ ،
إِذَنْ ، مَا نَفَعُ أَنْ تَقْرَعُوا رَأْسَ مَارْكُسَ
كَمَا يُقْرَعُ الْبَابُ ، وَأَنْ تَتَخَلَّلُوا
مِنْ قَامَتِهِ سُلْعًا لِلصُّعُودِ ،
إِنْ كَانَتْ الرَّغْبَةُ سَتَظِلُّ عِزْلَاءَ ،
إِنْ كَانَ الْحَلْمُ سَيَبْقَى نَهْرًا مُتَجَمِّدًا؟ بِاضْطِرَابٍ ،
أَلْقَى هَذِهِ الْمُوعِظَةَ فِي سَاحَةِ الْبَاسْتِيلِ ،
[كَانَ بَيْنَ الْحُضُورِ سَانٌ - جُوسْتُ ،
وَرُبْسْبِير ، وَدَانْتُون ، وَبَقِيَّةُ الْخَلْفِ]
وَارْتَفَعَ صَوْتُ يَقُولُ : سَحَقًا لِلْفِرَاقِ
الَّذِي يَنْتَلِعُ الذَّاتَ وَالْحُنْجَرَةَ ،
وَاخْتَلَّتْ أَصْوَاتُ تُرَدَّدُ : آمِينَ!

(الرُّوحُ شَبِيحٌ لَا يَنْطَلِقُ ،
وَالْجَسَدُ ، وَحْدَهُ ، يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَ الْجَسَدُ) .

وَهَا أَنَا أَقْتَفِي خَطَوَاتِ الْأَحْدَبِ ،
لَا الْأَحْدَبُ الَّذِي نَامَتْ بَيْنَ
يَدَيْهِ نُوتَرْدَامَ ، بَلِ ذَلِكَ الَّذِي

لَا يَزَالُ يُظْهِرُ ، كُلَّ يَوْمٍ ، شَبَحاً
يَزْحَفُ عَلَى أَرْضِ صِفَةِ السَّانِ - مِيشِيلُ ،
وَيَتَقَوَّسُ فَوْقَهُ اللَّيْلُ فِي الْحَيِّ السَّادِسِ
عَشَرَ ، حَيْثُ الذَّكَرُ يُسْتَانُ حَيَوَانَاتٍ ،
وَالْأُنْثَى حَدِيقَةً لِنَبَاتَاتٍ خُنْثَى .

أَقُولُ هَامِيساً : شَبَحٌ وَأَسْأَلُ : نِزْفَالُ
هَلْ كَانَ الْحَبْلُ نَاعِماً ، كَمَا اشْتَهَيْتَ؟

فِيرْلِينُ!
انْظُرْ ، إِنَّهَا ذِرَاعُ الشَّعْرِ تَنْحَدِرُ مِنْ قِمَّةِ الْأَوْبُرَا ، حَامِلَةً الْقِيَارَ الذَّهَبِيَّ .
وَانْظُرَا إِنَّهَا تَتَحَطَّمُ حَيْثُ عَبَّرَ جُثْمَانُكَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى عُرْفَتِهِ الْأَخِيرَةِ .

وَكَانَتْ «أَعْيَادُكَ الْعَاشِقَةِ» تُرَافِقُ الْعَرَبَةَ الَّتِي نَقَلْتَ بِرْلِيُوزَ إِلَى مِقْبَرَةِ
مُونْمَارْتَرْ ، وَتُصْنَعِي إِلَيْهَا تَحْمِيمَ الْوَدَاعِ .
أَقُولُ هَامِيساً : شَبَحٌ ، فِيمَا أُنْعَطِفُ نَحْوَ كَنِيسَةِ السَّانِ - جِيرْمَانُ ، لِكَيْ
أَحْبِي أَبُولْلِينِيرَ :
سَلاماً ، أَيُّهَا الشَّبَحُ ، أَنْتَ أَيْضاً .

بُرْجُ إِيْفَلْ نُوتِرْدَامْ اللُّوفِرْ

هَلْ أَحْلَمْ؟ - لَمْ يَعُدْ بُرْجُ إِيْفَلْ فِي مَكَانِهِ
وَهَا هُوَ اللُّوفِرْ يَزْحَفُ نَحْوَ الشَّاطِئِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْمُتَوَسِّطِ
كَأَنَّهُ يُرِيدُ ، هُوَ أَيْضاً ، أَنْ يَقْتَفِيَ خُطُواتِ الإسْكَنْدَرِ ،
وَهَا هِيَ نُوتِرْدَامْ تَنَامُ ، فِيمَا تَبْتَهَلُ وَتُرَبِّتُ عَلَى كَتَفِ
السَّمَاءِ لِكَيْ تَتَّخِذَهَا وَسَادَةً لِأَحْلَامِهَا .

بُرْجُ إِيْفَلْ نُوتِرْدَامْ اللُّوفِرْ

جَامِعُ الْحَيِّ الْخَامِسِ

أَتَمَثَّلُ يُرِيدُ أَنْ يَقْنَعَنِي أَنْ عَذْرَاءَ مِنَ الْعَرَبِ هِيَ الَّتِي حَبَلْتُ بِالْعَقْلِ لِلْمَرَّةِ
الْأُولَى؟

وَلِمَنْ هَذَا الْقَوْلُ : «هَكَذَا تَكَلَّمَتِ الْمَعْدَةُ :

نُسَمِّي الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ خَصْمَيْنِ ،

وَالْغُبَارَ حَكَمًا؟»

ثُمَّ أَنْظِرْ إِلَى الْوُجُوهِ وَأَقُولُ :

الْجَمَادُ لَيْسَ فِي الْجَمَادِ ، بَلْ فِي الْإِنْسَانِ .

ثَوْتَرْدَامُ جامع الحَيِّ الخامس

أَبِيكَ ، يَا مَلَائِكَةَ الْجَحِيمِ ،
لَنْ تَجِدِي بَعْدَ الْآنَ زَائِرًا تَسْتَمْتِعِينَ بِشَوَائِهِ :
أَفْوَاجًا ، أَفْوَاجًا — تَمْضِي إِلَى النُّعِيمِ الْحَيَوَانَاتُ كُلُّهَا ، نَاطِقَةً وَعَجَمَاءَ .

12

حَدَّثَ هَكَذَا
وَلْتَنْفَجِرْ ذَاكِرَةُ السَّلَالَتِ ، —

<p>بُودَلِيرُ</p> <p>مَلَائِكَةُ جَامِدُونَ فِي أَنْحَاءِ ثَوْتَرْدَامِ يَخْتَاجُونَ إِلَى أَجْسَادِ أَنْثَوِيَّةٍ لِكَيْ يَعْرِفُوا كَيْفَ يَسِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ —</p>	<p>أَبُو نَوَاسٍ</p> <p>بَشَرٌ مِنْ فَصِيلَةِ الْإِنْسَانِ النَّاطِقِ لَكِنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ مِنَ الْخَرَسِ أَوْ آيَةٍ عَاهَةٍ جَسَدِيَّةٍ ،</p>
---	--

<p>هَوَاءٌ يُرْفَضُ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، إِلَّا إِذَا نَفَخَتْ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ — حَيْثُ النِّسَاءُ جِرَارًا نَصَفَ</p>	<p>فِي صَخْرَاءٍ — غَازٍ ، لِلْغَزْوِ حَرْبٌ يُعَلِّئُهَا ذَلِكَ هَذَا ذَلِكَ لَا لِكَيْ يَتَحَرَّرَ ،</p>
---	--

بَلْ لِكَيْ يَبْقَى عَبْدًا - مَكْسُورَات

لَكِنْ، هَا هِيَ يَدُ تَعْرِي الهَوَاءِ مِنْ فِي أَسْرَةٍ تَخْتَبِئُ تَحْتَ قَنَاطِرِ

ثِيَابِهِ، تَكْسُوهُ بِثِيَابٍ أُخْرَى السَّيْنِ وَالْجُسُورُ أَحْلَامُهَا

لَكِنْ، هَا هُوَ يَتُّيْتُ يَاخُذُنِي إِلَيْهِ حَيْثُ يَلْتَحِفُ الْعَقْلُ الْإِلَيْكَتْرُونِي

جَسَدِي أَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَيْسَ جَسَدِي بِعَبَاءَةٍ

فِي لَيْلَةٍ لَمْ أَقْدِرْ لِحِمَالِهَا كَرِشْنَا، وَيَضْطَجِعُ الْمِينُوتُورِ

أَنْ أُمَيِّزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سِرِّوَالِي الْأَسْوَدُ فِي أَحْضَانِ الْمَرْأَةِ

حَيْثُ اللَّهُ نَفْسُهُ الْبَيْضَاءُ .

مُبَلَّلٌ بِعَرَقِ الْعَصْرِ حَيْثُ تَخْرُجُ مَلَائِكَةُ الْحِكْمَةِ مِنْ

سُجُونِهَا

وَتَنْدَفِعُ إِلَى عِنَاقِ مَلَائِكَةِ الرُّغْبَةِ فِي سَدِيمِ إِمَارَاتٍ

وَكُلُّ إِشَارَةٍ مُعْجَمٍ .

حَدَّثَ هَكَذَا - وَأَنْفَجِرِي

يَا ذَاكِرَةَ السَّلَالَتِ ، -

الْمُتَنَبِّي

غَرَازَاتُ لِمَسَامِيرِ الْعَقِيدَةِ
طَرَائِدُ تَتَعَقَّبُهَا الْفِثْرَانُ

هُوَغُو

فِي زَمَنِ — مِصْفَاةٍ يَنْزِلُ مِنْهَا يَدْفَقُ
وَاحِدٍ ، دَمُ الْقَتِيلِ وَلُعَابُ الْقَاتِلِ

كَائِنَاتُ بَرْوُوسِ الدَّجَاجِ وَقَامَاتِ
الْعَمَالِقَةِ
سَدِيمٌ تَمْتَزِجُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ ، —
حَيَوَانَاتٌ مِنَ الْقَشِ تَرْكُضُ ، يَتَّبِعُهَا
فِي مَمَالِكِ — جَوَارِ
أَطْفَالُ عُمَيَّانِ ،

شَخْصٌ يَحْمِلُ مِذْرَاءَ تَحْمِيلُ رَأْسًا رَمَزًا
لِسُلْطَانِهِ
رُؤُوسٌ تُذَكِّرُ بِرَأْسِ أَوْرُفِيُوسِ
قُصَاصَاتُ أَشْلَاءَ ، وَالرُّؤُوسُ قَوَاصِلُ لِكَيْنِهَا لَا تَسْبِجُ فِي الْمَاءِ ، بَلْ فِي
وَحَرَكَاتِ
الدُّخَانِ

خُرَافَاتُ تَنْبُضُ بَيْنَ الْوَرِيدِ وَالْوَرِيدِ فِي
تَارِيخٍ يُلَفُّ عَلَى وَشِيعَةٍ لِلْحَفِظِ ،
فِي صُرَاخٍ لَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْنِ ،
وَتَرَى فِيهِ أَيْدِي تَتَخَبَّطُ وَلَا تَرَى
أَجْسَامًا
وَالْحَمْدُ لِلْكَافُورِ وَالسَّيْلُولُوزِ ،

أَقْدَامُ تَمْشِي فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا إِلَى
الْيَمِينِ
وَالِى الْيَسَارِ

عُمَالٌ يَعُودُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى أَكْوَاخِهِمْ
يَحْمِلُونَ عِيدَانًا لَيْسَتْ إِلَّا أَفْخَادًا

لآخرين عاطلين عن العمل .
 هل أحوال العِصم تتبع حقاً أحوال النفس؟
 أسأل ذلك الرجل الذي كان يُكرّر عليّ هذا
 القول في بيروت ، والذي كان يلبس خُفّاً أحمر -
 يمتطي جرادةً ويصبح الدنيا باطلً باطل .
 كلاً ، كلاً

جسدي يُحبُّ شحوبَ السماء
 وأحلامي تُغيّرُ طريقها ، -
 أظنُّ أن الكائن الذي يسيرُ صالياً وجهه كمثل أنشودةٍ
 والذي يُشاطي الفُرات والنيل
 فيما يُشاطي السّين والهدسن والتّايمز ،
 لا يسير ، بل يُسرّنم لِكَيّ يقدر أن يتعرّف على أعضائه ،
 والحمدُ لكلّ التّباس .
 هل لي أن أنتظرَ تسنُّبلٍ يذارٍ آخر؟

13

شَغفي مَلِيءٌ بِبِذارٍ يَخْرُجُ خَفِيَّةً مِنْ هِيرَاقْلِيطسٍ وَنِيثشِه ،
 ذلكَ أَنّ في أَحْزَانِي شَيْئاً مِنْ وَرَقِ الْغَارِ ، وَأَنْ بَيْنَ كَتَفِي شِرَاعاً رَأَيْتُ شَبِيهَهُ
 مَرَّةً فِي الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ ، قُرْبَ جَزِيرَةِ أُرُود (وَالْغَرِيبُ أَنَّ اسْمَهُ هَجَرَ
 ذَاكَرَتِي) ،

ذَلِكَ أَنَّنِي أُطَارِدُ رَأْسَ ذَرَّةٍ
يَخْرُجُ مِنْ كَهْفٍ إِلَيَّكَتَرُونِي ،
يَلْتَفِتُ حَوْلَ نَفْسِهِ كَالْبَصَلَةِ ، ثُمَّ يَتَفَكَّكُ صَوْتًا فِي بُوقٍ كَنَسِيٍّ
لَا يَزَالُ يَلْتَصِقُ بِجِذْعِ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ ،

ذَلِكَ أَنَّهُ يَكْفِي لِكَيْ تُشَكَّلَ جَسَدَ إِنْسَانٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ
أَنْ تَمَزِجَ أَرْجُلَ نَمْلَةٍ بِرَأْسِ جَرَادَةٍ (وَاخْتَرِ ، لِكَيْ تُشَكَّلَ رُوحَهُ ، مَا شِئْتَ مِنْ
تِلْكَ الْمَوَادِّ الَّتِي قَمَلًا الْحَوَانِيثُ) ،
ذَلِكَ أَنَّ سُلْطَةَ السَّمَاءِ لَا تَزَالُ تَنْحَنِي أَمَامَ كُرْسِيِّ جَانِّ دَارِكَ ،
وَأَنَّ مَاءَ لَا يَزَالُ يَتَقَطَّرُ مِنْ حَدِّ سَيْفِهَا .

14

هَلْ جَسَدُ بَارِيَسَ يَجِفُّ؟ تَسَاءَلْتُ ، وَأَنَا أَسْتَقْبِلُ فِي شَامِبِ دُو مَارِسَ كَوَكَبًا
سُرْعَانِ مَا تَحُولُ إِلَى قَرَوِ مِيْمُوزِيٍّ ، أَخَذْتُ تَتَحَلَّقُ حَوْلَهُ نُجُومٌ
مِنَ الْكَلِمَاتِ صَغِيرَةٍ كَعَجِيزَةِ مَارِي أَنْطَوَانِيثُ ،
وَلَمْ يَكُنِ الشَّجَرُ يُصَدِّقُ الزُّهْرَ ، وَلَا الزُّهْرُ يَتَّقُ بِالشَّمْسِ ،
كَانَتْ الرِّيحُ وَحْدَهَا لَا مُبَالِيَةَ وَكَانَ الْعُبَارُ يُصَفِّقُ لَهَا .
وَحَسِبْتُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى بُرْجِ إِيْفَلْ أَنَّ طِفْلَةً تَرْفَعُهُ بِسَاعِدَيْهَا ، خِلَافًا لِمَا يُؤَكِّدُهُ
لُويْسُ كَارُولُ ،
وَكَانَ لِلْوَجْهِ حَوْلَهُ أَشْكَالُ غَيُومٍ تُغَيِّرُ لَوْنَهَا دَائِمًا ،

ولم تكن الرؤوس قمرية ولا شمسية ،
كانت ، بالأخرى ، تنتسب إلى كوكب آخر نسيته كيف أصفه (سأسال عنه
ليترى ، فيما بعد) .

يا للأشياء المتناقضة التي لا نقدر أن نرى وحدة إلا فيها!
وإذ هذا تعجبي ، قلت مطمئناً - باريس ،

ربما في هنيهة ما (فيما أدخل إلى أحشاء
الطبيعة ، تالياً أسماء شوارعك

شارع الشلالات ، شارع الجداول ، شارع الحور ، شارع الأكاسيا ، شارع
الصفصاف ، شارع اللوز ، شارع الكستناء ، شارع الكرّز ، شارع الثوت ، شارع
الخوخ ، شارع التين ، شارع الورد ، شارع الزيزفون -

دون أن أنسى شارع موزايا ورينيه العربي) - ربما في هنيهة ما ، سأوحد بين
حروفك الصائتة ومثيلاتها في اسمي ، تاركاً الحروف الساكنة لتعاسيها
السمائي ، أو ربما صنعتُ منها سجادة لن يقدر شاعر فرنسي حتى يوثج
نفسه ، أن يميز بينها وبين الجناح .

15

تقول إن . أقول ليكن .

أرمي أقلامي لحفرة في وجه القمر ، وأعطي ذكرياتي لتجعيدة في عنق
السّين ، -

اجر ، أيها النهر ، حاملاً الغبار وفصوله

لا تَنْسَ ذَلِكَ النَّهْرَ الْآخَرَ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَكَ وَبَيْنَكَ
اخْتَرِسْ مِنَ الْأَنْوَةِ الَّتِي فِيكَ وَالَّتِي لَا تَنْظُرُ إِلَّا ذُكُورَهُ
اخْتَرِسْ مِنَ الْكَائِنِ الَّذِي فِيكَ ، وَالَّذِي يُوسُّوسُ أَنَّهُ أَكْمَلُكَ .
اجْرِ ، أَيُّهَا السَّيْنُ

(ز)
مَوْجاً يَخْتَرِعُ طَمِيهَ مِنَ الْبَشَرِ وَالْأَنْقَاضِ الْآخَرَى - (الْوَقْتُ يَجِيءُ بِخُوشِيهِ ، لَكِنْ
كَيْفَ يَرُوضُهَا؟
وَأَرَى إِلَى السَّيْنِ جَارِياً -
يَحْمِلُ طَمِيهَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْتَغَالِيِّينَ
مِنْ إِفْرِيقِيَا وَأَسِيَا ، وَبَقِيَّةِ الْمَتَاهَاتِ ،
يَحْمِلُ أَجْرَاسَ أَوْرُوبَا الَّتِي بَدَأَ الطَّحْلُبُ يُعْطِيهَا ،
وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَرْتَجِفُ ، -
أَظُنُّ أَنَّ اسْمَكَ ، أَيُّهَا الْوَقْتُ ،
هُوَ الَّذِي يَقْبَعُ فِي حُنْجَرِهِ
كَجَوْزَةِ الْقِيَمِ .)

أَرَى إِلَيْهِ يَجْرِي -
تَجْرِي مَعَهُ أَفْرَاسُ الْقُرُونِ الْوُسْطَى
وَعَرَبَاتُ النُّهْصَةِ وَدُمَى الْحَدَاثَةِ ،
تَجْرِي أَصْنَواتُ بَوْدَلِيرٍ وَلُوتِرِيَامُونُ ،
نَرْفَالُ ، وَهِيَجُو ، رَامْبُو ، مَا لَزِمِيهِ ،
بِيكَاثُو ،
يَجْرِي وَتَنْكَسِرُ فِي تَمُوجَاتِهِ الثُّورَاتُ
وَالْتَوَارِيخُ كَخَبْزٍ يَابِسٍ .

(س)
(الْحَيَاةُ تَتَلَكَّأُ بَيْنَ خُطَوَاتِهِ ، -
إِلْهَذَا يُحْيِي الْمَادَّةَ الَّتِي تَجُثُّمْ حَوْلَهُ ، كَأَنهَا
مَوْتُهُ الْمُسْتَقْبَلُ؟
إِلْهَذَا يُكْرِّرُ سَوَالَهُ :
أَلَنْ يَقْدِرَ هَذَا الْعَالَمُ أَنْ يَرْفُقَ
فِي أَسْرَةٍ لَيْسَتْ لِلْقَتْلِ؟)

أَقُولُ إِنَّ ،
تَقُولُ لِيَكُنْ -

اجْرِ ، أَيُّهَا النَّهْرُ ،
أَجْلِسْ أَطْرَافَ الْعَالَمِ عَلَى رُكْبَتَيْكَ ،
وَقَدِّمْ لَهَا آخِرَ هَبَّةٍ لِلْهَوَاءِ -

الماءُ رغبةٌ وغطاسونٌ يَرْتَجِلُونَ اللَّذَّةَ ،
والشهوةُ تَمْلِكُ الضُّفَّافَ .

16

إِنَّهَا شَهْوَتِي تَتَدَقَّقُ فِي خَرَائِطِ الْمَادَّةِ ،
وَهَا هِيَ الدَّقَائِقُ تَتَفَتِّحُ فِي أُسْرَةٍ
الْمَكَانِ ، كَمِثْلِ أَعْضَاءِ جِنْسِيَّةٍ .
(ش)
(لَا الشَّرْقُ لِلَّهِ ، وَلَا الْغَرْبُ ، [وَعَلَدُ] لُغُوتهِ)
وَهَا هُوَ الشَّمَالُ يَفْرُقُ فِي جَلِيدِ الذَّاكِرَةِ
وَكُلَّمَا ظَنَّ الْجَنُوبُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دَاءٍ ،
دَخَلَ فِي دَاءٍ آخَرَ ،
ثُمَّ يَقْنَعُ مُكْرَرًا هَذِهِ الْحِكْمَةَ :
الْفَرَحُ أَقْرَبُ الْأَصْدِقَاءِ إِلَى الْحُزْنِ .
وَفِي سَبْرِي ، كُلُّ صَبَاحٍ مِنْ 116 ، شَارِعُ
لُوزِمِيلَ ، إِلَى 1 ، شَارِعُ مِيوَلِيسَ ، أَقْرَأُ
فِي نَقْطَةِ الْمَاءِ كِتَابَ الْمُحِيطَاتِ ،
أَلْمَسُ الضَّوْءَ الَّذِي يَعْمَلُ كَالْمِخْرَاطِ
وَأُكْتَشَفُ كَيْفَ يَظَلُّ الشَّاعِرُ طِفْلاً وَلَهُ عُمْرُ الْأَفْقِ .

ثُمَّ لَا أَعُودُ أَتَرَدُّدُ فِي الْقَوْلِ : «الذَّاتُ

والآخر

أنا،»

وَلَيْسَ الْوَقْتُ نَفْسُهُ إِلَّا سَلَّةٌ

لقطاف الشَّعر .

فَجَاءَهُ ، أَلْتَقِيَ رَامِثُو ، وَتَجَدَّدَ مِثَاقُنَا :

الحجابُ هُوَ نَفْسُهُ الضَّوُّءُ /

الْغَرْبُ اسْمُ آخِرٍ لِلشَّرْقِ .

(ص)

(ما الذي يجعلُ قَدَمَيْهِ تَعْرِفَانِ السَّيْنَ ،
أَكْثَرَ مِنْ دَجَلَةٍ أَوْ بَرْدَى؟

يَا لَهْ مِنْ بُهْلُولِ -

يُحِبُّ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّ الْأَرْضَ ،

وَيُحِبُّ الْأَرْضَ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّ الْوَطْنَ .)

(ض)

17

I - (يَبْقَى أَنْ يُشْرَقَ السَّيْنُ
[الإشارةُ هُنَا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ

«النَّمِ الْإِلَهِيَّةِ» الَّتِي امْتَدَحَهَا
غُوتُهُ فِي «الدِّيَّانِ» :

الْعِمَامَةُ ، النَخِيمَةُ ، السَّيْفُ ،

الْمَحْدَبُ ، النَّشِيدُ ،

يَبْقَى أَنْ يَخْتَلَطَ مَاؤُهُ ،

كَمَا الْفُرَاتُ ، بِضَوْءِ الْكَوْكَبِ .)

II - (يَبْقَى أَنْ تَرْفَعَ لِلْحِكْمَةِ عَمُوداً آخَرَ ،

يَبْقَى أَنْ تَصْنَعَ مَوَاكِبَ نَفْصَانِيَّةً ،

لَا لِكَيْ تَذْهَبَ إِلَى الْكَوْكَبِ ،

بَلْ لِكَيْ يُبَيِّنَ ،

يَبْقَى أَنْ يُتَكَرَّرَ حَيَوَانَاتُ مُجْنَحَةٍ

تَتَقَلُّ مَجَاناً جَمِيعَ الْقُرَاءِ

الَّذِينَ يَحْلُمُونَ بِالطَّوَّافِ حَوْلَ

الْأَمَاكِينِ الَّتِي يُقَدِّسُونَهَا ،

يَبْقَى أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ نُحَوِّلُ الرِّيحَ إِلَى تَزْدِ

صَائِبٍ .)

وَالآنَ ، أَنْصَحُ نَفْسِي بِصَوْتِ عَالٍ

أَمَامَ هَامِلَتٍ :

لَا كُنْ حَكِيمًا -

لَا تَذْكُرْ دَائِمًا أَنَّ الْحُبَّ

وَالْمَرَضَ مِنْ عَائِلَةٍ وَاحِدَةٍ ،

لَا تَوَقَّفَ عَنِ الْاهْتِمَامِ بِالنَّهَارِ
وَاللَّيْلِ ، الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ
حَقًّا ، لِلْحُبِّ كَمَا يُعَلِّمُ هَامِلَتٌ ، حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ
وَلَا بَدْ ، بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ ، مِنْ عَاصِفَةٍ
فِي الْجَسَدِ تُعِيدُ تَرْتِيبَ أَعْضَائِهِ ، -
هَكَذَا رَعَيْتُ ، هَذَا الْمَسَاءَ ، قِطْعَانَ الشُّوَارِعِ فِي بَارِيسَ ،
وَحِينَ رَأَيْتُ نَوَافِيرَ اللَّهَبِ تَتَفَجَّرُ مِنْ أَفْحَادِ الْعِمَارَاتِ ، تَمَتَّعْتُ :
لَا شَيْءَ يَمْلَأُونِي وَضُوحاً كَهَذَا الْعُمُوضِ
(أَوَّلَ عَلَيٍّ تَمَتَّعْتُ : لَا شَيْءَ يَمْلَأُونِي غُمُوضاً كَهَذَا الْوُضُوحِ .)

هُوَ ذَا أَنَا ، -

أَخْرَجْتُ مِنْ سُلَّالَتِي كَعِطْرَ وَرْدَةٍ
تَكَادُ أَنْ تَمُوتَ ،

III - (كَيْفَ تُؤْخَذُ هَذِهِ الرَّاحَةُ -

السَّمَكَةُ فِي مَاءِ الْعَصْرِ؟
كَيْفَ يُقِيمُ فِي جَسَدِهِ الَّذِي
يَفْرُغُ حَتَّى مِنْهُ؟
كَيْفَ يُفَكِّكُ هَذَا الْجِسْمَ
الْمَرْتِي مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي تُسْنَدُهُ
أَعْمِلَةٌ لُغَةٍ غَيْرِ
مَرْتِيَّةٍ؟)

أَتَمَوَّجُ وَأَتَعَدَّدُ ،

أَتَشَبَّهُ بِالنَّحْلِ وَأَصْنَعُ شَهْدِي الْخَاصِّ .

وَهَا هِيَ الْحَيَاةُ بَارِدَةٌ وَأَقْلَبُ

مِنْ أَنْ تَكُونَ جُرْحاً

لَا أَرَى غَيْرَ آلَاتٍ تَتَزَاخَمُ

فِي حُقُولٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْبَشَرِ ،

وَلَيْسَ ثَمَّةَ نَهَارٍ وَلَا لَيْلٍ

بَلْ شَرِيطٌ يَتَوَاصَلُ مِنْ لَحْظَاتٍ تَنْتَقِطُ -

لا الخارجُ بيّتي ،
والدّاخِلُ ضَيِّقٌ عَلَيَّ -
كعِطْرِ وَرْدَةٍ تَكَادُ أَنْ تَمُوتَ
أَخْرُجْ مِنْ سُلَالَتِي
لا أُرِيدُ أَنْ أُسَمِّيَ / أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ سَمِيًّا لِلضَّوءِ ،
لا أُرِيدُ أَنْ أُسْتَمْسِكَ / أُرِيدُ أَنْ أُرَادِفَ الرِّيحَ .

(باريس ، أواخر 1986 - أوائل 1987)

في ضمن أبجدية ثانية

في حِصْنِ أَبْجَدِيَّةِ تَخْفِينِ الْأَرْضِ ، يَسْهَرُ قَاسِيُونَ وَأَسْتَيْقِظُ .
أَفْرَأُ وَأَكْتُبُ وَأَقُولُ كَلَاماً لِلتَّبْد : لَيْسَ شِعْراً وَلَيْسَ نَثْراً ،
لَكِنْ ، إِلَيَّ بِالْبَحْورِ ،
الشَّمْسُ تَلْتَصِقُ بِأَحْشَائِي ، وَأُرِيدُ ظِلَّكَ أَيُّهَا اللَّيْلُ .

— أَلَنْ تَتَّعِظَ؟ كَثُرَ بَخُورُ بَيْتِكَ أَيُّهَا الْعَاشِقُ ، وَهِيَ هِيَ الْهَوَاءُ يَهْبُ كَمِثْلِ بُحَّةٍ
فِي حُنْجَرَةِ الْفَضَاءِ .
— عَوِّذْنِي ، ابْتَكِرْ طِلْسَماً لِأَحْوَالِي .
— أَقْدِرُ أَنْ أَرْفِكَ أَيُّهَا الْعَاشِقُ ، لَكِنْ مَنْ يَشْفِيكَ؟
— سَأَقُولُ لِمَهَبِ الرِّغْبَاتِ جَسَدِي غَابَةً ثَلَاثِمِ رِيَاخِهِ .

* خَرَجَ مِنْ عَزْلَتِهِ دَخَلَ إِلَى الْمَنْفَى .
* دَائِماً تَفْصِيلُهُ عَنِ الْأَمَامِ بَضْعُ خُطَوَاتٍ إِلَى
الْوَرَاءِ : لَا يَصِلُهُ إِلَّا مَا يَفْصِلُهُ .
* لَيْسَ لَهُ طُفُولَةٌ ؛ الشَّعْرُ طُفُولَتُهُ .
* مِنْ مَسْحُوقِ الْكِيدِ هَذِهِ الْخُمْرَةُ ، لَا مِنَ الْعَنْبِ .

* لَا تَخْيَا دِمَشْقُ إِلَّا إِذَا أَعَادَتْ بِنَاءَ السَّمَاءِ .

I - أبواب

فِي صَبَاحِ تَحْمِيلِهِ الْجَرَاحُ ، هَرَبْتُ مِنْ سُورِ دِمَشْقَ ضَاحِيَةٍ ، وَتَنَزَّهْتُ فِي
بَسَاتِينِ الزَّيْنَبِيَّةِ . قَالَتْ : لَنْ أَعُودَ ، وَسَمِيتُ نَفْسِي حَيَّ الْقَصَاعِ .

جاء ،

نَزَلَ فِي هَذَا الْحَيِّ ، فِي قُبُو بِنَايَةِ تَنْحَلِدِرُ مِنْ سُلَالَةِ الْإِسْمَنْتِ .
فَرَسَ الْقَبْوُ سَرِيرًا لِأَحْلَامٍ كَانَ أَكْثَرُهَا يَتَبَخَّرُ بَيْنَ حَمَامَاتٍ
قَرَأَ عَنْهَا

حَمَامُ الْمِسْكِ	حَمَامُ الْوَرْدِ	حَمَامُ الزَّيْنِ
حَمَامُ السُّلْسَلَةِ	حَمَامُ الْحَاجِبِ	حَمَامُ الْجُوزَةِ
حَمَامُ الْقِيْشَانِي	حَمَامُ الْمَلِكَةِ	

وَتِلْكَ هِيَ الْأَسْمَاءُ الْأَكْثَرُ طَبِيبًا .

- الشَّدَادُ؟ أَهْوَ حَمَامٌ آخَرُ؟

- مَعْجُونٌ تُدَلِّكُ بِهِ الْمُسْتَحَمَّةُ جَسَدَهَا

زَنْجَبِيلٌ وَفَرْفَةٌ زَيْتٌ وَلِسَانُ عُصْفُورٍ

دَبَسُ وَبَيْضُ وَأَسْرُ
وَتُضَيَّفُ بَعْضُهُنَّ أَشْيَاءَ تَبْدُو مَرَاغِي لِمَوْجِ الْجَسَدِ .

كثيراً ، شُبّهَ لَهُ الْقَبْوُ غَاراً يَنْزِفُ دَمًا ،
كثيراً ، رَأَهُ كَهْفًا يَضْطَرِبُ وَيَتَرْتَجُّ وَيَكَادُ أَنْ يَهْوِي .

- * هَلِ الْحَقُّ دَائِماً مَعَ الرَّحِيلِ ؟
- * هَلْ يَكُونُ الْعَالَمُ أَكْثَرَ جَمَالاً ، لَوْ خَلَا مِنَ الْقُبْحِ ؟
- * هَلْ يُؤَسِّسُ الدَّمُ لَغَيْرِ الدَّمِ ؟
- * هَلِ الْكِتَابَةُ هِيَ أَيْضاً سَاعَةٌ رَمْلِيَّةٌ ؟
- * هَلِ اللَّامِبَالَاءُ هِيَ الْوَرْدَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَتَحَنَّى لَهَا
الرَّيْحُ ؟
- * هَلِ الْأَصَابِعُ الْمَقْطُوعَةُ هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي تَعْرِفُ
كَيْفَ تَلْتَحِمُ أَوْصَالَ التَّارِيخِ ؟
- * هَلِ الْوَفَاءُ لِلْأَفْكَارِ أَمْ لِتَوَلِيدِهَا ؟
- * هَلِ الْإِسْمُ هُنَا إِثْمٌ ؟
- * هَلِ الْحَيَاةُ هُنَا حَجٌّ إِلَى الْمَوْتِ ؟
- * هَلِ حِجَابُ دِمَشْقٍ هُوَ الَّذِي يَكْشِفُهَا لَهُ ؟

يَظُنُّ - الْكَلِمَاتُ الَّتِي رَدَّدَتْ مَعَهُ أَسْمَاءَ الشَّجَرِ وَالتَّجْوِمِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، تَجْلِسُ

الآن في كُوةٍ تحيا وحيدة في القَبو ،
أو تتمشَّى على الرِّصيفِ الذي يُتاخِمْهُ ،
تتحالفُ مع الهباءِ أو مع الهواءِ
تنتَقِذُ سلطنةَ الورقِ ، أو تتواطأُ مع الحَبِرِ .

من شفتي هذه الكُوةِ ، يهبطُ عليه كلامٌ عصيٌّ على البَوحِ . أسِفاً ، يعتذرُ
لها :

ليس سيّد الطَّبِيعَةِ لِكَيَّ يَضَعُ الآنَ رأسَهُ تحتَ كَنَفِهَا .

جاءَ كَمَنْ يبدَأُ تاريخاً . هَكَذَا وَجَدَ نَفْسَهُ يَتَمَوَّجُ فِي مُحِيطِ أسرار .
* جاءتِ النِّساءُ سُفْناً ، وَلَهُنَّ جِسَدُ الماءِ .
(«جاءُوا . كلُّ مُخْتَسِبٍ طامِعٌ . جَرَتِ الدِّماءُ فِي
الماءِ» . (البلاذري ، فتوح البلدان)
(* «الفتوح ثلاثةٌ : فتوحُ عِبارَةٍ ، وفتوحُ حَلَاوَةٍ ،
وفتوحُ مُكَاشَفَةٍ» . (ابن عربي) .
(لا تَدْخُلُوا الْبَحْرَ إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْأَشْرَعَةُ نِساءً .
* الْعَوْطَةُ خَيْمَةٌ وَالشَّهْوَةُ جِبَالٌ تَشُدُّ أَوْتَادَهَا .
* السَّمَاءُ فِي عَقْلِ النَّمْلَةِ ، نَمْلَةٌ .
* لِكَيَّ نَفْهَمَ الرَّمْلَ ، لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَكُونَ
مَوْجاً .

بَعْدَ الْحَمَامِ وَمِسْكِهِ ،

تُنَوِّرُ أَعْضَاؤُكَ وَتَرْقَى . تُصْبِحُ جَدِيرًا بِأَبْوَابِ السِّرِّ .
قُلْ ، إِذَنْ ، لَجَسَدِكَ فِيمَا يُوَاكِبُ السِّرَّ أَنْ يَتَنَوَّرَ بَابَ الْفَرَجِ

* سَوَاءٌ تَحْرِيكُ الرِّاءِ وَتَسْكِينُهَا : لَنْ تَقْدِرَ أَنْ تُحَوِّلَ
الكَلِمَاتِ إِلَى أَشْيَاءَ .
(* تَكَلَّمُوا عَلَى مَا مَضَى ، لَا عَلَى مَا يَأْتِي .
وَحُوضُوا مَا شِئْتُمْ مِنَ الْحُرُوبِ ، لَكِنْ بَيْنَ شِفَاهِكُمْ
الْعُلْيَا وَشِفَاهِكُمُ السُّفْلَى .

جاء ،

فِي حَدِيثِهِ مَعَ الْكَوَاكِبِ ، كَانَ يُؤَثِّرُ الزُّهْرَةَ . تَسْتَقْبَلُهُ ، وَهِيَ فِي سَرِيرِهَا .
وَلَمْ تَكُنْ تَحَاوِرُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُطْفِئَ شَمْعُوعَهَا .
يُغْفِيكَ أَيْتُهَا النَّبَوَاتُ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ . وَجْهُهُ مَأْخُودٌ بِجِهَاتٍ
لَا تَذْهَبِينَ إِلَيْهَا وَلَا تَجِيئِينَ مِنْهَا .

* يَا قِطَارَ الْحَبْرِ ، لَيْسَ لَهُ عَلَى الْوَرَقِ آيَةٌ مَحْطَّةٌ .
* اتْرَكُوهُ يَتَوَسَّدُ ذِرَاعَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ : الْحَبِّ .
* لَمْ يَفْهَمْ بَعْدَ الْحَجَرِ ، لَكِنِّي يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ عَنْ
الْأَجْنَحَةِ .
* الدَّمُ هُوَ الَّذِي يُفَكِّرُ ، وَالْجَسَدُ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ .

تُوقِنُ أَنَّ التَّارِيخَ دَخَلَ مَلْيءٌ بِأَغْشَاشِ الْخُتْلِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ، فِيمَا تَخْرُجُ
مِنْ بَابِ الْفَرَجِ إِلَى بَابِ السَّلَامِ -

يُسَمَّى

بَابَ الشَّرِيفِ وَبَابَ السَّلَامَةِ . كَانَ عَصِيًّا عَلَى الْغَزَاةِ يَخْرُسُهُ شَجَرٌ يُشْبِهُ
الْعِصْيَ السُّيُوفَ الْبِتَادِقَ وَفَقًّا لِلْغَزَاةِ وَالْغَزْوِ . تَخْرُسُهُ كَذَلِكَ عَرَائِسُ الْمَاءِ -
بَرْدَى ، الْعَقْرَبَانِي ، الدَّاعِيَانِي . «وَكَانَ كَمِثْلِ اسْمِهِ بَابَ التَّسْلِيمِ وَالتَّحِيَّةِ .
يَجِيءُ النَّاسُ أَفْوَاجًا لِلسَّلَامِ عَلَى خُلَفَائِهِمْ .» الْقَوْسُ الَّتِي فَيَأْتُ رِقَابَهُمْ هِيَ
نَفْسُهَا تُظَلِّلُ رِقَابًا أُخْرَى لِسَلَامٍ آخَرَ . الضُّوْءُ نَفْسُهُ يَتَلَأَلُ مِرَاةً يَكْتَشِفُ
النَّاسُ فِيهَا وُجُوهَهُمْ فِيمَا يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ . وَثَمَّةٌ جَنُودٌ كَالْمَلَائِكَةِ لَا
تَرَاهُمْ الْعَيْنُ .

* دِمَشْقُ ، يَذَارِكُ ، لَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا فِي خُطَوَاتِهِ ،

مَاذَا ، إِذَنْ ، سَتُجْدِيهِ الْحَقُولُ ؟

* فِي كُلِّ صُنْدُوقٍ ، يُوَفِّظُ وَضَاحَ الْيَمَنِ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى

نُزْهَةٍ سِرِّيَّةٍ .

هُوَ ذَا جَرِيرٍ يُؤَلِّمُ حَيَاتِهِ لِلْخُلَيْفَةِ فِي سُرَادِقِ الشُّعْرِ . وَأَرَى إِلَى الْأَخْطَلِ يُقَدِّمُ

لأَصْدِقَائِهِ ، عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ الْخِلَافَةِ ، أَعْتَقَ خَوَابِيهِ . وَأَسْمَعُ

الْفَرَزْدَقَ يَتْلَعُشُمُ فِي حَضْرَةِ امْرَأَةٍ لَا تَمْدَحُ لَا تَهْجُو لَا تَقُولُ إِلَّا

الْحُبَّ . اشْرَبُوا مِنْ يَنَابِيعِ ذِي الرِّمَةِ ، - انظُرُوا إِلَيْهِ يَرْتَجِلُ مَا

يُمْسِكُ بِالْأَفْقِ . وَالْخُلَفَاءُ يَتَوَارَوْنَ : كُلُّ مِنْهُمْ يَنْكَمِشُ فِي

شَعْرَةٍ ، أَوْ فِي دِرْهِمٍ ، أَوْ فِي سَيْفٍ .

* سَمَائِيَّ - لَا فَوْقَ رَأْسِي بَلْ تَحْتَ كَتِفِي : سَلَامٌ
لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ .

* يَا لِلْغَسْرَائِبِ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي يُنَادِيهِ ابْنُ
تَيْمِيَّةَ : يَا بُسْتَانِي .

* الْأَفْقُ يَرُورُ أَصْوَاتَ الْمَآذِنِ ، فِيمَا تَنْبَسِطُ الْجَنَّةُ
تَحْتَ قَدَمِي قَاسِيُونَ .

إِنْتَسَبَ إِلَى زُحَلٍ ، لِكَيْ تُحَسِّنَ الْمَكَاشِفَةَ فِي بَابِ كَيْسَانَ ، أَوْ لِكَيْ تَنْزِلَ
فِي سَلَّةٍ ، شَأْنُ الْقَدَيْسِ بُولَسَ ، مُتَدَلِّيًا مِنَ السُّورِ ، خَارِجًا إِلَى يُونَانَ وَمَا وَرَاءَ
الْبَحْرِ . كَمَثَلِهِ ، لَا تَقْصِدُ الْبَابَ لِدَاثِهِ ، بَلْ لِمَا يُخْبِئُهُ . تَفْتَحُهُ لِكَيْ تَشَاهِدَ
مَا يَنْغَلِقُ عَلَيْهِ . وَرَبَّمَا سَأَلْتَ : هَلِ الْبَابُ جَسَدٌ؟ وَمَا بَابُ الْجَسَدِ؟ وَأَيْنَ؟
وَلِمَاذَا لَا يُسْكَنُ إِلَّا بِوَصْفِهِ زَائِلًا؟ هَلْ أَجْمَلُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَسْكُنُهَا فِي
الْجَسَدِ وَتَسْكُنُكَ هِيَ الَّتِي لَا تَرَاهَا؟ وَلَا تَنْسَ أَنْ تَتَصَوَّرَ بَابًا مَلِيئًا بِالْجَمَالِ
مُشْرَعًا عَلَى عَالَمٍ مَلِيٍّ بِالْفَرَاغِ . وَلَا تَنْسَ الْحَلْقَةَ الَّتِي تَقْرَعُ بِهَا الْبَابَ لِكَيْ
تَسْمَعَ نَعَمَ أَوْ لَا . يُتَبَيَّنُ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ فِي أَجْمَلِ بُحَيْرَاتِ الضُّوءِ ، أَوْ يُبَيَّنُ لَكَ
فِي ظِلَامِكَ الْأَلْيَفِ . هَلِ الْحَيَاةُ بَابٌ - وَاقِعًا وَرَمَزًا؟

أَقْوَاسٌ خُطُوطٌ تَسْتَقِيمُ تَنْحَنِي تَتَلَوَّلُبُ دَوَائِرُ وَأَنْصَافُ
دَوَائِرُ مَرَبَّعَاتُ مُسْتَطِيلَاتُ مُثَلَّثَاتُ مُخَمَّسَاتُ

مُثَنَّنَاتٌ أَشْكَالٌ عَلَى هَوَى الْخَطِّ

* التَّقَيْنَا ، - لَمْ نَتَكَلَّمْ ، غَيْرَ أَنَّنَا تَرَامَزْنَا .
 * شَوَارِعُ ، - أَنهَارٌ تَحْكُ ضَفَافُهَا بِمُوسِيقَى التَّارِيخِ .
 * يُغْنِي الْيَاسَمِينَ بِصَوْتِ خَافَتِ ، وَيَدُورُ فِي الْأَرْزَقَةِ ،
 حَافِيًا .

(* دَمٌ أبيضٌ عَلَى فِرَاشِ الْقَمَرِ .
 (لَا تَضَعُ سَلَّةَ الْغُبَارِ فِي يَدِ الرِّيحِ .
 (يَجِيءُ الشَّقَاءُ مَعْجُونًا بِيَدِ اللَّهِ ، مَخْتُومًا بِخَاتَمِهِ ،
 وَيَجِيءُ الْفَرَحُ هَارِبًا فِي ثِيَابِ وَرْدَةٍ تَكَادُ أَنْ تَذُبُلَ .
 * لِكُلِّ نَجْمَةٍ طَبْلٌ ، وَالْفَجْرُ نَائٍ مَكْسُورٌ .
 (تَسْبَحُ مَلَائِكَةُ سُودٍ فِي أَحْوَاضٍ مِنَ الْفُضَّةِ .
 (شَوَارِعُ - حُقُولُ تَبَاتَاتٍ تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ .
 (اسْتَيْقَظَتِ السَّمَاءُ وَأَخَذَتْ تُوزَعُ جَرَائِدَ الصَّبَاحِ .

يَخِيفُ إِلَيْكَ الْوَاقِعُ وَيُجْلِسُكَ عَلَى أَطْرَافِ أَظْفَارِهِ : لِحِجَارِهِ حِبَالٌ صَوْتِيَّةٌ ،
 وَأَتَى تَوَجَّهَتْ فِيهِ ، يَبْدُو وَجْهَهُ سَرَابًا يُقْبَلُ الْأَرْضَ . أَيَّامُهُ لَدَائِنُ يَنْمُو فِيهَا
 عُشْبُ التَّارِيخِ .

هل الْحَيَاةُ هُنَا بَرِيدٌ يُنْقَلُ فِي جُعبَةِ الرَّمْلِ ؟
 وَأَيْنَ ذَلِكَ الْخَنْثُ الْمُتَرَفُّ الَّذِي يَعْرِفُ كَيْفَ يَضُمُّ السَّرِيرَ إِلَى السَّرِيرِ ،
 وَكَيْفَ يَتَسَلَّقُ لَطِيفَ الشَّهَوَاتِ وَخَفِيِّهَا ؟ يَفْرَحُ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَحْزَنُ . يَتَلَذَّذُ وَهُوَ

يظنُّ أَنَّهُ يَأْلَمُ .
اكتُئبي ، دمشقُ ، من جَدِيدٍ ، تاريخَكَ عَلَى عَسِيبِ النَّخْلِ وَعَلَى أَكْتَافِ
الْإِبِلِ . طَرِيقِي فِيكَ وَغَرَّةٌ ، وَحَافِيَا أَمْشِي .

بَابُ الشَّاعُورِ ، -
الغُبَارُ حِصَانٌ جَامِعٌ وَهِيَهَاتَ أَنْ يُرَوِّضَ ، وَالطَّرْقُ مُغْطَاةٌ بِحَيْضِ
الْأَقْدَامِ .

بَابُ الْفَرَادِيسِ ، -
ادْفِنُوهُ فِي دَمِهِ . إِنْسَوْا لَا تَنْسَوْا .

بَابُ الْجَابِيَةِ ، -
دَوَارٌ فِي رَأْسِ اللُّغَةِ .

* كَيْفَ يَتَصَالَحُ يَاسْمِينُ دِمَشْقُ مَعَ جَسَدِهِ لَا تَنْبُتُ
فِيهِ غَيْرُ الشَّقَاقِ؟
* مَا لِهَذِهِ السَّمَاءِ ، -
لَا تُقَدِّمُ غَيْرَ الْبَلْسَمِ ، وَلَيْسَ فِي جَسَدِهَا غَيْرُ الْجِرَاحِ؟
* اتَكْتَبِي ، آيَتِهَا الْأَحْلَامُ ، حَزِينَةٌ عَلَى نَوَافِدِ أَهْدَائِي .
* قَاسِيُونَ ، أَيُّهَا السَّائِرُ وَاقِفًا ، هَلْ تَعْرِفُ أَنَّ الْفُصُولَ
أَعْطَتْ لَغَيْرِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَخَصَّصْتَنِي بِخُطُواتِهَا؟

دِمَشق ،

ظَلُّكَ لَا يَسُ قَامَتِي ، وَأَبْوَابُكَ مُحِيطَةٌ بِي . هَبْطَ سِرِّكَ إِلَيَّ :
لَا يَسْكُنُ الْفَرَحُ إِلَّا الثَّنِيَّةَ وَالطَّيِّبَةَ وَالزَّائِرَةَ .

II - خلوات

أ -

نَافِذَةٌ - مُثَلَّثٌ ، يَنْحَدِرُ مِنْهَا ضَوْؤُ الطَّيِّعِ . يَتَسَرَّبُ مِنْهَا هَوَاءٌ يَحْمِلُ أَشْكَالاً
كَمِثْلِ النُّحُولِ ، -

الْخُلُوتِيَّةُ الشَّافِعِيَّةُ

ب -

سَلَالِمٌ مِنْ أُرْدَافٍ وَكَوَا حِلٍ . حِنَاءٌ وَزَعْفَرَانٌ يَنْتَظِرَانِ شِهَاباً أَخْضَرَ ، -
الْخُلُوتِيَّةُ الْقَادِرِيَّةُ

ح -

نَسِيَ الْمَلْحُ قَدَمِيهِ فِي الْمَاءِ . ظِلُّ الدُّنْيَا رَصَاصٌ مَغْمُوسٌ فِي الْجَمْرِ لَا فَرْقَ
فِيهَا بَيْنَ الْكَلَامِ وَالطَّيْنِ . إِنْ كَانَ هُنَاكَ شَقَاءٌ فَهُوَ الْفَرَحُ . يَجْلِسُ الْغُبَارُ عَلَى
هَذِهِ الْعَتَبَةِ ، مِنْذُ قُرُونٍ ، وَلَمْ يَنْهَضْ بَعْدَ

— هَلْ تُجَامِعُ الْإِنْسِيَّةَ جَنِيًّا؟

— مَسْأَلَةٌ فِيهَا خِلَافٌ .

— لَكِنْ ، جَائِزُ عَقْصِ الشَّعْرِ ، وَتَجَوُّزُ الصَّفَائِرِ .

— الْمَرْأَةُ فِي الْآخِرَةِ هِيَ دَائِمًا لِأَخِيرِ أَزْوَاجِهَا ، وَقِيلَ لِأَوَّلِهِمْ —

الْخُلُوتِيَّةُ التَّقْوِيَّةُ الْحَنْبَلِيَّةُ

— د —

لِلزَّمَنِ يَدَانِ رَخْوَتَانِ ، وَلِلْأَبَدِيَّةِ فَمٌ لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ التَّثَاوُبِ .

أَفْرَاسٌ تَجِيءُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَتَجْلِسُ بَيْنَ الرِّكَبِ . أَشْجَارٌ وَرْدٍ جُورِيٌّ تَخْلَعُ
ثِيَابَهَا الدَّاخِلِيَّةَ . أِهْ ، اللَّذَّةُ يَسِيرَةٌ وَالْحَيَرَةُ كَثِيرَةٌ ، —

الْخُلُوتِيَّةُ الْمُؤَلَّوِيَّةُ

— ه —

أَكَالِيلُ نُجُومٍ تَتَلَدَّى مِنَ السَّقْفِ . تُرْفِرُفُ الْأَرْضُ كَالْأَجْنَحَةِ ، وَالْعَنَاصِرُ
خَلَايَا أَحْلَامٍ . الْوَحْدَةُ حَبْرُ السَّفَرِ ، —

الْخُلُوتِيَّةُ النَّقْشَبَنْدِيَّةُ

وَأَو —

إِمَشْ فَوْقَ رُؤُوسِ الْأَزْهَارِ ، وَامْتَزِجْ بِبِرَاعِمِهَا . يَدَاكَ بِنَفْسِجٍ وَعَلَى جَسَدِكَ
يَتَسَلَّقُ غُبَارُ الطَّلَعِ . هُنَا تَعْرِفُ أَنَّ لِلْأَيَّامِ قَشْرَةً أَكْثَرَ حَنَانًا مِنَ اللَّبِّ ، —

الْخُلُوتِيَّةُ الرَّفَاعِيَّةُ

زاي -

تُمسِكُ يَدُ الزَّائِغَةِ بِرِيْشَةٍ وَتَرْسُمُ الْفَرَاغَ
 مَا أَحْنُ هَذِهِ الْأَشْرَعَةُ الَّتِي تُقْبِلُ مِنَ السَّمَاءِ .
 هُنَا يَدْخُلُ الْعَاشِقُ فِي الْفَصِيلَةِ الشَّقَوِيَّةِ كَمِثْلِ الرِّيحَانِ ، -
 الْخُلُوتِيَّةِ الْبَكْتَاشِيَّةِ

* تَمَثَّلْ بِالْوَرْدَةِ وَعِشْ صَامِتًا :
 إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْكَلَامِ ، فَلَا تَتَفَوَّهْ إِلَّا بِالْعِطْرِ .
 * هَلِ الْكِتَابَةُ شَهْدٌ يَابِسٌ فِي قَفِيرٍ مَهْجُورٍ ؟
 * الْحَجَرُ كِتَابٌ يَعْلَمُ التَّسَامُحَ .

III - مُكَاشَفَات

أَمِنْ سُوقِ الْوَرَّاقِينَ ، تَجِيءُ هَذِهِ الْحُنْجُرَةُ؟ أَمِنْ أَنْبِنِ خَشَبٍ تَفْتَتَ وَيُعِثَ ،
 تَصْعَدُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ؟ هَلْ عَرَفْتَ سُوقَ الْكُتُبِ؟ زُرَّهَا لَتَرَى كَيْفَ
 تَتَمَدَّدُ الْعُقُولُ عَلَى بِسَاطٍ مِنَ الْحَبْرِ ، وَلَكِي تَتَمَلَّى شُحُوبَ الْأَيَّامِ .
 زُرَّهْ - احْتَفِلْ بِكِيمِيَاءِ التَّحْوَلِ ، -
 رَأْسٌ فِي الْقَدَمِ ،
 وَقَدَمٌ تَقْطُرُ الْعِطْرَ .

والتحية لمن قال : «القدم لا الرأس» ، نهاية الشكل وغاية الهيئة .

إنه ركن العنبرانيين في سوق النساء . قبائل أغشاب ، أفخاذ نباتات وزهور ،
والعطور تتناسل . وفي سوق الحرير وسوق الصاغة ، سترى الرغبة
جسداً وروحاً . نساء يسرن كأنهن يتنقلن في أسرة النوم . شمس
مبلولة بماء القمر . وترى الموت يتقلب ويزحف وإهناً . وفي سوق
المزامير وسوق الأباير وسوق الفاكهة ، تنتهد في مناخ تقول إنه
هابط لتوه من فراديس المخيلة . وبين أهدابك تختلط الملاءات
والسراويل والزنانير في بهاء يسرح معك بين الظاهرية والعادلية
حيث ينهض أبو العزمائدة يتحلق حولها الأقصيان الشرق والغرب
وتتلا لأيدى الصانعة ، —

زجاج معشوق ، شرابات ، مساند ، أرائك ، نحاس
مخرم ، وسائد ، بسط ، نارجيل —
إنها الدنيا وعائلتها تحت سقف يتعلم على حكمة الدهر .

* غير بعيد عن رأس يوحنا المعمدان ، تتلأ أذنا
تيمورلنك .

(هل يخذت حقاً للبقل أن يصير نخلاً؟)

(ليس هناك نور لا ظلمة فيه .

(لا تنكروا خرق العادة .

(اسْتَسْلِمَ للوَّاقِعِ إِنْ شَتَّتَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لَكَ الْمُمَكِّنُ .
 * رُبَّمَا كَانَ الْوَحْلُ الَّذِي تَهْرَبُ مِنْهُ ،
 يَسِيلُ فِي الْمَاءِ ذَاتَهُ الَّذِي تَشْرِبُهُ .
 * بَلَى ، تَتَذَكَّرُ النَّارُ أَنَّهَا كَانَتْ مَاءً .
 * الْفَضَاءُ هُنَا نَارٌ ، وَالطَّيُورُ قَصْدِيرٌ .
 * قَتَلَهُمْ جَمِيعاً ، تَحْقِيقاً لِلْحِكْمَةِ الْقَائِلَةِ :
 « مَا أَكَلْتَهُ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ ، فَقَدْ أَكَلْتَهُ
 وَمَا أَكَلْتَهُ وَأَنْتَ لَا تَشْتَهِيهِ ، فَقَدْ أَكَلْتُكَ » .
 * أَزْدَادَ الْبَرْدِ وَالثَّلْجِ ، مُنْذُ قُتِلَ الْمُتَنَبِّي .
 * لَا يَسْتَقِيمُ هَذَا الْمَرْبِيعُ إِلَّا إِذَا أَصْبَحَ مُثَلَّثاً .
 * « رَبُّ اعْوِجَاجٍ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْتِوَاءِ » .

أَطْلَقْتُ الْعَيْنَانِ لِلْقِيَاةِ وَالزَّجَرِ وَالْعِيَاةِ ،
 لِلسَّانِحِ وَالْبَارِحِ ،
 لِلتَّفَاوُلِ وَالْتَّطِيرِ ،
 وَقُلْتُ : أَنَا الْفَطْنُ الْمَتَدَرُّ ، غَيْرَ أَنَّنِي أَمِيلُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْكَتِفَيْنِ ،
 وَفِي الرَّدْفَيْنِ ، وَفِي مَا أُوْتِيَ السَّرَّ .

IV - مُشَاهَدَات

أ - ساحة الشهداء

لَبِسَتْ أَسْمَاءَ كَثِيرَةً: الْجَزِيرَةَ، بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، الْمَرْجَةَ، الْمِيدَانَ
الْكَبِيرَ، ساحة السَّراي. غَيْرَ أَنَّ دَمَ أَبْنَائِهَا الَّذِينَ شَقَقَهُمُ السَّفَاحُ مَحَا
هَذِهِ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَأَعْطَاهَا اسْمَهَا الْأَخِيرَ الشَّهِيدَ. عَلَى أَطْرَافِهَا
وَفِيهَا، تَعَانَقَ الْيُونَانُ وَالْغَرْبُ وَالْخِلَاسِيَّةُ الْعُثْمَانِيَّةُ. مَسْرَحٌ لِلتَّحُولِ -
وَضَعَتْ الْحَدَاثَةُ عَلَيْهِ أُولَى خُطُواتِهَا: السَّيَّارَةُ، وَالْحَافِلَةُ الْكَهْرِبَائِيَّةُ.
وَعِنْدَمَا كَانَ بَرْدَى يَفِيضُ، كَانَ فَيضَانُهُ يُذَكِّرُ بِالدَّمِ الَّذِي تَدْفُقُ مِنْ
أَبْنَائِهَا دِفَاعاً عَنْهَا. يُصْغَوْنَ إِلَى أَحْشَائِهَا الَّتِي غَطَّاهَا الْإِسْفَلْتُ لِكَيْ
يَسْمَعُوا أَبَاءَهُمْ. وَتَرَى حَنِينَهُمْ يَطُوفُ حَوْلَكَ فِي كُؤُوسٍ غَيْرِ مَرْتِيَّةٍ.
نَجْمَةٌ تَرْطِبُ بِخُيُوطِ أَشْعَتِهَا دِمَشْقَ - شَوَارِعَ وَأَزَقَةَ وَأَحْيَاءَ. تَجْلِسُ
غَالِباً فِي اسْتِرْخَاءٍ كَمِثْلِ امْرَأَةٍ تَسْتَحِمُّ فِي الْعَرَاءِ. مَسْرَحٌ. قَلَّةٌ هُمْ
الَّذِينَ يُتَابِعُونَ الْمَشْهَدَ جَالِسِينَ. بَضْعَةُ أَطْفَالٍ، بَضْعَةُ شَبَابٍ.

- مَا هَذِهِ الْمَسْرُوحَةُ؟

- هُوَ اجْسُ وَأَسْئَلُهُ.

- الْأَكْلُ قَلِيلٌ، وَالشَّرَابُ نَادِرٌ.

- إِسْرَافٌ، لَكِنَّ فِي الْمَنْعِ.

- تَكَادُ كُلُّ نُقْطَةٍ فِي جَسَدِ هَذِهِ السَّاحَةِ أَنْ تَكُونَ...

* الْأَعْمَارُ بِيَدِ الْأَجُورِ وَالْأَشْعَارِ.

- * هل البياضُ سَوَادٌ نَسِيَّ اسْمُهُ؟
- * عَمَرَ بيتاً لغايةٍ واحدةٍ : أن يسجنَ فيه الرِّيحَ التي يقبضُ عليها .
- * يظنَّ حيَّ القدمَ أنه رأسُ لحي الصَّالحية .
- * كتابةٌ كمِثْلُ زَهْرٍ يُزَوِّعُ فِي حَقُولٍ مِنَ الزَّجَاجِ .
- * لا تتأخَّرُ أَيْهَا المَطَرُ ، تأخَّرِي أَيْتَهَا السَّمَاءُ .
- * ينامُ الشَّارِعُ والحارسُ سَاهِرٌ عَلَى عُنُقِهِ .
- * خَيْطُ شَفْتَيْكَ إِنْ شَتَّتَ أَنْ تَتَكَلَّمَ .
- * أَيْتَهَا المَادَّةُ الشَّامِيَّةُ ، هَلِ الشَّعْرُ ، وَخُدُّهُ ، رُوحُكَ العاصِيَةِ؟

ب - حيَّ التَّوْفَرَةِ

تنمو على جانبيه ، وعلى أطرافه من جهة القيمرية وباب جيبون ، أشجارٌ للمعرفة لا يراها غيرُ تلامذة الشيخ الأكبر . كلُّ شجرةٍ سرَّةٌ من الكلام يحسنُ بك لكي تحسنَ فهمه أن تجلسَ في مقهى التَّوْفَرَةِ . حولَ المقهى ، ترك الأسلافُ آثارَ خطواتهم في حُفَرٍ وشقوقٍ يصعدُ منها غبارٌ يكاد أن يكون ذهباً . نقرأ معك ، أيتها الحكواتي ، ليلَ الماضي ، -

- بِضَرْبَةٍ واحدةٍ من سيفه ، قطعَ خمسين رأساً .

والويلُ لِلَّغَةِ إِنْ وَقَعَ فِي الْأَسْرِ عَنَتْرَةٌ . لَا تَهْدَأُ كَلِمَةً فِيهَا ، قَبْلَ أَنْ يُفَكَّ أَسْرُهُ .

يَتَوَكَّأُ الزَّيْرُ سَالِمٌ عَلَى أَنْصَارِهِ . يَتَوَكَّأُ جَسَّاسٌ عَلَى صَوْتِهِ . يَتَّحِدُ الْغَضَبُ وَالسَّرُورُ كَمِثْلٍ وَجْهِ الْوَرَقَةِ وَقَفَاهَا . لَا عَدَاءَ فِي تَبَادُلِ اللَّكَمَاتِ بَيْنَ الْمُتَحَارِبِينَ ، بَلْ حَرَكَةٌ أَيْدٍ كَأَنَّهَا أَغْصَانُ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ يُحَرِّكُهَا هَوَاءٌ عَاشِقٍ . كُلُّ يَقِفٍ وَرَاءَ فَارِسِهِ ، أَوْ يَقْدِمُ لَهُ الشَّيْءُ وَالْهَتَافُ . يَنْقُشُ اسْمَهُ بِأَنْفَاسِهِ عَلَى بَشْرَةِ الْوَقْتِ .

أَخْرَجُوا جِيَادَكُمْ مِنْ أَفْصَاصِ الْحُلُمِ وَسَرَّحُوهَا . لَيْسَ فِي الْمَقْهَى سُورُجٌ تَلِيقٌ بِهَا . ابْحَثُوا لَهَا عَنْ سُهُوبٍ أُخْرَى . لِلْمَقْهَى أَذْنَانِ مُسْتَوْدَتَانِ . وَفِي الصَّبْرَاخِ تَتَوَحَّدُ الشِّفَاءُ كَأَنَّهَا فَمٌ وَاحِدٌ . كَلَّا ، لَمْ يَمُتْ عَنَتْرَةٌ . وَلَا يَزَالُ الزَّيْرُ سَالِمٌ وَجَسَّاسٌ يَتَقَاسَمَانِ بُرْكََةَ الْمَاءِ الْفَوَّارَةِ فِي سَاحَةِ الْمَقْهَى . مَا أَغْنَدَ الْحُلُمُ بِالنَّصْرِ . يَتَّخِذُ مِنَ الْجُدْرَانِ وَالطَّيْنِ أَمْدَابًا يَرْقُدُ تَحْتَهَا . يَمْتَلِئُ الْمَقْهَى بِجُثَثِ الْقَتْلَى ، غَيْرَ أَنَّ الرِّوَاثِعَ الَّتِي تَنْشَقُّهَا طَيْبَةٌ كَأَنَّهَا طَالِعَةٌ مِنْ ضَفَائِرِ الْفُوطَةِ .

— مَالُهُ ، حِصَانٌ عَنَتْرَةٌ؟

يَتَسَاءَلُ شَيْخٌ تَبْتَلِعُهُ ثِيَابُهُ ، فِيمَا يُتَابِعُ مَعَارِكَ اللَّغَةِ ، وَيَرَى إِلَى دِمَائِهَا الْجَارِيَةِ ، كَأَنَّهُ يَرَى جَيْشًا مِنَ الْغَيْمِ ،

— نَسِيتُ عِبْلَةً أَنْ تَمْسَحَ قَوَائِمَهُ بِعَرَارِ الصَّخْرَاءِ .

* لِلذَّاكِرَةِ مَاءٌ لَا تَتَّسِعُ لَهُ بُحَيْرَةُ الْحَاضِرِ .

* نَعَمْ ، لا يَتَوَقَّفُ البَابُ والكرسي ، القهوه
والنارجيلة ، الماء والجمرُ عن كِتَابَةِ الشَّعْرِ .
* أسرارُ اللَّيْلِ أجنحةُ النَّهَارِ .
* يَلْبَسُ الْمَسَاءُ قناعاً لَيْسَ إِلَّا وَجْهاً لِلصَّبَاحِ .
* يُقَالُ : لا تَنَامُ دِمَشْقُ ،
ويُقالُ : إِنَّ نَامَتْ ، فَتَوْمُها خَفِيفٌ كالحُلُمِ .
* لا جَذَرَ لا ثَمَرَةً : يَتَشَرَّدُ بَيْنَهُمَا .
* لا يَعْبُدُ الشَّيْءَ إِلَّا لِكَيْ يَسْتَعْبِدَهُ .
* دِمَشْقُ ، أَنْتِ حَيَاتُنَا ، -
لَكِنَّ ، ما هَذِهِ الحَيَاةُ التي لا تُعْطِينَا إِلَّا المَوْتَ .

حَيَّيْتُ عِيَواظَ ، وقلتُ لِكِرَاكُوزَ : اسْمَحْ لي أن أَقْدِمَ لَكَ هذا الزَّمَنَ في هَذِهِ
الوَرْدَةِ اليَابِسَةِ . كان خيالُ الظِّلِّ يَتَسَلَّقُ الشَّيْءَ في الفَنَاجِينِ وَعَلَى
الشَّفَاةِ ، وَيَتَدَخَّرُ صَوْتُ الحَكَّواتِي .

- «مِنَ الخِيَالِ ، جَاءَتِ الخَيْلُ .
- مِنَ الخِيَلَاءِ ، جَاءَتِ الخَيْلُ .
- أُوْحِيْ إِلَى الرِّيحِ الجَنُوبِ أَنْ تَجْتَمِعَ . اجْتَمَعَتْ . أَخَذَ جَبْرِيلُ قَبْضَةً وَخَلَقَ
الخَيْلَ .
- سَلامٌ لِحِصَانِ عِنتَرَةَ . هُوَ مِنَ الخَلْقِ الَّذِي بِهِ العِزُّ . لَمْ يُعْقَدْ بِناصِيَتِهِ غَيْرُ
النَّصْرِ . » ، -

كان الغبارُ الذي تُثيرُهُ حوافِرُهُ يتموِّجُ أغلاماً على سَقْفِ المَقهى . أثرَ عِواظُ
وَكراكَوز ، ذلكَ المساء ، أن يتحدَّثا هَمساً . كانتِ الوردَةُ اليابسةُ
تَسهرُ على البابِ ، وعلى السَّطحِ ، وفي الهواءِ . أشارا إلى العشقِ بينَ الزهورِ .
هَمسا لِلحُضورِ أن يُلصقوا أذانَهُم على أكتافِ الياسمينِ والوردِ لكي يَسمَعوا
شهيقةَ البراعمِ وهي تَخْلَعُ سَراويلَها . وأخذتِ الأشجارُ التي تُحيطُ بالمَقهى
تنقَلِبُ كُلُّها إلى شَجَرَةٍ واحدةٍ : عِطْرِ اللَّيْلِ . وأخذتِ الحجارةُ تَغْطِي
بالعِطْرِ . لم تبقَ زهرةٌ إلا تَفَتَّحتْ مِنَ التَّبلُّلِ بِندى الحُبِّ . صارتِ الأزقةُ
نفسُها كَمِثْلِ أعناقٍ تتلَكَّى مِنها عقودُ الياسمينِ . وتحولَ الفضاءُ إلى حُنْجُرَةٍ
تَهْتِفُ احتفاءً بالعُشاقِ .

* الزَّائِلُ أجملُ ما يَمْلِكُهُ الأبدِي .
* هُنا لا تقودُ الرُّوحُ إلا إلى المادَّةِ .
* الماءُ المالُ : حَرْبٌ لا تَنْتَهي بَيْنَ الهَمْزَةِ واللامِ .
* لا يُقْبَلُ إلا شَفَتِيهِ : أَلْهَذا يَقْبَلُ جَمِيعَ الأيدي ؟
(* أفسِهْنِي : كيفَ تَقْصُ ذَيْلَ الشَّيْطانِ بِجَنَاحِ
المَلَكِ ؟

(* القمرُ بَيْنَ التَّهْدِيتِ هِلالٌ دائِم .
* يَتمرأى ، لا لِكَي يَرى الحَيَاةَ بل لِكَي يَرى
المَوْتَ .

(قَدَمٌ بِيضاءَ على كَتِفَي قاسِيونَ : القمرِ .
* وجوهٌ - فراشاتٌ بلا أجنحةِ .

إِذَا شَرِبَ مِنْهُ زَنَةَ تَسْنَعِ حَبَاتٍ ، لَمْ تَنْلُهُ مَضْرُوءٌ مِنَ السَّمِّ . وَالْمَتَحَنِّمُ
بِهِ تُنَافِرُهُ ذَوَاتُ السُّمُومِ . وَإِذَا قُرَّبَ مِنْ بَصِيرِ الْأَفْعَى ، سَأَلَتْ
عَيْنَاهَا .

هـ - سوق الأباذير

أَسَاتِنْدَةٌ يَجْلِسُونَ فِي أَحْضَانِ التَّوَائِلِ وَالْعُطُورِ وَيُعَلِّمُونَ كِيمِيَاءَ
الْمَلْدَاتِ . يَزِدَادُ يَقِينُكَ أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ الْأَكْثَرُ بَقَاءً . وَيُسْعِدُنِي فِي
ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ : جُنَّ الْقَائِلُ . أَوْ يُقَالَ : دَخَلَ غَارَ الْمَعْنَى ، حَيْثُ
نَزَلَتْ السَّمَاءُ وَأَحْرَقَتْ سَلَالِمَ الصَّعُودِ . لَنْ تَسْتَطِيعَ بَعْدَ زِيَارَةِ هَذِهِ
السُّوقِ أَنْ تَقُولَ كَخَيْرِكَ :

عَجَبًا لِلْمَقَابِرِ فِي دِمَشْقَ ،
تُزْهِرُ أَكْثَرَ مِنَ الْحَقُولِ .

* يَكْفِي أَنْ تُقَطَّرَ الصَّخْرَاءُ فِي فَمِ الْكَلَامِ .
(لَيْسَ الْمَعْنَى وَرَاءَ دِمَشْقَ ، لَيْسَ أَمَامَهَا ،
لَا يَمِينًا وَلَا يَسَارًا ، - الْمَعْنَى بَيْنَ قَدَمَيْهَا .
(كَلَامٌ رُبِعٌ دَائِمٌ ، عَمَلٌ خَرِيفٌ دَائِمٌ .
(* كِتَابُهَا الْمُقْبِلُ : « كَيْفَ عَشَقْتُ جَنِيًّا أَسْلَمَ عَلَى
يَدَيَّ » .

* لَا يَلِيقُ بِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا كَمَا يَلِيقُ بِالْوَلِيدِ بْنِ
يَزِيدَ .

- ❖ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْعُبَارُ فِي دِمَشْقَ بَيْتاً لِلشَّمْسِ .
- ❖ أَفْكَارٌ تَتَدَفَّقُ عَلَى جَمْرِ الْمَالِ .
- ❖ زَمَنٌ أَعْمَى يَتَوَكَّأُ عَلَى عُكَّازٍ مَلِيٍّ بِالْعُيُونِ .
- ❖ الصَّلَاةُ هُنَا أَقْصَرُ طَرِيقٍ لِلذَّهَابِ عُمُودِيَّاً إِلَى السَّمَاءِ .
- ❖ السِّخَرُ وَالْعِلْمُ هُنَا مَسْحُوقَانِ يُقِيمَانِ فِي زُجَاجَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى رَفٍّ وَاحِدٍ .
- ❖ يَتَعَذَّرُ وَصْفُ شَهْوَةِ الْكَلَامِ عِنْدَ جُذُرَانِ دِمَشْقَ .
- ❖ الدَّائِرَةُ هُنَا نَبِيَّةُ الْمُسْتَقِيمِ ، وَالمُثَلَّثُ الرُّوحِي .
- ❖ هُنَا يَنْزِلُ الرَّأْسُ وَيَرْتَقِي الْبَطْنُ .
- ❖ لَيْسَ لِكَلِمَاتِهِ أَرْجُلٌ ، لَيْسَ لِأَفْكَارِهِ مَعَاوِلُ ، —
- ❖ كَلَّا ، مَا يَقُولُهُ لَا يَبْدَأُ وَلَيْمَةً ، وَلَا يَجْلِبُ غَنِيمَةً .
- ❖ يَغْعَجُنُ الْخَرْدَلُ بِالنَّخْلِ وَرَمَادِ الْبَلُوطِ ، وَيَخْلِطُهُ بِاللُّوزِ وَالزَّيْبِ ، لَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَهُ الْمَاءُ ؟
- ❖ كَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ خَالِقاً ، دُونَ أَنْ تَكُونَ مَاحِيّاً ؟

دِمَشْقُ ، —

قُلِّبِ الشَّامُ وَجِلَّتْ ، الْعِذْرَاءُ وَجِيرُونُ ، قُلْ عَيْنُ الشَّرْقِ إِرْمُ ذَاتُ الْعِمَادِ ،
بَابُ الْكَعْبَةِ . قُلْ ، وَأَسْلِمَ جَسَدُكَ إِلَيْهَا .

أَسْلَمَ جَسَدُهُ إِلَيْهَا ، —

في حارة الخُلخال أصغى إلى رأسٍ يتحدّث عن زوايا الرّجال ،
وجسده في مكانٍ آخر ، في كلّ رباطٍ للنساء - مهجورات ،
مطلّقات ، متعبّات ، صوفيّات ، حيثُ تجفّ الأيّام عظامها على
خيوط الكتّان .

وبين باب الجايبة وبوابة الله ، استأثرت به طويلاً زاوية كانت
تحتضن بيت يهودا . تخيل البيت ، وهم أن يسأل الحجر أو أي
شيء آخر : أإلى هذا البيت لجأ القديس بولس ؟

واخذت بعض الكلمات في قاموس الأسرار ، تظهر وتحوّل إلى
أقواسٍ فُزح وإلى أشجارٍ وبُحيرات . وأخذ بعضها يتحوّل إلى كائناتٍ
أكثر إغلافاً في السر .

وضع يده في يد كوكب الزهرة ليغرف كيف يخرج سراً من بساتين
الزينية إلى باب ثوما جارها القريب . لم ير في باب ثوما ، أو هكذا
ظن ، إلا شفاهاً عالقةً في الفضاء تتبادلُ القبل ، والآ مخلوقاتٍ
ليست لها الوجوه والأرجل التي تكون عادةً لحيوانات اللغة . كانت
تُسرد في رؤوس جبالٍ ويطون أودية . ولم يتذكّر عمرو بن العاص
الذي نزل على هذا الباب . ولم يدهشه هذا النسيان .

V - طَلْسَمَات

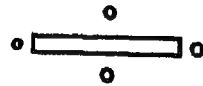
(من أجل العُوطَة ، وتحيّة لعبد الغني النابلسي)



«ابْحَثْ عَنْ جَارِيَةٍ عَذْرَاءَ حَانَ نِكَاحُهَا
عَرَّهَا ، وَانْفِشْ شَعْرَهَا ،
أَعْطِهَا دِيكاً وَقُلْ لَهَا : طُوفِي بِهِ حَوْلَ الزَّرْعِ .
يَسْلُمُ الزَّرْعُ مِنَ الْآفَاتِ ،
وَيَهْلِكُ الزَّوَانُ لَوْقَتِهِ .»



«خُذْ أَظْلَافَ الْمَاعِزِ ، وَقَرْنَ الْأَيْلِ ، وَأَصُولَ السَّوْسَنِ ، اسْمَحْهَا جَمِيعاً مَعَ
الْبَنْدُقِ ، بَخَّرْ بِهَا الْبَيْتَ ،
تَهْرَبُ الْحَيَّاتُ ، وَجَمِيعُ الْحَشَرَاتِ .»



«خُذْ قَلْبَ بُومَةٍ كَبِيرَةٍ
شُدَّهُ إِلَى جِلْدِ ذَنْبٍ

عَلَّقْهُ عَلَى سَاعِدِكَ ،
تَأْمِنِ اللَّصُوصَ وَسَائِرَ الْحَشَرَاتِ ،
وَتُصْبِحُ مُعْظَمًا عِنْدَ النَّاسِ .»



«اصْنَعِ مِنَ النَّحَاسِ تِمَثَالَ جَرَادَةٍ
جَوْفَهُ ،
ضَعِ فِيهِ جَرَادَةً وَسُدَّهُ بِشَمْعٍ
ادْفِنَهُ ،

يَتَفَرَّقِ الْجَرَادُ ، وَلَا تَعِيشُ جَرَادَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ .»



«خُذْ قَلِيلًا مِنْ حَبَّةِ الْبَرَكَةِ ،
وَقَلِيلًا مِنَ الْبَلَسَانِ
وَقَلِيلًا مِنْ قَشُورِ الزَّنَجَبِيلِ ،
امزجها ، وضع المزيج في طعام ،
تحل في من يأكله روحانيَّةُ المَحَبَّةِ .
(المِلَاحَةُ فِي عِلْمِ الْفِلَاحَةِ) .

VI - شَطَحَات

ماذا يفعل جِدَارٌ ماذا يفعل دُخَانٌ بَيْنَ نَهْدَيْنِ ماذا يفعل شُرْطِيٌّ ماذا
يفعل سِجْنٌ بَيْنَ الكَبِدِ والعَيْنِ هَلِ الأفقُ هُنَا عَمودٌ مِنَ المِلْحِ؟ يا
لهَذَا الهَوَاءِ الذي يَمَلَأُ الفَضَاءَ بالتَّجَاعِيدِ .

ماذا تفعلُ بهذا الكلام الذي تَنْبِشُهُ مُتَكَنّاً عَلَى صَلَصالٍ يُذَكِّرُ بِأَدَمَ ماذا
تفعلُ بِمُدنٍ لَا تَطُلُ إِلَّا عَلَى الهَاوِيَةِ ماذا تفعلُ بِشَوَارِعَ لَيْسَتْ إِلَّا
سَيولاً مِنَ الدَّمْعِ
خَيْرٌ لَكَ أَنْ تُعْطِيَ هَذِهِ الِيمَامَةَ مِنْدِيلاً لَكِي تَمْسَحَ عَيْنَيْهَا .

سَرَطَانٌ يَلْتَهُمُ جَسَدَ الواقعِ ، وفي الرِّيحِ وَرَقٌ لَيْسَ الشَّجَرُ بَلِ البَشَرِ . وليسَ
الرَّمَادُ فِي الهَوَاءِ بَلْ فِي الرُّةِ ، وليسَ الوَحْلُ فِي الطَّبِيعَةِ بَلْ فِي
الطَّبْعِ

- (* يَغْتَنِزُ دَائِماً عَنِ الْإِلْتِقَاءِ بِالْآخَرِينَ ، هَامِساً :
امرأةٌ مِنَ الجِنِّ فِي ضِيَاظِي .
* الأصابعُ أَزْهَارُ الجَسَدِ .
* يُؤْمِنُونَ بِالْكَوَاكِبِ ، وَيَأْخُذُونَ الْعِلْمَ بِالشَّمِّ .
* أَجْسَامٌ تَتَعَلَّمُ الرُّكُوعَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ المَشْيَ .

* حَكَمْتُهُ الْأَوَّلَى : النَّاسُ دَجَاجٌ يَتَتَلَمَذُونَ عَلَى
الشَّعَالِ .

* فَوْقَ سَرِيرِهِ ، هَذِهِ السُّطُورُ :
«اللَّهُ صَدِيقٌ لِلْفُقَرَاءِ فِي الْحُلُمِ ،
وَلِلْأَغْنِيَاءِ فِي الْوَقَاحِ .»
* «رَزَقُ الْفَقِيرِ حَصَاةٌ يَمِصُّهَا حَتَّى الْمَوْتِ» : قَائِلُ
هَذِهِ الْعِبَارَةِ قَدِيمٌ لَا يَزَالُ حَيًّا .
* يَصِفُ النَّاسَ :

«لِسَانُ خَصْبٍ ، وَقَلْبُ قَاحِلٍ» ،
وَهُوَ نَفْسُهُ «عَيْنٌ صَحِيحَةٌ وَجِسْمٌ ذَائِبٌ» .
* كَانَ يَقُولُ : «لَيْسَ الْإِنْسَانُ جَسَدًا ، بَلْ عَدَدٌ .
يَمْضِي شَيْءٌ مِنْهُ مَعَ كُلِّ يَوْمٍ يَمْضِي .»
* يُنَاضِلُ ، لَكِنْ كَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُحَوِّلَ الْحَجَرَ إِلَى
خَرُوفٍ .

يَلْزُمُنِي أَنْ أَفَكَّكَ جَسَدَ اللَّيْلِ عُضْوًا عُضْوًا لِكَيْ أَقْدِرَ أَنْ أَكْتُبَ خُطْوَةً وَاحِدَةً
مِنْ خُطَوَاتِ الشَّامِ ،
هَكَذَا لِكَيْ أَعْرِى نَهَارَهَا أَلَيْسَ لَيْلَهَا ، وَمَا أَكْتُبُهُ يُعْلِيهِ النَّيْءُ
إِنْ صَحَّ قَوْلُهَا : لِلْكَتَابَةِ شَيَاطِينُ ، فَأَهْوَاهَا هِيَ هَذِهِ الشَّيَاطِينُ
أَمْ الْوَقْتُ يَتَسَلَّحُ بِهَا ضِدَّهَا؟
لَهَا لِهَذَا الْهَيْكَلِ الَّذِي عَاشَتْ فِيهِ أَرْتَمِيسَ ، أَنْتَرُ هَذِهِ الْبُقْعَ مِنْ

الحِبر، -
متى تَقْتَنَعُ بِعَشْتَار؟

(باريس ، أوائل كانون الثاني 1993)

الفهرست

13	أرواد يا أميرة الوهم
19	مرثية الأيام الحاضرة
27	مرثية القرن الأول
37	تحولات العاشق
63	أقاليم النهار والليل
65	فصل الحجر
80	فصل المواقف
105	قبر من أجل نيويورك
131	قداس بلا قصد ، خليط احتمالات
153	مراكش - فاس ، والفضاء ينسج التأويل
181	ضوء الشمعة
203	مفرد بصيغة الجمع
205	تكوين
235	تاريخ
281	جسد
353	سيمياء
417	أحلم وأطيع آية الشمس



449	يد الحجر ترسم المكان (رقيم البتراء)
471	المهد
497	المداعة
511	شهوة تتقدم في خرائط المادة
539	في حضن أبجدية ثانية

ميشال النقا وابي بكر قصيدة وامض

ميشال النقا وابي بكر قصيدة وامض
زدة سمعة الارض

ISBN => 2-84305-005-7
EAN => 9782843050053